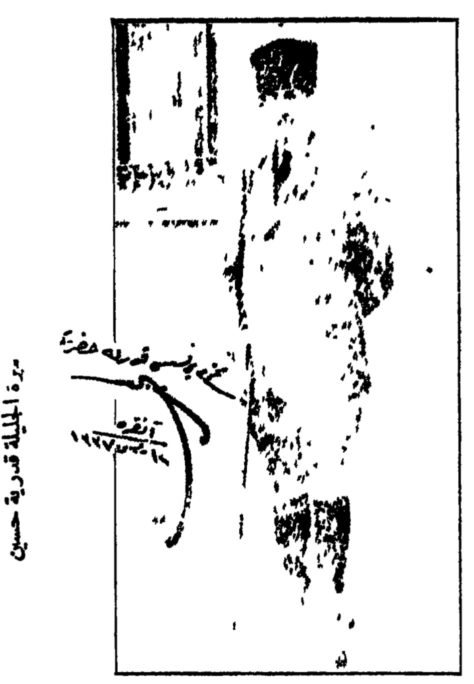
رسائل القرة

رسائل النفرة المقدسة

الجليلة قدرية حسين



الغازي مصطفى كمال باشا بطل سقاريا

تطلب من المكتبة التجارية بشارع الجداوي امام حمام الورشة باسكندرية

Lettres d'Angora La Sainte

بقلم

الأميرة : قدرية حسين

عربها

عن اللغة الفرنسوية

(احمد رفعت)

باذن خاص

تطلب من المكتبة التجارية باول شارع محمد علي

لصاحبها مصطفى محمد

تطلب

مطبعة الفنون الوطنية



الغازى مصطفى كمال باشا بطل سقاريا



الغازي مصطفى كمال باشا بين أركان حربه

رئيس فرقه حضرتنه
توركيا خاطراتى
آنقره
٢٢/٥/٩٢٩

الغازي مصطفى كمال باشا قادما من تفتيش الجيش



الغازى مصطفى كمال باشا مرتدياً الثياب التى ارسلها اليه
السيد احمد السنوسى ملك الكرد

الى ارواح الشهداء

فى ذمة الله تلك الانفس الأبية التى استشهدت فى معترك الشرف تحت نقع المجد والفخار دفاعا عن الحرية والاستقلال .

وفى جنة الخلد تلاقى جزاءها الاوفى من نعيم ابدي وذلك أجر الشهداء الابرار فى سبيل الله والوطن .

ورضوان الله وبركات تحياته على الارواح الطاهرة الذكية التى أودت بها ايدى الهمجية الحديثة ، والتعصب الذميم ، والاستعمار الاثيم .

على أن تلك الانفس والارواح الكريمة التى طاحت فى الميدان أو انتزعتها من اجسادها براثن العدوان لم تذهب الى ربها راضية مرضيا عنها الا لتلتمس منه امداد اخوتها المجاهدين الذائدين عن الوطن والدين بتأييده ونصره الذى وعد به عباده المتقين الصابرين .

وكأنما أرادت القدرة الالهية من الازل أن تنبت من دماء

الضحايا غراس الحرية والاستقلال فانبتت تربة الاناضول الخصبة في الحال شعباً جديداً هز راية المجد والظفر بيمينه في وجوه اعدائه العديدين المتكالبين عليه .

فسقيا لتلك البطحاء التي أخرجت من جوفها قوما لايعرفون خور العزيمة ولا يتطرق اليأس الى قلوبهم .

ان ارضا لها هذه الميزة لجدير بأن انشئها البررة الشجعان ان يفتدوا استقلالها بالنفس والنفيس .

أولئك قوم بلوا حلو الحياة ومرها فلم تغرهم الظواهر ، ولم تستهو البابهم الكلم السواحر . بل ادركوا أن الحرية والاستقلال لا ينالان بكثرة الاقوال ؛ فعمدوا الى الاقدام واعتمدوا على الحسام .

فالى أرواح أولئك الشهداء الاتقياء أقدم هذه الاوراق تخليداً لذكراهم العبقة المجيدة انشودة الحرية والاستقلال التي يجب أن تترنم بها السنة المشارقة اجمعين .

اسباب تعريبي هذه الرسائل

رأيت أبناء وطني تواقين الى الاستقلال متعطشين الى الحرية ولكنهم لا يجدون السبيل الذى يطرقونه ليصلوا الى هتين الامنيتين الغاليتين

وبصرت بالمفكرين منا فاذا بهم يضربون فى بيداء الوهم جادين فى طلاب الخيال .

وانعمت النظر فاذا بهؤلاء المفكرين منا أما طلاب شهرة واما متصيدو مصلحة ؛ الا من عصم الله فقال قولا سديدا ، ثم التزم صمتاً حميدا .

وجاءت على السنة ثلة منا حكمة لم يوفقهم الله الى العمل بها . قالوا : اقرأوا التاريخ ! وانه لقول حق ! ولكن من ذا الذى يستعرض التاريخ على الابصار لتستمد منه البصائر غذاءها الصالح ؟ وهل قرأوا هم انفسهم التاريخ ؟ فاذا كانوا قد قرأوه فلماذا لم يسترشدوا بهداه .

فلاجل هذه الاسباب اتجه فكرى الى تعريب هذه الرسائل التى تظهر للعيان باجلى بيان مقدار ما تحدثه قوة الارادة من الاثر الواضح فى حياة الشعوب .

ذلك ان الشعب الاناضولي الذى غلب على امره فى المبتدأ من طريق الخداع والتغرير وأصيب بضروب الاضطهاد والعسف وتألبت عليه عناصر التمزيق والتشتيت وفى مقدمتها قوى الاستعمار الغربي ، لم يلبث بعد ان صحت عزيمته على توحيد كلمته ، وعلى التشبث بأذيال الحياة ، وعلى الاستماتة فى الدفاع عن حريته واستقلال بلاده ان تكونت منه دولة عظيمة الشأن ذات مجلس كبير يدير شؤونها له انظمة بديعة محكمة تجعل الشعب بأسره مشتركاً فى ادارة هذه الشؤون .

لقد اراد المستعمرون ان يقسموا هذا الشعب على نفسه وان يحاربوا بعضه ببعض ، واعتبروا الناهضين فى الاناضول قطاع طرق وخوارج الى غير ذلك فلم يفت فى عضد الاناضوليين كل ما حاوله المستعمرون ضدهم ، وصحت عزيمتهم على انتزاع حريتهم واستقلال بلادهم من أيدى الغاصبين فتم لهم الشطر الاكبر مما ارادوا وسيظفرون بما بقى على الرغم من المؤتمرات المتوالية ، ومن اغراء تلك الدويلة المعتدية وامدادها بالاموال والقواد والضباط والاسلحة والذخائر والازواد .

وزادني رغبة فى تعريب هذه الرسائل مالقيته « الوطنية العثمانية » من الاقبال العظيم الذى دل على مقدار ارتباط قلوب المصريين

باخوانهم العثمانيين ، ولا غرابة فى هذا الارتباط فانما المؤمنون اخوة

واذا كانت « الوطنية العثمانية » قد لاقت من حفاوة المصريين بها ما كان منتظراً لها فان « رسائل انقره المقدسة » ستصادف من العناية والاكرام أعظم من تلك بكثير لان شعور مدام بيرت جورج جوليس نحو العثمانيين لا يمكن أن يبلغ معشار ما تنطوى عليه جوانح الاميرة النبيلة قدرية حسين ناشرة هـذه الرسائل من العطف والحنان والولاء لاخوتها المحروبين ابطال الاناضول .

وثمت سببان وجيهان آخران حملاني على تعريب هذه الرسائل:

أولهما — الرغبـة فى احكام صـلات الاخاء بين المصريين والعثمانيين لفائدة الشعبين الكريمين ، تلك الصـلات التى يحاول المأجورون وذوو الاغراض السيئة أن يبتروها ليشتد الجفاء بين الشعبين فلا يتساندان ولا يتضامنان وبهذه الطريقة يتيسر التحكم فى كل منها على انفراد بل فى كل شعب شرقي الى الابد .

والسبب الآخر — الرغبة فى حث أبناء وطنى الكرام على التوسع في الاكتتاب لمساعـدة اخوانهم البائسين الذين اناخت بهم كلا كل المصائب والاهوال . والشعب المصرى الكريم العطوف الذى أبدى اريحيته فى حروب اليونان وطرابلس الغرب

والبلقان لاتقعده أقوال المثبطين عن مساعـدة الشعب العثماني المحروب مساعدة نافعة يؤجر عليها من الله وتكون له بها يد غراء لدى العثمانيين قد تصير داعية التذكير فى يوم قريب .



الاميرة قدريه حسين

..

شدّ ما يسر المرء أن يرى فتاة من بنات وطنه آخذة بنصيب وافر من الادب ، يخفق بين جوانحها قلب تجرى فيه دماء الشرف والكرم والشهامة والرحمة والاحسان .

وما أبلغ اليراع الذى يتناوله بنان رطب يفيض عليه رقة عواطفه ليستودعها بطون الصحف آيات بينات ناطقة بالاباء والاخلاص !

لقد تلوت مانشر من قبل لهذه الاميرة الناشئة وأخذت أتوسم لها مستقبلا باهرا فى حلبة الادب يرفع من قدر السيدة الشرقية .

وما كنت احسبنى ساذيع أريج أدبها الغض فى لغتنا الشريفة يوما ما . وها أناذا اليوم أعطر قلمى بنفثاتها الذكية . ولا أزال اتمنى لها من الرقي الفكري فوق ماوصلت اليه حتى الآن .

وليس من المستغرب على هذه الاميرة الناشئة فى حجر

العلياء ان ترفع لواء الادب فى مصر بل فى الشرق ساميا خفاقا وأن تتجمل باشرف وجدان وأرق عواطف تنطوى عليها جوانح انسان .

وليس من البدع أن تشدو بمدح الغزاة الاكرمين المدافعين عن الوطن والدين ، وأن يفيض على شباة يراعها شعورها الحي ، القوي ، المتوقد غيرة وحمية وشماسا ، فقديما اشتملت نساء العرب بالدروع بدل الشفوف ، واستعضن عن المغازل والمناسج بالسيوف ، ولا تزال نسوة الاتراك حتى الساعة يندمجن فى الصفوف ويكافحن الاعداء غير عابئات بالحتوف .

فالآن افسح ليراعها الرشيق مجال القول لينقل الى هذه الصفحات خميلة بديعة مجللة بالازاهر الجميلة من روض أدبها النضير .

أيها الحسام ! انك الكفيل بحراسة الحياة ومع ذلك فانت مثلها مراوغ عديم الوفاء ، فانت الخصم الألد لوجود الانسان فى حين انك المحتفظ بكيانه .

وانك لتتراءى فى معمعان القتال كالغمام والصاعقة ؛ وهذ هو السبب فى انك حينما ترسل عبراتك تشبه السحاب ، وعندما تضحك ايها الصمصامة الذكر فانما تحاكي البرق الخاطف

بدر الدين

كلمات موضحة

فى الساعة التى تزداد فيها فظاظة الكفاح فى سبيل الدفاع عن استقلال الاناضول وتضغط على العقول بهولها وشدتها مدهشة العالم الغربي بأسره ، شرعت ارتب وادون فى هذا الكتيب الرسائل والملاحظات الطفيفة الواصلة من آسيا الصغرى اثناء فصل الربيع الاخير ، وطفقت التقط من ثناياها بعض معلومات مفصلة أصابت مكانا من عنايتى واهتمامى .

ويلوح لى انى باهدائى الجمهور الصور التى لم تنشر حتى الان لحرابنا الشرقي المجهول لدى أغلب الناس والمستعصى وصولهم اليه انما أرفع الستار قليلا عن الغموض المحدق بتلك المدينة المتنائية الخالدة ، وذلك الملاذ المقدس الذى تخفق له قلوب عالم لجب مضطرب طافحة بالضيق المستحكمة حلاقاته .

واذ صارت انقرة العاصمة الوحيدة الممتازة فقد أصبحت بفضل بطولتها التى لا تعتورها شائبة مادارجج حديثة الطراز . يأمها جمهور الابطال الناسلين من سائر الامم الاسلامية ليستثيروا نيران حميتهم بالحرارة المنبعثة من هذا المكان المعتد مهبط الرجاء والعزم .

واذا ما رأفنى ان ارسم هنا صورة جمالها البديع الآخذ بمجامع الالباب ، فانما اقدم على هذا العمل ارضاء لتلك القلوب التى لاتحصى والتى تأب فى صدورها وتختلج بين جوانحها لاجل تلك العاصمة .

نعم لاجل تلك القلوب التى وان لم تتمتع بمرآها فقد تغلغلت فيها قوتها الساحرة وجعلتها مستعدة لتلبية ندائها المحترم المطاع .

وأنى لراجية خيرا من حبها المتلهب على بعد المزار ، لان اتساع نطاق شعورها اليوم سينتج ، كما انا واثقة من ذلك ، بفجر الغد المشرق وعلى الرغم من حرج هذه الاونة ومرارة ما نذوقه فيها من العناء ، فاننا نترقب هذا الفجر الوضاح بعزيمة صادقة لاتتزعزع اركانها .

كارتينا فى يوليه ١٩٢١ قدريه حسين

الرسالة الأولى

صامسون فى ١٩ ابريل سنة ١٩٢١

غادرت المدمرة « اوداس » ميناء برندزى فى منتصف الساعة الخامسة بعد ظهر اليوم العاشر من ابريل مقلة على ظهرها الوفد العثماني .

وكان النهار ضاحيا هادئا ! فانطلقت فى وسيع البحر وهي زاهية بلونها الابيض الناصع كأنها طير كبير يحلق فى فسيح الجو ، آخذة فى الابتعاد منتحية وجهة تلك البقاع ضحية التعصب والاضطهاد ، حاملة بين حافتيها المشبهتين جناحي طائر بحرى قلوب مكافحين من خيرة الابطال ، خافقة لاجل الاتحاد ومستعدة لاعظم تضحية فى سبيل هذا المقصد الاسمى .

وهؤلاء الرجال الكرام المصطفون على الجسر الصغير الضيق الممتد فوق ظهر المدمرة أخذوا يحيون فى هذه الآونة النفر القليل من الاصدقاء القادمين الى ذلك المكان ليصافحوهم مرة اخرى قبيل ابحارهم .

وكان هؤلاء المشيعون متأثرين امام منظر الباخرة المقلعة الى مسافة غير معلومة المدى ، الا انهم تمالكوا انفسهم واخذت

شفاههم تفتر عن ابتسامات متوالية وايديهم تخفق بالمناديل .

لقد كان الموقف جليلا وكل من كان حاضراً هذا المقام استولت عليه مسحة من السكون السري العميق .

الى اين يذهب هؤلاء الرسل الجريئين المغاوير الذين يرتحلون وهم على مثل هذه الثقة العظيمة بالمستقبل ؟ افيجدون النجاح امامهم فى منتهى طريقهم ؟ انها لمسألة عصيبة الحل شغلت أفكار الاصدقاء الاوفياء الذين ظلوا وقوفاً على رصيف الميناء وأعينهم شاخصة برعاية وحنان الى الباخرة الحربية البيضاء اثناء خروجها بهدوء وسلام من المرفأ .

وطفقت الباخرة اوداس تشق العباب بسرعة مقتحمة الامواج الزرقاء التى لم تلبث ان خفضت من ارغائها وازبادها ؛ وكافحت هذه الباخرة الباسلة بمهارة العناصر الهائجة فى متسع الدأماء لانها على ما يظهر كانت على ثقة تامة بمقدار التبعة الملقاة على كاهلها أوليست تقل فوق ظهرها فوجاً من النفوس الجريئة الذاهبة لتنشر كلمة العزم والاقدام بين اولئك الابطال الذين لا يغالبون والمستمرين على خوض غمار الوغى بغير هوادة وهدوء ؟

واستمر هذا الطائر البحري الفائز بهذه الحظوة على انتهاب اليم بسرعة لا توانى فيها . . .

وها هي ذى الآن تقتحم مدخل الدردنيل مجتازة بمجموعة البواخر ذوات الجمود العوائر التي غرقت على مقربة من الشاطيء الرقيق الذى دارت فوقه وحوله افظع المعارك البشرية واعظمها . . . وان قلب الانسان ليتقبض لدى الاصغاء الى تفاصيل هذه الملاحم الهائلة التى عفى عليها تعاقب الايام ، وتراءت الباخرة كانها وقفت ازاء الجمهور العديد الذى لا يحصى من اولئك الاخوان الشجعان الذين اختفوا فى اعماق اللجج الممتدة على هذا الشاطيء الخالد ذكره ابد الدهر .

وان استحضار تلك الذكرى الغابرة فى الذهن لتمثل مناظر الآلام التى عاناها اولئك الشجعان لتبرز فى صورة واضحة تبدو عليها مخائل الفتوة والعزم ذلك الرجل الذى عرف بمنتهى المهارة فى مثل تلك الساعة العصيبة ان يتحكم فى الموقف الهائل بترامية فى ذلك الجحيم المستعر مع عصبته المقدسة .

وان سيرة الفتى الظافر الاغر المقرونة بالحماسة والحمية لاشهر من ان يدعو الامر الى اعادة سردها فى هذا المقام : فمصطفى كمال اصبح الآن من رجال التاريخ وتمله المجيد صحيفة غراء من ابدع صحف الشهامة الوطنية وأمجدها .

وما وصلت الباخرة اوداس الى مياه الاستانة حتى استقبل

سكانها رجال الوفد استقبالا حافلا جليلا لا يمحى ذكره من البال فازدانت العاصمة بكل صنوف الزينة ، وعلى الرغم من وجود اساطيل الدول المتفقة فان الاهالي لم يستطيعوا ان يتمالكوا انفسهم من اظهار شعورهم القوي واعلان ابتهاجهم بهؤلاء القادمين الكرام بكل الوسائل التي تهيأت لهم .

وقد حيا الجمهور المتحمس الى درجة الجنون اعظم تحية رئيس الوفد بكر سامي بك ، ذلك الرجل ذا الاقدام والعقل العجيبين الذى قدرت اوربا كفاءته حق قدرها فى مؤتمر لوندره

ومن المستغرب ان ندون هنا ان هذا الرجل المحكوم عليه بالاعدام حضر وأبصر بمقلتيه منظراً من اشد المناظر المؤثرة فى النفوس ومن اعظمها مجداً وانتصاراً لحياته فى نفس البلد الذي نطق فيه بحكم الاعدام عليه !

ان الحياة البشرية حافلة بالمدهشات المضحكات !

وبعد قضاء ليلة زاهرة متجملة بكل ضروب الحفاوة والترحاب واصلت الباخرة اوداس بركبها الجليل سيرها فى منتصف الساعة الخامسة بعد ظهر اليوم الثانى محفوفة بعدد جم من الزوارق الصغيرة والزوارق البخارية التي اخذت تزدحم حولها وتقتاف آثارها ناسلة اليها من جوانب البسفور ذي المناظر الشائقة الساحرة . وكان شعور الاهالى

بالغاً منتهى ما يمكن ان يتصوره العقل من التأثر سواء المنتشرين منهم على الشاطىء الاسيوى أم على الشاطىء الاوربى . واخذوا يتهلون ويصيحون هاتفين وأصواتهم تتعالى فى الجو حتى تبلغ مسامع الافلاك ، بينما تتهادى المناديل بين الانامل وتتجاوب اصداء التصفيق فى كل مكان .

ولكن هذا الاحتفال الفخم الباهر لم يلبث ان انتهى ؛ وبتخييم المساء خفت وطأة الحماسة وانفعال النفوس ثم تلاشت مظاهرها تماما .

وما ذلك الا لأن المنظر كان قد تغير منذ انسياب الباخرة من البسفور الى البحر الاسود ، فتحولت الحالة من ابتهاج واغتباط الى حزن وارتياع على اثر ظهور مشاهد التخريب التى اخذت تبدو معالمها .

فالاروام شرعوا يحرقون عدداً عظيما من القرى فغدا الشاطىء كله سعيراً متأججا . وانبعثت اعمدة ضخمة من الضرام مرتفعة نحو السماء وتحت جلباب الدخان الكثيف المنتشر على امتداد الساحل اخذت تتداعى اركان المنازل الصغيرة التى كان يقطنها اولئك الذين لم ينكفوا عن الجهاد الموصول منذ عشر سنوات مستصحبة معها فى تهاويها المفزع آخر آمالهم الوهمية فى العدل الانسانى . وانه

لمنظر رهيب لايزول اثره من البال ظل ماثلا ازاء الابصار سواد الليل بأسره.

وقد استحال النزول الى الشاطىء فى مرفأ اينبولى الصغير البديع لان الجليد غطى الثرى بيساط سميك واصبحت وسائل السير فى البر عسيرة فلم يك للباخرة اوداس بد من الرسو فى ثغر أبعد من هذا وهو صامسون

وهنالك أيضا اقبل آلاف من الناس زرافات مختلطة من سائر الطبقات ينظرون مقدم الوفد ليحيوه ويبجلوه .

الا ان جمهور المستقبلين فى آسيا الصغرى ظهروا فى مظهر أشد تأثراً واكثر روية وتماسكا واعظم تقوى وخشوعاً. فهم انما احتشدوا فى ذلك المكان ليتعرفوا الحكم الذى أصدرته أوربا! فاقتربوا من رجال الوفد وكلمات التوحيد تتردد بين شفاههم وعلى عذبات السنتهم . . . وما كادوا يزحفون كامواج خضم بشري متدفقة من سائر النواحي حتى صار لايسمع فى هذه الارجاء سوى ترديد الجملة الاسلامية المأثورة وهي : « لااله الا الله محمد رسول الله » وهذه التحية الدينية التي ظلت مسترسلة من آلاف الافواه انتشرت فى فسيح الجو كانها ابتهال حار مرفوع الى القدير الفعال .

وحالما وطأت اقدام رجال الوفد الثرى نمى الى علمهم نبا

الانتصارات العثمانية الاخيرة التي حدثت فى قطاع عشاق وفى دوملوبونار وفى الوقت عينه المو ا باخبار المجازر والجرائم التي اقترفها الجنود اليونانيون اثناء لياذهم باذيال الفرار على اثر اندحارهم فى معركة أين اونو — اسكى شهر .

وعلى أثر اجتراح هذه الفظائع وجه مصطفى كمال باشا بدعوة يمازجها الاسى والقنوط الى سائر الدول الاوروبية لافتاً أنظارهن الى هذه الفظائع التى اخذت تتوالى بغير انقطاع . وهذه الدعوة تستجيش النفوس وتستفز القلوب ؛ وهذا نموذج منها . « ان جنودنا الذين اسروا فى ساحة الوغى اعدموا بعد ان اقتلعت اعينهم بظبي الخناجر ، وقد ذبح الاهالى المسلمون المسالمون العزل من السلاح بدون مراعاة بين الرجال والنساء ولا تمييز بين الاعمار ، وكل منقولاتهم وانعامهم نهبها الاروام واخذوها معهم اثناء انهزامهم والنساء والعذارى المسلمات اسيء الى طهرهن . واحرقوا ودمروا عدداً عظيما جدا من المدن والقرى والضياع وعلى الاخص من المساجد التى أصبحت ركاما ، ، فيما بينها الضريح البالغ منتهى الاحترام الذي يتوسد فى جوفه شلو الغازى ارطغرول اب مؤسس الاسرة السلطانية العثمانية فقد نسف فى سويود بالديناميت : فهذه هى الكبائر التى ارتكبها الاغارقة على عجل بمنتهى الخشونة غير عابئين

بما تستدعيه الانسانية من الرحمة ولا حاسبين لقوانين الحرب اقل حساب ؛ وهلم جرا » .

بيد ان اوربا لبثت امينة على صممها المعتاد عند ما يكون صوت الشكوى المرتفع اليها فى صدد تمزيق شعب مسلم ! وما هذه الا طريقة الاستئصال المنظمة التى تندفع فى مجراها منذ بضعة قرون.

وبينما عساكر الاروام تحتم على انفسها حمل المدنية الى حظيرة اولئك العثمانيين الهمجيين ، اذا بسائر امم الاسلام تمد ايديها من فوق النار والدم لتحكم وصل تلك الرابطة المقدسة . وذلك ان اغرب المصادفات جعلت من « مغارة قطاع الطرق » اعظم ملجأ للاسلام الآن !

وهذا السبب بمفرده هو الذى حمل رسول الافغان الموفد فوق العادة على ان يصرح في الاستانة منذ عدة أيام لاحد محررى جريدة « المستقبل » بما يأتى :

« ان كافة الافغانيين يعتبرون هذه الحركات الوطنية ذات صبغة تضمن سلامة العالم الاسلامي وخلاصه من نير الاستعباد الاجنبى ، وان الافغان تعتبر الامة العثمانية الزعيمة المؤتمنة المستعدة فى كل آونة لتضحية نفسها فى سبيل الذود عن كيان الاسلام واعلاء كلمته ، وان من الواجب على جميع الشعوب الاسلامية ان تعمل متحدة حول حكومة ازنره ، الى غير ذلك مما جاء فى تصريحه »

ولكننا الآن امام اليقظة التى شرعت تباشيرها تتمثل للابصار ؛ اليقظة ازاء الحقيقة المؤلمة لحالة أمة مترامية باجمعها فى غمرة الكفاح للمحافظة على استقلالها ، لان المرء ببلوغه صامسون يغشى عالماً جديدا ، عالما يعانى مضض الالم ويواصل الصراع بغير انقطاع الا انه مع ذلك لا يزال شديد العزم عظيم الامال .

الرسالة الثانية

فندق الاناضول فى تشيروم يوم ٢٠ ابريل

لقد كانت الكتابة عسيرة ونحن مقيمون بفندق « منتيكا بالاس » فى صامسون ، وذلك لما تتابع بعد الوصول الى هذه المدينة البديعة الرافلة فى بحابح الرغد والهناء من المقابلات الرسمية والزيارات التى يقتضيها الواجب ، وقضاء المهام المتنوعة المتعددة وهذه كلها أمور تحول دون التفرغ لاية مكاتبة . وتكاد تكون هذه الامور هى الشواغل للمرء فى المدن التى يكون فارقها منذ خمسة عشر يوما تقريبا ، الا ان هذه المدينه الكبيرة المعدودة وسطا حافلا على الدوام بعدد عظيم من تجار آسيا الصغرى كانت لها ميزة تستأثر بها على تلك الخصائص التى تتساوى بها سائر المدن الاخرى ، وهذه الميزة هى المنظر العسكري ، ولقد يجوز القول بانها بالنظر لكثرة اختلاف السيارات الحربية اليها تحسب فى موقف حربى .

وأحدث استمرار حركة الضباط والجنود العديدين غدوا اليها ورواحا منها تطورا فى طبيعة شوارعها الكبرى الهادئة، فسمت فى جميع أحيائها حركة عظيمة لم تكن معهودة فيهامن قبل

ولم تلازم السكينة سوى المرفأ الشهير الذي لايزال محتفظاً بالجراح الغائرة التي احدثتها فيه العمارة البحرية الروسية التي هدمت وجهات سائر البيوت المحدقة به .

على أن صامسون ليست ثغراً حربياً ...

وظل بكر سامي بك طول يومه يستقبل الاعيان وكبار الضباط ووجهاء التجار ووفداً من الاروام العثمانيين المتسلسلين من أرومة عثمانية ، وقد أقبل ليعرب عن ولائه واخلاصه للامة العثمانية متمنيا لها الانتصار المبين الحاسم .

وعمد رئيس الوفد الى استقبال هؤلاء الاروام بضروب الحفاوة والبشاشة المتضمنة مغزى يفقهه أولئك الذين يعرفون ماهي « المسالة الرومية » أولم تكن ثمت بفضل الدسائس الاجنبية « مسألة رومية » بالمثل ؟

بلى لقد جاء وقت استولى فيه هؤلاء الاروام على صامسون واندفعوا الى الابوق والثورة على بكرة أبيهم .

فعمدت حكومة أنقره إذ ذاك الى الحكمة والحزم بارسالها رجلا حديدي الارادة والساعد بدأ بقمع هياجهم وكبح جماحهم ثم نزع الى مسالمتهم وتهدئتهم بالحجج الناصعة المرتكزة على حقيقة باهرة مظهراً لهم انهم انما يثورون على اخوانهم لانهم في

الواقع متحدرين من نبعة عثمانية بحتة لم تشب عنصرها شائبة أجنبية بتاتا .

فالزمهم الحجة بهذا الدليل المقنع وأخذوا يفكرون فى صحته حتى اذا مااقتنعوا به استسلموا بمحض اراداتهم الى حكومة أنقره وصوبوا وجهة نظرها ، لانهم علموا علم اليقين بانهم من أصل عثماني عريق فى وطنيته .

واذا مانظر المرء الى قسمات هؤلاء الاروام المنتمين الى العنصر العثمانى ، واذا ما أصغى اليهم وهم يتحادثون فيما بينهم بنفس اللغة التى يتناجى بها العثمانيون المسلمون أنفسهم عراه الدهش وظل ماخوذا ، اذ لايرى ثمت مايفصلهم عن اخوانهم الحقيقيين الا معتقدهم . فهم يتبعون كنيسه الاستانة الاورتدوكسية الا انهم جميعاً يؤدون صلواتهم بلغة تركية بحتة .

واذ كانوا يماثلون العثمانيين فى الشكل ويشاركونهم فى اللغة وهم فى الحقيقة طائفة منهم ، فقد طلبوا فى هذه المرة الانفصال من البطريركية ؛ راغبين أن يتخذوا لهم كنيسة حرة مستقلة فى آسيا الصغرى .

ويكاد الاروام يكونون الفئة الكبرى التى تقطن ساحل البحر، فبعد التزامهم جانب السكينة والطاعة اسندت الحكومة اليهم

بعض المناصب العالية فاظهروا لها الولاء والاخلاص .

وقد أعدت محافظة هـذا الثغر وليمة شائقة القيت فى خلالها خطب حماسيـة أجاب عليها رئيس الوفـد ذو الهمة التى لا يتطرق اليها أدنى فتور بما جبـل عليه من الانس والبشاشة .موضحاً بايجاز المقصد الذى انتحى لاجله وجهة أوربا والحفاوة المرضية التى لوقي بها فى باريس وروما ؛ وأخـذ يفيض على مسامع المجتمعين الفاظـاً باعثـة على الرجاء وباثة فى نفوسهم القوة والعزم و.موجـدة لديهم الاعتقاد بوجوب الحصول على الفوز النهائي بقوة ارادة لا تقهر .

واثناء الجلوس حول المائدة أخـذت الموسيقى العسكرية تعزف أنغاما وطنية : وكنما هذا أول مظاهر الاستقبال التى يلاقى بها الوطن أبناءه الغائبين عنه بعد أوبهم الى صدره الحنون .

وفى الساعة التاسعة من صبيحة اليوم التالى انتظم موكب مهيب مؤلف من اثنين وثلاثين مركبة يخصه سائر الاعيان والتجار وشطر كبير من الاهالى وبدأ فى السير ؛ وهكذا لبث الوفد فى طريقه مدة ساعة مصحوبا بهذا الجمع الحاشد ، وبعد هذه المسافة الطويلة وقف الموكب الحافل بطبقات الشعب على اختلافها ، وبعد تتابع المواثيق والعهود من الاعيان ومن عامة الشعب وهم متحدون ، اقسم الجميع باوكد الايمان ان يثابروا على الكفاح الى النهاية القصوى مستخدمين

كل ما يتهيأ لهم من وسائل المناضله ؛ واذ ذاك ودع الجميع بعضهم بعضا وافترق الطرفان وهما فى اشد ما يكون من التأثر ، وتقدم ركب الوفد تاركا خلفه صامسون سابحة فى لجة الزينة مابجة باحتفالها العظيم ، وقد ارتفعت في سائر شوارعها لوحات بديعة الرواء خط فيها باحرف باهرة الخط الجملة الآتية :

« سلام على وفدنا الذى اوضح لاوربا جماء الآلام التى نكابدها والمظالم المتساقطة على رؤس أمة لاهم لها الا ان تعيش مع العالم اجمع فى سلم ووفاق »

وعلى اثر ذلك اخذ الركب يطوى الطريق وهو محوط بنطاق من الحرس العسكرى .

وكانت الطريق فى غاية البهاء بما حف بجانبيها من الآكام الزمردية وقد اتشح الربيع بابدع حلله ، وطفقت الازاهير المتنوعه تستجر الى نضرتها البصر بتنعم وارتياح .

وعلى حين فجأة انتشر فى الجوارح ذو نفحة خصة عذبة . ولم يأت ذلك سوى عبق منبعث من حقول مكسوة بحذافيرها بنفسج طبعى لم تعمل فى استنباته يد الانسان .

وحينئذ حدث شيء مؤثر فى النفس من رجال الركب . وذلك ان اعضاء الوفد اجتذب ابصارهم مرأى تلك الازهار البنفسجية

الاناضوليـة الصغيرة فانحدروا من مركباتهم ليقطفوا من تلك الازاهر الزاهية وليستنشقو مع عبير هذه الزهرة الرمزية رائحة الوطن الذكية المتغلغلة فى اعماق قلبها .

وعلى اثر هـذا المنظر المنعش السار انثى رجل الوفد الى مركباتهم وعاود الركب تسياره .

وتناول الركب اكلة الغذاء فى خان قديم العهد ، ثم واصل السير محوطاً بفصيلة من ابدع الجنود المشتملة بأجود الملابس والممتطية أنغر الجياد يقودها ضباط شبان شجعان وهم جميعاً يسيرون حول مركبات الوفد بسكوت حافظين الطريق التي لاتنسى محاسنها .

ووصل الركب قبيل المساء الى تشا كاللى وهي قرية ظريفة محوطة بغدران وسهول مزروعة . ويقيم بها فى هذه الآونة معسكر هذه الناحية الحربى .

وتناول المسافرون طعام العشاء فى الشكنة بدعوة من قائد هـذا الموقع . وكانت الاطعمة شهية ونظام المـائدة الذى اعده الجنود مدهشا .

وبعد النهوض من حول المائدة اجتمع رجل الوفد امام الشكنة حيث اخذ اللازيوز على توقيع عزف الموسيقى العسكرية يرقصون رقصهم الوطنى داخل دائرة مطبقة حولهم من الجنود وعلى ضوء

المشاعل المتماوجة السنة لهيبها فى مهاب الرياح .

وفى اثناء ذلك برز جندي صغير من وسط الجم المحتشد وانشد بغيرة وحمية عدة مقتطفات من القصائد الحماسية الوطنية ، وقد وقف على جانبيه جنديان يحملان علمين يخفقان فوق راسه بينما ينشد هو تلك الاشعار المتضمنه تاريخ الدولة العثمانية بعبارات متلهبة ملذة بفتوحها والمهمة التى حملتها على عاتقها وما قامت به من الدفاع المجيد حتى بلغ عهد الصراع الذى تجاهد به فى سبيل الحرية والاستقلال . وكان صوت هـذا الجندى الصغير تخالجه عوامل التاثر عند ماشرع يصف الآلام التي كابدتها امته للاحتفاظ مدة سبعة قرون بالعلم النبوي المقدس . واخيرا اختتم خطابته الوطنية بقوله « اننا نريد الاستمرار على الكفاح الى آخر نسمة من حياتنا او نحظى بحياة المجد والشرف » .

ولم يستطع احد من الحاضرين ان يتماسك فاغرورقت عيونهم جميعاً بالدموع ، وفى الحقيقة ان الموقف كان باعثاً بعظمته التاريخية على التأثر والانجذاب الى ما يسرد على الاسماع ، فاضطر رئيس الوفد الى الاجابة على خطابة هذا الجندى الناشىء بكلمات قيمة مصبوغة بصبغة الثقة والرجاء .

فنهض على اثر رئيس الوفد روشن اشرف بك وهو كاتب

نابغ لايزال فى ربيع الحياة ترامت شهرته فى انحاء البلاد العثمانية بما دبجه يراعه القدير من المؤلفات المتعددة التي استساغها باجمعها الذوق العثمانى العام ، وقد التحق بالوفد كممثل للصحافة الاناضولية والقى الخطابة الآتية موجهاً كلامه فيها الى الجندي الفتى قائلا :

« لقد وعيت منذ عهد طويل كل الاشعار المختارة مما جادت به قرائح شعرائنا الوطنيين وشغفت بها حباً لما تضمنته من روح العظمة التى لامثيل لها ، بيدانى لم ار نفسى متأثرة وانا منهمك على استظهارها كما تأثرت من سماع ماطرق اذنى منها فى هذا المساء ، اذ كان من الضروري أن ينشد هذه الاشعار المتضمنة مجدنا ونخارنا مقدام من أبطال الوطن مثلك لا تنفض من شدة التاثر بها حتى تصل هزات الانتفاض الى اعمق اغوار قلبى . وانى مثلك واضع سلاحى الوحيد تحت تصرف امتى فى سبيل خدمتها : فاما انت فتحمل الحسام لتذود به عن هذه الارض المقدسة ، واما انا فاشرع يراعى لاجل هذا المبتغى الشريف » .

وبعد انتهاء هذا الشاب النابغ المحرر بجريدة «يى جون» من خطابته ، نهض يونس نادى بك عمدة الصحافة الاناضولية ومنشىء ومحرر صحيفة « حاكميت مليه » البالغة غاية الذيوع والمنتشرة فى العالم الاسلامي انتشاراً لا مثيل له وافاض على الاسماع

أقوالا جذابة ختمها بهذه الجمل البديعة :

« ان السلاح والصحافة ، اي الاقدام والنبوغ لامتنا الباسلة النصيب الكافى منهما للفوز بآمالنـا الشرعية ، والشعب باسره مستعد لان يجود بآخر مجهوداته وسائر موارد ثرائه ، والله جل وعلا سيتوج بالتحقيق بتـاج النصر المبين كل الضحايا القيمة التى بذلت بشهامة عظيمة اثناء هذه السنوات الحافلة بالعظمة التى لا تقهر وبالتضحية التى لا يمكن التعبير عنها » .

وحينئذ صاح الجنود الحاضرون كافة :

« أننـا على أتم استعداد للموت فى سبيل استقلال وطننا المحبوب المقدس » .

وبعد قضاء ليلة حافلة بمظاهر التأثر الشديد فى تشا كاللى بارحها الركب فى ضحوة الغد ، بيد ان الركب لم يكد يبدأ بالجد فى سيره حتى رؤيت كوكبة من ابرع الفرسان تترامي مغذة فى ركضها نحو الركب ، فلما انتهت اليـه دعت اعضاء الوفد الى ان يقصدوا « قواق » ليتناولوا ثمت شاي الساعة العاشرة صباحا .

وقواق قرية صغيرة ضحوك المرأى ناهضة فوق تلعة ذات منظر ضاح بديع .

وكانت شرذمة من احداث التلاميذ وحديثات التلميذات

تحمل الرايات فى اكفها منتظرة هالات تشريف رسل سلم . حتى اذا ما اقبل الوفد حيته هـذه الشرذمة بنشيد وطني وخطابة رقيقة الشعور وجهت فيها المقال الى الرئيس : وقد رجت فيـه من بكر سامى بك الا يداخله اليأس أمام الصعاب التى ربمـا تنهض قبالة النتيجة المرجوة للكفاح الوطني الظافر .

وممـا كان له وقع عظيم فى النفوس ان يرى المرء هؤلاء الـكائنات الصغيرة تخاطب ذلك الرجل الرسمي العظيم وهي رافعة رؤسها الضئيلة اباء لترسل اصواتها بطريقة اوضح الى اذني ذلك الرجل الذى اصبحت قامته المرتفعة مشهورة لدى العالم اجمع .

وجاء فى خطابتهم : « نحن وان كنا ضئال الاجساد صغارها فى المنظر فان لنا قلوباً قوية كبيرة لاننا ابناء الـكفاح الاسمى » .

وارسلت نسوة قواق حلويات خاصـة بقريتهم لاتتعداها واصحبنها برسالات داعية الى التشبث بالامل وبالدعوات الصالحات لاجل التوفيق والنجاح .

وبعد الفراغ من تنـاول الشاى أمّ الركب « اوتشخانار » حيث تناول فيها طعام الغذاء ، ثم واصل السير حتي بلغ « هوزا » حوالى المساء .

وعلى بعد نصف ساعة من هـذه البلدة اقبلت نساء الجهة

يهدين تحياتهن الى اعضاء الوفد . وكن لابسات كلهن شفوفاً مسطرة بخطوط بيضاء واخرى زرقاء كلوز السماء محوكة في هذه الجهة نفسها .

ووقفن صفين على جانبي الطريق التي يسلكها الوفد وهن مرتديات بهذه الاثواب الرسمية لديهن التي مع بساطتها حوت كل ميزات الظرف والرقة فاوجدن بهذه الطريقة عنصراً بهجاً من الابتكار الوطني !

وهذه البلدة الفاتنة الصغيرة تعتبر مصيفاً بديعاً من الطبقة الاولى . اذ توجد فيها ينابيع مياه متفجرة مفعولها ناجع جدا يقدرها حق قدرها اولئك الذين يعرفون خفايا آسيا الصغري الى لاتحصى ومقدار مافيها من منابع الثروة والرفاه ، تلك المنابع التي لاتزال في طي الخفاء حتى الآن . ولهذه المياه من الخصائص ماللمياه افيان وفيجبجي فهي موصوفة للمصابين بامراض الكلى .

وستكون هذه البلدة في المستقبل مصيفا صحيا تستشفى بمياهه وجوه النفوس التي اضنكتها متابعة الاعمال من غير ان تجد فيه داعياً الى السام فتقضي فيه مدة الترويض والراحة . وبفضل ما امتازت به هذه البلدة الوديعة الهادئة من السكينة الملطفة والنسيم العليل والجو الرائق الصافي كل الاناس الذين يشكون

من النوابات العصبية سيجدون في هدا المكان بالتاكيد وسائل استعادة قواهم وصحتهم كما كانت عليه في اوائل ادوار الحياة .

وفارق الركب هوزا بعد ان ارتفعت الشمس فى الافق كثيراً قاصدا الوصول الى مرزيفون فى ساعة تناول الشاى . فاقبل فرسان اخر من سائر العناصر تعدو جيادهم ضبحا لملاقاة رجال الوفد، فاصبح الحرس المحدق بجانبي الوفد مجتازاً هـذه الطريق البديعة وهو يزداد فخامة امام النظر كلما ازداد تقدماً فى سيره .

وكان الاستقبال فى هـذه القرية الـكبيرة من ابهر وافخر ما يكون . فقد صعدت فصلة من « الـكشافة » رصيف الحرس امام دار البلدية المشرفة على ميدان فسيح وشرعت الخطب تترى من الجانبين .

وطفق الفتيان والفتيات يترنمون بالاناشيد الوطنية ، بل ان تلميذا صغيراً لفت انظار الجميع بالفاظ حركت عواطفهم اذ قال : « نحن مواطنو ذلك النابغة الوطني العظيم قره مصطفى باشا الذي قاتل بمنتهى الشجاعة والاقدام فى البلاد الاجنبية ، والذى قضى نحبه بعيداً عن اهله وصحبه فى سبيل عظمة وطنه ومجده . فنحن نعرف ونقدس التضحية السامية التى تقضى بها الضرورة فى ساعات الحرج التى تصاب فيها الشعوب بتطورات التاريخ البشرى

التي لا يمكن توقيها . الا اننا لا نقبل الضيم ولا نحني رؤوسنا صغارا لاننا من فصيلة الظافرين الغر النبلاء » .

ولهذه القرية أن تتيه فخاراً باحتوائها مسجداً من أعجب المساجد الموجودة في المملكة العثمانية . وقد شيده الخليفة السلطان على النسق العثماني البحث تخليداً لذكرى انتصارات قائده مصطفى باشا الذي كانت ولادته في مرزيفون .

ولهذا المسجد فناء واسع في وسطه عين متفجرة تستخدم مياهها للوضوء وتنهض فوقها سقيفة كبيرة مستديرة رسمت في داخلها مناظر أهم المعارك التي حدثت في فيناوفي بودا تحفها أسلحة ذلك العهد ، وترفرف الملائكة باجنحتها فوق هذه المناظر كانها محافظة على ذكرى تلك الايام الخالدة ببطولتها العجيبة ومجدها التليد .

وتنهض حول هذه العين ثلاث شجرات ضخام طوال عتاق يرجع عهد غرسها الى زمن تشييد هذا المسجد ، وهي تخبأ في أغصانها الوريقة الظليلة المسترسلة بجلالها في الفضاء سر تلك الطرق المؤدية الى تلك البهجة وذلك الرواء .

وكان هذا النهار عاصفا مكفهراً ، واحتجب وجه السماء بحجب كثيفة من الغمائم الثقال ، وغشى الظلام الافق بدرجة مرعبة . افكان هذا نذيرا بما يجنه الغيب وراء ستار المستقبل من الهموم

والارزاء ! فبعد ان كانت الشمس تفتر عن ابتسامات متالقة جذابة في وسط الربيع المتهلل الوضاح اخذت هذه الدم ترسل على مقربة من انقرة وابلها الهطال او بالاحرى تمطر جميع القلوب صيب التطير والخبال .

وقائمقام مرزيفون رئيس احدى المدفعيات البرية سابقاً ، ترامت شهرته في الافاق بقوته العضلية من جانب وبخبرته العظيمة في سداد المرمي من جانب آخر ، حتي لقد اطلق عليه لقب « صياد الارانب بالمدفع » ؛ وعلى الرغم من تجهم الافق وقصف الرياح العواصف فانه قام برسوم الحفاوة والاكرام في موقعه بدرجة مدهشة .

وكان الانجليز على اثر الهدنة قد تغلغلوا في جوف الاناضول حتى بلغوا مرزيفون ، وبما ان احتلال هذه المدينة لاينطبق عليه أي شرط من الشروط التي قررها الاتفاق ، فقد اضطروا بناء على انذارات قائد الموقع الذي كان اذ ذاك ذلك البطل الجسور رأفت باشا ان يتخلوا عنها .

والخلاصة انه كان لابد لنا من مغادرة هذه البلدة التاريخية في بكور الصباح التالي لاننا لانزال في حجة الى قطع مسافة طويلة من الطريق . وبعد ان اغززنا السير ستين كلو متراً بلغنا

أخيراً تنيورم حيث حللنا بفندق الاناضول .

وهنا اتيحت تلاوة بلاغ رسمى صدر حديثا ينبيء بحدوث تحقيق دقيق مع ضابط اغريقى قبض عليه فى قرية تلتهمها النيران ، فلما سيق الى الاسر اعترف فى خلال التحقيق جهاراً بصدور الاوامر الى الضباط اليونانيين بصفة خاصة . . . بذبح ونهب واحراق كل من يصادونه او يلوح لهم فى طريقهم توصلا الى افقار الامة العثمانية واسقاطها الى الابد فى هوة الشقاء والبأساء فتلبث خامدة فقدة قواها وتهلك تحت اصر الفاقة الميئسة ولا تقوى على النهوض والظهور مرة اخرى ابد الدهر .

وانها لطريقة غريبة فى تهذيب وتحضير الهمج المتوحشين واشرابهم روح المدنية الحديثة ! . . . وما اعظم تلوث الحرب الصليبية الجديدة بالدماء التى لاتذكر بجانبها ما اريق منها في الحرب الصليبية التى اضرم سعيرها القديس لويس منذ ستة قرون ونصف قرن قبل الآن ! ! !

وفيما كانت هذه التأملات المؤلمة تمر على البال اذا بآلات موسيقية من ذوات الاوتار تبعث بنغماتها الشجية على حين فجأة فتحرك كوامن الاشجان ، يوقع عليها موسيقاريون متفننون انغاماً رخيمة تترنم بالعذوبة المتناهية والفتور الذى لا يمكن التعبير عن

كنهه السائد على هـذا الشرق الذى يلبث على الدوام عرضـة للاضطهاد المنظم .

ان المـكافحات والآلام والغصص والعبرات المنبعثة من هذه الانغام المتناهيـة فى الشجو كانت تتوافق مع حزن جميع الاهالى الذى لايوصف ومع الاكتئاب الشديد المخيم على نفوس اعضاء الوفد الذي انتدبته الامة ليمثلها لدى دول الاتفاق وهى اليوم تحتفل بما آبه .

الرسالة الثالثة

٢٤ ابريل فى محطة ياخشى خان

لقد ظلت الطريق التى يسلكها الركب الى تشيورم بديعة وقابلة لسير المركبات براحة تامة ، ولكنها بعدمفارقة هذه الناحية الى بلوغ سونغورلى التى بلغها الركب فى الساعة السادسة مساء بعدعناء شديد ، صارت سيئة الىدرجة لايمكن تصورها . فاقتضى الحال اجتياز اكثر من خمس عشرة مرة مجاري من روافد نهير قيزيل ايرماق للاجتهاد فى الوصول الى سونغورلى فى الوقت المقصود .

وان منظر اثنتين وثلاثين مركبة يحدق بها صفان من الحراس وهي تعبر الغدران من مخاضاتها لمن المناظر الفريدة التي تصبو الى رؤيتها الابصار

وبعدمغادرة تشيورم انتشرت اشاعة غريبة بين رجال الوفد فاتخذت على اثرها وسائل حذر وتدبر للمحافظة على الوفد مما قيل عنه انه هياج سائد من قبل سكان سونغورلى الذين بصفتهم جميعاً علويين على التقريب اى شيعيين فهم على مايظهر يضمرون مشروعات معادية للحكومة وقد بلغ من ضعف ايمانهم بحسن نية

الحكومة ان تمشت السعايات الاجنبية بينهم وصدقوا بعضها : فمن مقتضى الاشاعة المتداولة على الالسنة والتي تؤكد صحة ما ترويه ان هؤلاء القوم يحسبون ان كل من لم يكن سنياً لا يلبث ان تستأصل شأفته على أثر ابرام الصلح .

وما هذه المكيدة الا من عبث الطفولة واوهامها التى تحاق حولها مخيلات الغربيين الذين بنوا آمالهم على جهل الجمهور الشرقي المتفق عليه فى تصديق امثال هذه الدسائس غير حاسبين أقل حساب للعلائق الوثيقة التى تربط سائر المذاهب والفرق الاسلامية بعضها ببعض !

ومصداقاً لتغلب الروابط الدينية على الدسائس الاجنبية أقبل قبل بلوغ ذلك المحط الليلى فوج عظيم من أعيان وسراة سونغورلى وعدد كبير من الضباط يدعون الوفد الى تشريف وليمة أعدها لهم عمدة البلدة فى ذلك لمساء نفسه .

وكان تناول اكلة العشاء فى دار البلدية ذا فائدة عظيمة ، فان الوجهاء كانوا غضاباً على الاروام ، وقد اخذوا يقصون على الاسماع تفاصيل حوادث الاضطهاد والاعتداء التى احكم "مدو تدبيرها .

وقد انتهزوا هـذه الفرصة السانحة لتجديد الاعراب امام بكر سامى بك عن عواطف اخلاصهم الاكيد وثقتهم التى لا حد

لها بالحكومة التي وقفت نفسها للكفاح بشجاعة متناهية لاجل انقاذ الشرف الوطني . ثم قالوا انه على الرغم من كثرة الجنود النظاميين الذين ذهبوا من بلدتهم للانضمام الى الجيش العام الذي يقاتل الآن على الجبهة ، قد خف عدد عظيم من الشبان المتطوعين الى ساحة الوغى لمساعدة اخوانهم على تحرير ارض الوطن المقدسة .

فأظهر رئيس الوفد آيات بلاغته ومنتهي نبوغه ، وبفضل ما القاه في هـذا الاحتفال الباهر من الحقائق الواضحة والآراء الصائبة والحكم الجليلة تبددت في هذا المساء سحب الشك وزال بتاتاً كل سوء تفاهم كان من الجائز ان يظن وجود اثر له في العقول.

وكان قائد هذا الموقع رجلا عظيم الايمان حضر معركة غزه الهائلة ولم يفقد ذرة من رباطة جأشه ولا من ثقته العظيمة بالمستقبل الباهر ؛ وقد حمل بين اسرى العثمانيين الى مصر ، وعلى أثر ايابه من دار الاسر انضم الى صفوف الجيش العامل من غير ان يعمد الى الراحة هنيهة من الزمن .

وقبيل الهجوم الرومي الثاني بمدة وجيزة اخذ يوالي الصلوات والدعوات الحارة الى الله تعالى ، فغشيه فجأة الهام مبشر اطمأنت له نفسه . فشرع على الاثر بجمع سائر المركبات والعربات على اختلاف انواعها من جميع اطراف هذه الناحية لينفذ خطته التي رسمها في

فكره بمحض ارادته ؛ ثم ارسل الى الجبهة من غير ان يراجع رؤساءه كل الذخائر التي تحت يده حملا على عاتقه وحده تبعة هذا العمل الخطير .

وفيما كانت معركة اين اونو — اسكي شهر بالغة اقصى شدتها اذا بذخائر هذا الضابط الغيور قادمة كنجدة اقبلت في ابانها ، فكان لها حظ لا يمكن تقديره في رجحان كفة الكرة العثمانية التي طبقت شهرتها التاريخية الآفاق .

وعلى اثر مشروعه المبتكر المكلل بالظفر ارسل اليه الزعيم الاكبر كتاباً يبسط اليه فيه تهنئته وثناءه العظيم

ان الحوادث هي التي تظهر بمفردها اقدار الرجال ؛ وماقيمة الرجال الحقيقية الا باعمالهم . وان النادرة التي اوردناها الآن لتثبت باقوى دليل صحة هذه النظرية التي لامراء فيها .

ولكن كم عدد اولئك الذين يستطيعون في هذه الآونة أن يفخروا بانهم ادوا ما عليهم من الواجب بطريقة فعالة ، . ان يزعموا انهم تركوا اثناء حياتهم المنعزلة خطاً واضح الضوء يرسم آثار مرورهم في هذه الارض المنغصة المحروبة ؟ ؟

وارتحل الركب من سنغورلى مبكراً في الصباح التالي ، واذا بالطريق قد عادت الى ما كانت عليه من البهاء ، واخذت المركبات

مدة ست ساعات اما تتبع فى سيرها مجرى قزيل ايرماق الفخم ، واما تنتهج السهل المحدق بهذا النهير ، ذا الخضرة الناضرة الباهرة والمغطى اجمعه بشتى الزراعات .

وبعد قليل وصل الركب الى قرية قرة بكير . وهنا تجلى منظر ياخذ بمجامع الالباب ، فقد اشرفت على الانظار سلسلة الاكمات الصخرية الممتدة الشهيرة ذات اللون الاحمر اللهبي المطلة على البحيرات الملحية فكان لها رواء لا تلتقى العين بمثل بهجته فى اى مكان آخر .

ولا يكاد البصر يصافح هذا المنظر الفتان المباغت حتى يصبح أخيذه فلا يقوى على التخلص منه الا بالعناء الشديد . فان ما احتواه هذا المكان من العظمة المدهشة ، اللون الذى لا مثيل له يلازم ذاكرة السائح مدة طويلة بعد التنائى عنه .

ثم اجتاز الركب جسراً كبيراً وشيك التداعى ، وهو احتياز محفوف بالخطر اذا ما اعتبرت جسامة الركب ، وانتهى المسير حوالى المساء عند محط يغلى ، وهو وسط تركمانى صغير .

وقرية يغلى هذه المحتفظة بكل خصائص ذلك العنصر الحرى الاسيوى ، وهو سلالة اولئك الذين أقبلوا من اقصى اغوار

« الالطاي » [1] مجردة من كل وسائل المعيشة الرغدة . وما ذلك الا لان هؤلاء المكافحين المغاوير ليست لهم حاجة الى الترفه ، فهم انما يعيشون على حالة الفطرة تقريبا . ولكن ما أعظم هيامهم بالطبيعة !

وليس سوى النظر الى مآويهم الضئيلة المحفوفة بهذه الحدائق الغناء ذوات النسائم العليلة والمرائى السارة الجميلة المنظومة على ابدع نسق وقد امتلأت نفحاتها الشذية وظلال اشجارها المثمرة وأراحت اولئك الذين ينشدون ملجأ فيها يقضون فيه سوادّ الليل ، ما يحمل الناظر على الاعتقاد بان هؤلاء الرّحل الذين لا يعرفون الكلل اختصوا كل ما أوتوا من حب وشغف بقطعة صغيرة من الارض المزهرة النضيرة .

والنساء فى ياغلى التى تكاد تكون شبيبتها برمّتها قد ترامت الى الجبهة ، هن اللوانى بتساندهن مع الاحداث بل مع الكهول بالمثل يزرعن الحقول ، وقد ثبت انه على الرغم من اشتداد وطأة الحرب الطاحنة زاد المحصول هذه السنة خمسين فى المائة عن المعتاد من محاصيل هذه الجهة فى الاعوام الاخرى .

---

(١) سلسلة جبال عظيمة فى أواسط آسيا بها مناجم ذهب وفضه مستغلة من قديم الزمان .

وكان استقبال التركمانيين للوفد ذا صبغة خاصة . فأقبل أكبر رجال القرية سناً ، وهو مسيقارهذه الجهة قديماً ، حاملاطبله وحوله جمهور من القرويين ، بينهم عازف بالمزمار ؛ فاستداروا على شكل نصف دائرة أمام الدار التى استقربها الرئيس ؛ وعلى أثر ذلك أخذ الموسيقار الكهل يوقع على طبله نقرات موزونة ، محنياً قليلا رأسه المشتعل شيبا ، بينما يجيب المزمار الخلوي ، وهو على بعد قليل عنه ، وفاقا لتوقيعه بنغمة حربية ، تختلج فى نبراتها كل حماسة ذلك العنصر المقاتل . واذ ذاك بدأ المجتمعون يرقصون على طريقتهم الخاصة بهم

وان هذا لمؤثر فى النفوس ومحرك للعواطف من قبل هؤلاء الاشخاص البسطاء الذين عز عليهم ان يقفوا مكتوفى الايدى امام تشريف الوفد فلا يقدموا له ما يدل على اخلاصهم اليه واحترامهم اياه ، فعمدوا الى اظهار حفاوتهم لممثلى الامة على اية حالة كانت بمنتهى ما فى وسعهم من ادلة الترحيب والتبجيل بهذا العمل المعرب عن الاحتفاء الطبعى .

وبعد الرقص المجهد انفض القرويون باجمعهم ، وجاء رب البيت الذى يقطنه بكر سامى بك ، وهو رئيس القرية ، وجلس الى جانب ضيفه على أبسط ما يكون فى العالم ، وأخذ يحادثه فى شؤن البلاد . وكان ملما بكل المسائل الداخلية ، فلذا فقد اخذ يخاطبه جاداً

فى القول وبخبرة مدهشة ، فوجه الى الرئيس اسئلة عن سفره الى اوربا وعن النتيجة التى تيسر الحصول عليها، بقدرة لا يمكن تصورها

وكان الرئيس قد اتخذ له مكاناً فى احد ركني الاريكة فشرع يجيب هذا الريفي الوطنى على اسئلته ويوضح له المنذا كل السياسية التى تعترض تسوية الحالة الحاضرة ، وهو ملتزم فى محادثته جانب الوداعة التى آثرت بها الديموقراطية الاسلامية وحدها المتبعين سنن النبي بصدق واخلاص .

وكان رجل الوفد فى هذه الاثناء قد استقروا فى عدة بيوت، سواء اصابوا قسطاً من الراحة ام لم يصيبوا ، اذا لم يكن لهم من هم سوى الاستكانة فى جنح الليل ، بل لقد كان نصيب نفر منهم المبيت فى العراء تحت سقف القبة الزرقاء !

واضطجع الرئيس على مهاد بسط له فوق الارض . وهذه حالة المرء فى زمن الحرب يظل دائما كانه فى ميدان القتال .

وانطلق الركب مبكراً فى الصباح . وكان شيخ القرية هو الشخص الوحيد الذي سار فوق متن جواده محاذيا مركبة الرئيس بكر سامي بك ، مظهراً فى أوضح مظهر ما ينطوي عليه عنصره المجيد من الفتوة والشهامة والوفاء .

واخذ السير تارة يحاذي قيزل ايرماق ، وآونة يتبطن سهلا عظيما

مغطي بالمزارع ، حتى بلغ الركب ياخشى خان قرب المساء .

وياحشى خان هي اولى محطات السكة الحديد الممتدة الى انقره من هذه الجهة . والمحطة والجسر البديع المصنوع من الحديد الذي يصل ما بين ضفتي النهر هما من عمل ضباط قسم الهندسة العسكرى . وقد انتهى مد هذا الخط اثناء نشوب الحرب الاخيرة .

والثكنات هنا كشأنها فى جميع البقاع الاناضولية ملأى بالاجناد ولا يلبث رائيها ان يشعر بمسحة من القوة تتمشى فى نفسه ونفحة من الثقة والامل تنهض حالته الادبية ولو كان من أشد الناس تردداً وايجاسا . ويتماوج الجو بخطرات الشجاعة والثبات ، حتى ليشعر المرء عند استرواحه هذه الخطرات بمنتهى الثقة الا سبيل الى التغلب بقوة السلاح على أمة باسرها موطنة نفسها على مواصلة الكفاح الى الفناء .

ولا يستطيع الناظر الى هؤلاء الجنود الغر المعاد نظمهم والدائبين على الكفاح مدة عشر سنوات ، ان يتمالك نفسه من الابتسام لدى تلاوته البلاغات الاغريقية التى تصدرها قيادة الجيش الرومى محتذية فيها حذو قيصر ، باعلانها جهارا « ان العدد المدحور المهزوم مقتفى اثره » . ولكن اين ؟؟!

ان اسيا الصغرى واسعة النطاق ، ولا يزال مجال العمل خلف

حدودها فسيحا جدا فى بقية القارة الاسيوية التى يتقلب فيها على جمر القلق عالم هائل لا ينتظر سوى اشارة واحدة ليشرع فى التماوج والاضطراب . . .

ولماذا لا تريد اوربا ان تقتنع بوجود قوة خفية عجيبة اشد مفعولا من قوتها المادية ؛

. . . .

وصح العزم على مبارحة ياخشى خان في منتصف الساعة الثالثة صباحا لان الزعيم الاكبر ابدأ بالتليفون برغبته في جمع نواب المجلس الكبير الوطني والوزراء ليحيوا أعضاء الوفد في محطة انقرة نفسها ، وان القطار الخاص الصغير الذي سيقل الوفد يجب ان يصل لتحقيق هذا المقصد ، في منتصف الساعة العاشرة صباحا تقريبا .

وانقضت مدة انتظار ساعة الصباح المحددة للرحيل فى الكتابة وقراءة الصحف واستماع التفاصيل والشروح التى لم تكن معلومة الى هذه الآونة عن انتصار اين اونو - اسكي شهر .

فغدا يستقر النوى فى انقرة المقدسة ، ولله الحمد الجزيل .

الرسالة الرابعة

أنقرة المقدسة فى ٢٦ ابريل

وأخيراً أشرقت أنوار أنقرة ، العاصمة المكرمة !

لقد كان بلوغها فى منتصف الساعة الحادية عشرة تقريباً من صبيحة الامس

وكان الجو بديعا رائقاً وتهلل الربيع الآسيوي يفيض سحره الباهر على جميع الاشياء ويغرق الطبيعة فى لجة من الضوء الساطع

ووقف القطار فى الخط الحديدي الاخير على بعد مائة متر عن المحطة ، ليتمكن الوفد من الاتصال مباشرة بالشعب الناسل من كل حدب وصوب بقصد اداء شعيرة التحية اليه ، وقد احتشد هذا الشعب المتماوج على طول الطريق الكبرى الممتدة بموازاة السكة الحديدية .

وكان رئيس الوفد واقفاً متحفزاً للنزول عند باب المركبة . فى حين ان جميع الاعضاء التزموا التأخر عنه قليلا . وما كاد القطار يقف حتى بادر بكر سامى بك بالانحدار من المركبة . ورؤي حينئذ ذلك الرجل ذو العقل المتناهى فى السمو والذكاء الذى استطاع منذ عامين ونصف حول أن يتناول بين يديه القديرتين

أزمة العالم الاسلامى ، وهو قادم لملاقاة رئيس الوفد .

ومصطفى كمال باشا ذو قامة متوسطة، رقيق، أبيض اللون مشرب بالحمرة الوردية ؛ له عينان زرقاوان حادتان نظرتهما تكشف الخفايا وتخرق الحجب الكثيفة . وجبينه المرتفع دال على النبوغ يكسوه قلبق أسود ذو صفة ممتازة جد الامتياز متسع اعلاه. ويشتمل ملبساً جبلياً سنجابي اللون ضارباً الى القتمة فى غاية البساطة الا انه بديع الهندام. وفى يده قفاز مصطبغ بلون الملبس وعصا صغيرة من الخيزران.

فتقدم بقدم مطمئنة يصافح رئيس الوفد مصافحة يتمشى فيها الود والولاء . فانحنى هذا معانقا مقبلا بحب واخلاص ذلك الذى التفت حوله شخصه آمال الجميع .

وبعد مصطفى كمال باشا . هرع الوزراء والضباط . والنواب والسراة ووجهاء انقرة الى التسليم على رسل السلام .

وعلى الرغم من الحفاوة والبشاشة والفاظ الترحيب المهذبة التى استقبل بها اهالي انقرة الوفد ، فقد كانت نظراتهم جافة تنطبع فيها سيما الأوصاب التى كابدوها فى ليالى العمل الموصول خلال كل المكافحات التي تتابعت .

وهؤلاء الاهالى المتجمعون فى انقره يكوّنون مجموعا عظيم الشأن صحت عزيمته على القيام بالواجب المفروض عليه كيفما كان

هذا الواجب شاقا هائلا .

ثم عطف مصطفى كمال باشا على أعضاء الوفد يقرأهم السلام وماهم الا الخلاصة المتخيرة من باقة الامة : مابين سياسيين وشراع وماليين : وضباط : وصحفيين : وكتمة أسرار : وبالجملة كل أولئك الذين كانوا يمثلون فى الخارج جزءاً من الوطن المحبوب غير منفصل عنه تقدموا بالمثل وأدوا واجب التحية المشفوعة بالاحترام .

وكان هذا التلاقى فى محطة انقرة بعد الاخطار المتعددة والصعاب المتنوعة التي صار التغلب عليها فى الاسابيع الاخيرة مما يدعو الى تحرك النفوس بشدة ، وأخذت القلوب تسبح فى لجة من الابتهاج عند رؤية هذه الافواج المتماوجة التى خيل اليها نظراً للحوادث المستجيشة الغضب التى تتلاحق بعضها ببعض — انها لن تتلاقى الا بعد غياب غير محدود :

وطفق هؤلاء الرجال الأباة اليقنون بعظمة المهمة المضطلال بها ، المعذبون على الدوام بسبب تشربهم روح الحرية والاستقمون والذين انما يجاهدون لاجل العالم الاسلامى بأسره ، يتصفحون وجوه القادمين الجدد بنظرات مستشفة مستفسره .

وظللت مراسم الاستقبال بضع دقائق ؛ ثم صحب الزعيم

الاكبر بكر سلمي بك يمنة وفوزي باشا يسرة وسار بهما محاذيا الخط الحديدي منتحيا وجهة منزله الصغير الظريف الناهض على جانب الطريق الكبرى غير بعيد عن المحطة :

وسار الوزراء والنواب وأعضاء الوفد جميعا في آثار أولئك الرؤساء الثلاثة زمراً متلاحقه .

وبعد المرور ببضعة بوت وكذلك بفندق صغير ذو شكل حديث الطراز بدا منزل محاط برحبة بديعة النسق على مدخلها جنود لازيون ذوو مناظر باهرة يتولون الحراسة ..

وقبل اجتياز الرتاج استقبل مصطفى كمال باشا جمهور المؤمنين به مسلما عليهم مستثنيا منهم الوزراء ورئيس الوفد وهزاده ، الذين بعد ان اجتازوا الرحبة دخلوا مسكن الزعيم الاكبر .

وعند مرورهم حمل الجنود اللازيون اسلحتهم مؤدين التحية العسكرية وهم فتيان غر الوجوه اصحاء الاجساد لونهم نحاسي ، مفتولو السواعد ، مدربون تدريبا لا يعتريه نقص ، اتزدهي قاماتهم العظيمة بثيابهم البديعة المحوكة من الصوف الاسود المطرز ، وتتجمل خصورهم بمناطق من الفضة المهدبة ، وتبدو على وجوههم سيما الابهة والاباء والتجهم تحت ظلال عمائمهم ذات الشكل الخاص بهم وهي سوداء اللون ذات اهداب من النضار تسترسل خلفها

عذبات مطرزة بوشي خاص .

وتقدم الزعيم الاكبر مستقيما في صعوده الى الطبقة الأولى التي يوجد على يسار مدخلها بهو الاستقبال . وكل ماهوموجود في هذا المكان مطبوع بطابع الوطنية البحتة . فالاثاث والاواني ، والابسطة والطنافس ، والستائر ، بل اقل الادوات الصغيرة والزخارف كلهامكسوة بالصبغة البلدية : وهي من صنع هذه البلاد ، وهدايا مقدمة اليه كل خاماتها من نتائج الاناضول وقد ابدعت صنعها الاكف الاناضولية في خلال هذه السنوات العصيبة .

والمتأمل في اثاث هذا المكان لا يلبث ان يجد بصره قد اتجه الى الطنفسة التي تكسو مائدة الوسط ، وذلك لان براعة التطريز جملتها بتسطير الآية الشريفة الشهيرة التي تم الاتفاق على اتخاذها شعاراً مقدساً منذ ابتداء هذه الحرب الغاشمة وهي : «نصر من الله وفتح قريب»

وعلى مقربة من الارائك المرقشة بنقط ذهبية سفعاء تنهض موائد صغيرة مستديرة من الخشب المنقوش أو من المرمر الاخضر وهو الحجر الرمزي لدى البكطاشيين ، وضعت فوقها منافض سجائر ، وعلب سجائر ، وعلب كبريت وكلها من الصناعات الاناضولية وهي على جانب عظيم من دقة الفن وسلامة الذوق .

وفوق الاريكة الكبيرة الممتدة عنة والمتبوىء فيها بكرسامى

بك واحد الوزراء تتراءى لوحة رمزية معلقة فى الجدار . ويحوي اطار هذه اللوحة قطعة من نسيج الحرير الرقيق الابيض بارز فوقها رسم سيفين متعانقين على شكل صليبي واحدهما مبتور ، وقد كتبت فيما بين قبضتى السيفين الموشيين بالحرير الاسود جملة معناها « ان سيف الحق يمحق دائما سيف الباطل »

وما ذلك الباطل الا محاولة الاستيلاء وهما على امة لها حق الحياة وقد حكم عيها بالفناء بالنار والحديد . . .

وامام هذه اللوحة ذات المغزيين المتمازجين اللذين يوضحان فكرة الاستقلال ، يحلق الفكر فى جو التأمل حتى يصل الى الحكم الجازم بالموت ، الذى اصدرته اوربا منذ بضعة اسابيع سالفة ، لانه لايوجد بين الاسلام والاعريق ما يجيز التردد ! . . .

ثم اخذ مصطفى كمال باشا بعد ان استقر المجلس بالحضور يتكلم ويفرق على الجميع — وهذا أمر مدهش — سجائر مصرية من أفخر نوع .

وبعد الانتهاء من تناول القهوة صار الكلام عاما بين سائر الموجودين ، فجري الحديث عن السفر الطويل الذى تم بمشقة ، وعن الحفاوة التى اظهرتها اوربا للوفد ، ثم العودة الى الارض المقدسة والتحمس العظيم الذى ابداه الاهالى المطالبون بحقوقهم

التاريخية المقررة من ازمان طوال .

وكان الزعيم الاكبر تارة يصغى الى مايقال ، وآونة يتكلم بما يقتضيه الحال ، وقد قال اخيراً فى معرض الايضاح : « أجل أن الامة باسرها قد ادركت ، بعد العذاب والجهاد ونشر الحقيقة بكل الوسائل الممكنة ، ان اعداءها يريدون اخماد انفاسها ، ولذا فانها هبت بحذافيرها كرجل واحد مرتمية فى حومة الوغى عند ما اشتد الهجوم اليونانى »

وبعد الفراغ من المجاملات المعتادة انصرف الوزراء ؛ وبقى فى المجلس بكر سامي بك وصديق مصطفى كمال باشا الخاص المطلع على كل اسراره هـ زاده [1]

ولما خلا الجو لهؤلاء الثلاثة قال الزعيم الاكبر :

« على الرغم من شدة تعبك فانى مستبقيك لتتناول طعام الغذاء معى . ولكن لاتخف فانى ساخفف عنك السبء فاتولى الكلام

---

(١) لاعتقادى بانى مسموح لى تمام السماح بذكر ما أجد من المفيد ذكره فاني لا أتأخر عن نقل مقتطفات من تلك المحادثة الثلاثية ، التى وان لم تكن لها اهمية تاريخية لقراء رسالاتي ، الا انها بالتأكيد تلقي بعضاً من الاشعة على هذا الرجل العظيم فتظهر حقيقته التى صار اخفاؤها أو تشويهها فى الغرب فتصوروه وهناك فى صورة اخرى لاتنطبق على الواقع .

بدلا منك فى هذا اليوم . لقد ذهب فكرى اليك ، واخذت اتصور مقدار دهشك منذ ما يصل الى سمعك نبأ تراجع الجيش المدتر عسكريا قبل وقعة اين اونى »

ثم ضحك وقال : « وهـذا هو السبب فى الاشارة البرقية التي ارسلتها اليك ليزول روعك وتظل مطمئنا »

قال بكر سامي بك مستدركا . « على اننا لم تصل الينا اية اشارة برقية ، سوى تلك التى تحمل الينا على جناحيها السعيدين نبأ الانتصار الذى تكلل به ملتحم اسكى شهر ، بيد ان اضطرابنا كان بالتأكيد عظيما لاننا لم نكن ندرك شيئاً من اسرار هـذه الحركات العسكرية التى ظلت خافية علينا تمام الخفاء . ان ثقتنا بجيشنا لم تطرأ عليها خلجة من الشك آونة ما الاّ ان الانبـاء التى نمت الينا عن الارتداد الاول بعد المفاوضات التي دارت فى مؤتمر لوندره واعترف اثناءها خصومنا انفسهم جهرة بما لجنودنا الشجعان من القيمة العظامة فى القتال ، كان من شأنها ان تحرك فى نفوسنا عاطفتي القلق والاكتئاب » .

فابتسم الزعيم الاكبر ابتسامة منطوية على الم ومرارة ثم قال :

« فى الوقت المناسب الذى كنت أوربا تعرض فيه علينا مقترحات للصلح سمحت الاغارقة بان يتخذوا خطة الهجوم ضدنا

فما الذى كنا صرنا اليه الآن لو أننا استسلمنا الى وعودها الخلابة وسبحنا فى لجة من الاماني الكواذب ؟ فاية فائدة امكن استخلاصها من خداع وغش بعض أولئك الممثلين المزابين البكم الذين ظهروا بأدوارهم المفتعلة فى مسرح مؤتمر لوندره الشهير، الذى صار لنا درسا تاريخيا لايمكن تناسيه ؟ »

وبعد ذلك شرع الزعيم الا كبر قياماً بالواجب يشرح بعناية سائر التفاصيل المختصة بالاعمال الحربية وأوضح بدقة فوق العادة التقلبات التى تراوحت بينها المعركه.

وهنا تغير المنظر : فبعد أن كان الذى يتكلم لطافة ووداعة هو رب البيت الحفي باضيافه ذو الشمائل الرقيقة اذا به قد تحول الى القائد الذى يؤيد بالحوادث المؤكدة ماقام به جنوده من الاعمال الباهرة فى القتال الاخير. وليظهر كيف اضطر العدو الى الهجوم فى النقطة التى كان هذا الزعيم الحازم قد عينها بالتدقيق وطبقا للخطة التى رسمها هو بنفسه؛ وأخذ يذكر الطريقة الحمقاء التي اندفع الاغريقيون بمقتضاها في ترامیهم الى الامام ، وهم يسيرون علىغير هدى وليسلهم مقصد معين يرمونالى ادراكه. معتمدين على تفوقهم العددى : متباهين بادواتهم الحربية الخيالية الى غير ذلك :

ثم قال مصطفى كمال باشا مستتبعا بيانه : « لقد قام كل رجل من رجالنا الغيورين بواجبه خير قيام منجزا عمله بمنتهى الاحكام والاوامر التي كانت تصدر لم يكن ثمت حاجه لمراقبه تنفيذها لانها كانت تنفذ من تلقاء نفسها ، لان الضباط الشباز ماهرون وذوو أقدام باهر وقد أتت المدفعية بالمعجزات الباهرات وبهذه المناسبة اذكر أن رئيس احدى انبطاريات رأى مدمني الاعداء يستخدمون مدافع الهاون بمهارة ونجاح : فجمع كل مدافعه وصوب السنة نيرانها على مدافع العدو الهاونية ، وبعد انتهاء المعركه بحث فى مواقع العدو فألفى ثاني تلك الفوهات الفظيعة اصبحت فى حكم العدم :

ولقد أحسن العدو الى نفسه بالاعتراف المتقدم ذكره عن كفاءة عساكرنا وشجاعتهم ، وهذا الاعتراف الذى لاسبيل الى إخفائه يشرف قدره .

وأما من جهة الفرسان فقد جدوا فى آثار الاعداء يضربون في اقفيتهم ولا يدعون لهم سبيلا الى الراحة أولم شعثهم . حتى بلغ من اشتداد الحرج على الاغريقيين انهم لم يستطيعوا اثناء ادبارهم امام فرساننا أن يقتلوا أحدا أو يحرقوا دارا : وظلت هذه حالتهم حتى صدر الامر الى الخيالة بالكف عن مطاردة أولئك

الشاردين ومذ هذه الآونة أي مذ الانقطاع عن المطاردة ابتدأ اغراق البيوت بالبترول ثم ارسال السنة اللهب عليها .

وهنا بدأ الزعيم الاكبر يسرد سلسلة الفظائع التى ليس لها اسم فى معجمات اللغات ، وأنها لفظائع تقشعر من هول سماعها الابدان :

ثم قال : « اذا قدر للعدو أن يعاود الهجوم مرة اخرى ، فانى بفضل الله ومحسن ثقتى بعنايته واعتماداً على رجالى الشجعان عظيم الرجاء فى تغلبنا عليهم مرة اخرى طبقاً لخطة انجزنا اعدادها [١] »

وفى نهاية الساعة الاولى بعد الظهر نزل الحاضرون الى الطابق

---

(١) الا ان المرء يفكر والله يقدر ! وماذا عسى ان تصنع تركيا امام التفوق العددي الآخذ فى الزيادة على الدوام بدرجة ساحقة لدى عدو غني جداً بالذخائر وهو حر فى اجتياز الدردنيل وفى عبور مضيق البسفور امام اسطول الدول المتفقة وينزل عساكره على سواحل البحر الاسود وهو مشجع على عمله ، وفضلا عما لديه من الادوات الحربية الهائلة ومن جملتها عدة من الطيارات فانه حاصل على قوة ادبية لاحد لها . . . نعم ماذا عسى ان تصنع ازاء هذا العدو الامة العثمانية الموجهة الهمم الاجنبية الى اعدامها واشقائها والمصابة بضروب من المحن والآلام لم تعرفها امة من قبل فى العالم باسره حتى الآن ؟

الارضي حيث توجد فيه قاعة الطعام : وهي قاعة منظومة على النسق العثماني البحت

وقد اعدت المائدة لجلوس اثنى عشر شخصا ، وتقدمت المآكل الشهية بنظام مراعى فيه أحدث ترتيب عصري .

وعم الحديث بين الجميع والم بسائر الموضوعات الا ان الموضوع الذى اصاب الاهتمام اكثر من سواه هو الكلام على الخطوط الحديدية التى تمدها أثناء الحرب ، ثم يلي هذا الموضوع التكلم على رقي الصناعات الوطنية .

وبعد الفراغ من اكلة الغذاء صعد المجتمعون الى قاعة استقبال المرقشة بالنقط الذهبية حيث شربوا القهوة ، وبعد هنيهات وجيزة استأذن الجميع الزعيم الاكبر في الانصراف فسمح لهم قائلا :

« تفضلوا واستريحوا من اتعابكم ولتكن مقابلتكم غدا على اتم سرور »

وقد خصصت سيارته المنتظرة امام الباب لنقل اثنين من أضيافه وكان الذي يتولى ادارة هذه السيارة سواق عسكري ، وكان على جانب هذا السواق جندي جالسا لا يبدى حراكا .

وانطلق الاتوموبيل مخترقا الشارع الاكبر ومتجها نحو المسكن الذي خصص لسكنى رئيس الوفد : وهذا المسكن كائن

فى مدينة انقره القديمة .

وكان قد خف الى منزل هذا الرئيس جمهور كبير من سائر طبقات الناس قادمين من كل ناحية لرؤيته . وعلى الرغم من التعب الذى لا يوصف لم يتهيا النوم الا بعد منتصف الليل بمدة طويلة ، عقب انفضاض المجتمعين وهم حاملون بين جوانحهم عواطف مختلفه حسبما تأثرت به نفوسهم من هذا السفر الشاق المؤلم فى اقصى انحاء اوربا .

الرسالة الخامسة

انقرة فى ٢٨ ابريل

لم تحن بعد الساعة التى يمكن فيها ابداء المعلومات الضرورية عن الحرب الناشبة فى آسيا الصغرى : فان سرد هذه المعلومات سيجيء مؤخرا فى الفرصة المناسبة . اذ لا يزال القتال جاريا فى مجراه المحزن الفاجع . وهذا هو السبب فى استحالة الافاضة فى تاريخ الحركة الوطنية فى هذه الآونة .

ان الصراع الناشب بقسوة والممتاز بكثرة ما اريق من الدماء فيه لا يزال ناشبا بعناد وعزم : وانه لفريد فى بابه .

ولم تعلم امة فى اوربا تخطت البطوله العظيمة التى امتاز بها هذا العنصر الذى لم يستمد يد المعونة من الخارج ، والذى ظل مع ذلك يوالى الكفاح لاجل تمتعه بحق البقاء .

وبسبب حرمانه من كل شيء من جراء الحصر ، فقد أصيب بخسائر وضحايا لم يسمع بمثلها فى سائر الاعصار ، ومع ذلك فهي لم تثبط عزيمته ولم تقعد به عن مولاة الذود عن ارضه المقدسة .

ان صلابة هذا الشعب ذى الاخلاق الوديعة اللطيفة فى هذا الموقف العصيب تعتبر من خوارق العادات .

فواحر قلباه عليك ايها الشرق التعس المتهلل المتلألىء الجذاب السابح فى لجة الاحلام ، الذى كانت اوربا المفكرة الرشيدة مولعة بالاعجاب به واطرائه فيما غبر من الايام !

« سمح الدهر بالامانى ولكن اين ولت وهل لهامن اياب ! »

اجل انه ليحق التساؤل عن تلك العهود المنقضية ؛ فقد خفتت اصوات اولئك المتغنين بصفات الشرق والهائمين بمحاسنه ، وذلك الانعطاف المتناهي الذى كانت تبدو مظاهره اذ ذاك تحول الى فتور وتحطم على صخرة الزمان غير تارك اثراً من عهد ذلك التعاطف المتبادل .

فهل كانت الصلات سهلة الانفصال الى هذا الحد ؟

أليس من المعلوم ان الهوة تستدعى دائماً وجود هوة أخرى ؟ واليس هذا التقاطع وهذا الاستخفاف من شأنهما زيادة الهوة انحدارا واتساعا حتى تصبح على توالى الايام مستحيلة الاجتياز ؟

أفلم تصب الانسانية بما هو فوق الكفاية من الكلوم الدامية اثناء الحرب الكبرى ؟

ان الفاظ العدل ، والحق ، والسلم ليست فى الحقيقة سوى كلمات عميقة الغور عويصة المعنى . . . ما دام لا يزال يوجد شيء لامراء فى وجوده وهو : حرب الاناضول .

والقوم فى انقرة اكثر تفكيراً وتاملا من سواهم فى سائر الجهات الاخرى ، وهم لا ينفكرون ينعمون النظر فيما يقع تحت ابصارهم من المرائى المحسوسة ، فانهم منذ أعوام طوال لم ينكفوا عن رؤية الجنود المتقاطرة من كل فج عميق ولم يلقوا اسلحتهم من اكفهم ويستكينوا الى الراحة وهدوء البال . . . . .

ان وصف حياة وعمل الرجل الذي طبع بطابع اسمه ذلك المشروع الذى تم انجازه منذ ابرام الهدنة الى الاذ والذي ينفث من روحه فى هذه البقاع الاناضولية التي اقصته اليها حكومة ذلك الوقت الضعيفة المافونة ، على اثر احتلال الاستانة بقوى الدول المتحالفة ، هو بمثابة القاء نظرة دقيقة على صورة الدولة العثمانية التى كانت تجود بنفسها الاخيرة فى ذلك الوقت المشؤم ومقارنتها بهذا العهد الذى يتولى الدفاع فيه هذا الرجل العظيم بشهامة واباءعن هذه الدولة البائسة ليمكنها من الحياة فى دعة وسلام .

ان مصطفى كمال باشا المستقر فى صميم قلب آسيا الصغرى والمقطوعة صلاته بكل جهة اخرى ، والمحفوف بالغموض والابهام والمصوبة اليه سهام الملامة والنقد من الدول الكبرى ، والمتابعة عليه حملات هذه الدول الغربية ، بلا مؤازر يشد عضده ولا ظهير يناصره ، لبث يعمل بهمة لا تكل ولا يتغلب عليها السأم لتحقيق

خطته العظمى التي ترمى الى الاستقلال الوطني . فهو كغليوم الصامت يحشد مشروعاته فى دائرة عقله ، وكل مايصبو اليه فى حياته يمكن حصره فى هـذه الكلمات الاربع : « المكافحة ، والامل ، والاقدام ، والحذر »

وهو كأمير الاورانج فلما يفوه بالالفاظ واذا ماتكلم كان قوله وجيزا ، ماضيا كالحسام . وصوته المعتاد على الرآسة العسكرية فخم جليل . وهو لايستسلم الى احدما ، وما سمع مرة مايتبجح بعمل ذى مظهر خلاب .

وانكبابه على العمل لامثيل له ؛ فهو يدرس بنفسه وبمنتهى الدقة والاحكام كل الاوراق والمستندات التى تعرض عليه لابداء رأيه فيها .

وبما انه يهتم بالاطلاع على كل أمر ، وهو على علم تام بسائر المسائل الشرقية ؛ وله نظرة اجمالية فى مجموع المسائل الغربية ، فانه يدهش اولئك الذين يقتربون منه بصواب آرائه وملاحظاته .

ويتطلع مصطفى كمال باشا بعين مترصدة الى الانسانيـة على الدوام كما يدقق النظر فى افق بلاده الحافل بالغمائم .

فمتى ترتفع الشمس المشرقة بعد احتجابها وتفيض اشعتها الزاهية مرة اخرى على محاسن آسيا الصغرى الجليلة العزيزة علينا

جميعاً الى النهاية القصوى ،

ويعمل مصطفى كمال باشا وهو متوطن فى انقرة ليمكن أهالى الاناضول من التمتع ولو قليلا بالاشعة المتلألئة التى قد تنفذ أحيانا من خلال البهمة الدائمة المستحكمة حلقاتها فوق الافوق

. . . .

ان ماتلقاه مصطفى كمال باشا من مبادىء التثقيف والتعليم عسكري بحت ، وقد اتم دراسته العليا فى المدرسة الحربية بالاستانة . وبما انه ذو ذكاء متوقد وذهن حاضر فقد استطاع ان يستفيد منذ نضارة صباه دروساً عملية من تجارب الحياة جعلته يرسم لنفسه مسلكا خاصا ظل منتهجه طول حياته .

ولقد توالت عليه من عوامل الاخفاق والألم والمرارة المتتابعة أحوال شتى تركت لها اثراً بينا فى حياته ان لم تكن قد غمرتها برمتها فصارت عاملا مهما فى تكوين خلائقه . فاصبح على اثر ذلك عليما بدقائق الطبيعة الانسانية ؛ وظل يشاهد بغير اهتمام دسائس هذا العصر المحزن التى تجاوزت بغرابتها حدود التصور . وقد اصغى الى الصيحات المختلجة التى انبعثت من فم الامة المختنقة من غير ان يدفعه الهلع الى التعثر والسقوط ، كما انه بصر بما يؤول اليه استبداد الزعيم الذى يتناول بين يديه ازمة السلطة ولا يريدان

ينقذ امته من حكم الارهاق والضغط الذى كان متبعا فى العصور الوسطى .

وبما ان الأمور مرهونة باوقاتها فقد صار من نصيبه ان يشهد تداعي اركان ذلك الملك الذى لم يكن فى عصره من هو اقوى منه عزماً واشد بطشا عبد الحميد خان الذى لم يكن بد من سقوطه .

وقد حملته هذه الحادثة المدهشة على أن يفكر بإنعام فى مبادئها وخواتمها ، فخرج من هذا التأمل بخلاصتين جوهريتين وهما :

اولا — أن كل أمير ولو كان خليفة جليل القدر ذائع الصيت تنحنى امامه أعظم الهامات خضوعا ورهبة ، لا يمكنه أن يظل طول حياته متغلباً على النهضة الوطنية التى ترفع شأن بلاده ، وان لا بد له من التهاوى عن دست تحكمه فى نهاية الامر من جراء سوء سمعته وانصراف القلوب عنه .

ثانيا — أن الثورة اذا أحكم نظامها وعولج بمهارة وذكاء تدبيرها فانها تؤدى الى الغرض المقصود منها بدون اراقة دماء غزيرة .

وظل الزعيم الاكبر بعد ذلك غارقا فى لجج افكاره . وانها لدروس ذات شان خطير . ولم يكن يولى ثقته اذ ذاك الا افرادا قلائل جدا . وأولئك الذين كان يثق بهم من خيرة الاشخاص الذين عرف بواطنهم وخلائقهم حق المعرفة . ودوام على

اعتكافه هذا عن الناس وادمانه على تأمله العميق المديد اكثر مما كان يفعل ذلك من قبل .

وقاتل مصطفى كمال باشا بشجاعة فى طرابلس الغرب . وأتاحت له عيشة الصحراء فرصاً موافقة تمكنه من اظهار مقدرته على تحمل حياة التقشف والجلد .

فهنا لك عرف كيف يصبر على الشظف والحرمان من اكثر مطالب الحياة المدنية وتدرب على الانصياع لما تقضى به الشدائد والازمات وما تتطلبه مقتضيات الاحوال من سائر انواع التضحيات .

الا انه من جهة اخرى أخذ يتقدم بهوادة فى المجال العسكرى . ولقد كان بعض من رفاقه الذين رزقوا من الحظ اعظم مما أصاب هو منه جدهم الدهر بهتان من المجد والفخار وبعد الصيت ، فغطوا بسمعتهم على شخص هذا الضابط الشاب الملتزم جانب العزلة والسكون

وقد وجد اثناء الحرب الكبرى فى عدة جهات من مواطن القتال ؛ الا انهم لم يجعلوا لاسمه خاصة شأنا مذكورا .

وأخيرا استقدموه الى الدردنيل ، وهنا لك تخيره ليمان فون ساندرس من بين عدد عظيم من القواد الآخرين لتلافى الحالة المعروضة لاشد الاخطار .

فكان دفاعه مجيداً مقروناً بالبطولة وفوق مجهود البشر ، بيد ان الجنود الذين اجهدهم القتال ، واشتفت قواهم الاعمال ، وقضت على كثير منهم قذائف المدافع المتوالى انطلاقها بغير انقطاع حتى لتكاد تكون حمم بركان منفجر ، قد قاربوا استنفاد قوة مقاومتهم . وتحرجت الحالة براً وبحراً ، واقبل الخطر الداهم منذراً من كل جانب ؛ من غير ما توقف ولا تباطؤ ، فكاد يذهب بعقول الحماة المجاهدين الابطال الذين ستخلد ذكراهم العاطرة على توالى الاجيال .

ويقصون فى هذا الصدد ان المركة تكللت بتاج الظفر بطريقة تعتبر من خوارق العادات : فان مصطفى كمال باشا وقف فى وسط اجناده ووابل القذائف ينهل من كل صوب كالغيث المدرار وخاطبهم مستجيشاً متهفى من حميتهم بقوله :

« ايها الجنود انى أرى العدو يجود بانفاسه الاخيرة ، وقد التوى على نفسه وبدأ ينسحب من الهيجاء ، فهلموا بالارتماء عليه قبل تمكنه من الارتداد ، واسقطوا عليه سقوط الصواعق الماحقة وانتقموا منه لزملائكم النبلاء الذين تواروا فى بطن هذه الارض المقدسة » .

واذذاك اخترط حسامه واندفع مهاجماً فى مقدمة شرذمة من الابطال

المغاوير مرتمياً على العدو بشدة لا يمكن صدها ، فدفعت هذه الجرأة المتناهية بقية الجنود الى التحمس والاقتداء برئيسهم وزملائهم فكان عملهم هذا هو النتيجة النهائية لهذه المعركة ، لانهم بوثوبهم الهائل وعنادهم الذي لا يطاق وقفوا في وجه العدو حائلين دون تقدمه حتى نقلت من المؤخرة الى المقدمة المدافع الغليظة وارسلت شواظها الصاعق على العدو ؛ فأعقب ذلك اخلاء شبه جزيرة غاليبولى .

الا انه على الرغم من وضوح عمله الباهر ، وعلى الرغم من نتيجة المعركة فان اناساً آخرين هم الذين جنوا ثمار هذا النصر المبين الخالدة ذكراه الى الابد ، وأرسل الى جبهة اخرى يقاتل فيها فذهب اليها وهي تتعثر في خطاها وتوشك أن تسقط في ايدى عداها ، واضطر بحكم مجرى الامور ان يعتزل ميدان الظهور ، وهو منطو على الم في النفس ومرارة .

على انه لم يتأخر عن القيام بواجبه واتفق مع رأفت باشا الذي كان اذ ذاك في غزه على ان يطلبا عدة مرار نجدات قوية . الا ان صوتيهما المتعاليين كانا يذهبان ادراج الرياح : وما ذلك الا لان الدولة العثمانية التي اندفعت في حرب مقرونة بسوء الحظ وليس من ورائها مطمع يستفاد ، كانت كل قواها تقريبا متوزعة خارج أراضيها . فالعساكر متفرقة الى اجزاء منفصل بعضها عن بعض

فى اماكن متعددة ؛ فهناك و غاليسيا جانب منهم ، وثمت فى ايطاليا جانب آخر ، وهنالك فى القوقاز قوى ضاربة فى نجودها ، فما تخلف من القوى فى داخل البلاد لم يكن كافياً للذود عن حياضها . وتوالت الكورات المحزنة قاضية على خيرة الاجناد واشجعهم بانطمارهم تحت طبقات الجليد ، غير حاصلين على نجدات تشد ازرهم او امداد من المؤن والذخائر يدفعون بها غائلة الجوع وطائلة العدوان .

وستظل صار يكاميش باهوالها فى ذاكرات سائر الرجال كما هى منقوشة باحرف من نار لاتخبو فى ذاكرة أحد اولئك الوطنيين الالماس (١)

---

(١) ان السيرة التي سردها رئيس فرقة من جيش القوقاز وهو القائمقام اديب بك وهى احدى النوادر الصغيرة من ذلك المنظر الرهيب لخليقة بان تدون هنا . وهذه السيرة عباره عن ماساة . فقد كان الاى مارأى فى عودته الى القريه ليأخذ قسطه من الراحه . وكان البرد والجوع قد نالا من رجال هـذا الآلاى منالا فظيعا فاخذوا يتحاملون وهم سائرون على الجليد والبستهم خلقة وارجلهم تسوخ فى الجليد بغير احذية . وانه لمرأى مفزع فتقدم القائمقام اليهم وقال لهم . « نعمتم صباحا ايها الرفاق » فاجابوه . « نعمت صباحا » قال القائمقام . « خبرونى هل ينقصكم شيء من مطالبكم الضرورية وهل تشتهى نفوسكم شيئا ما كائنا ما كان ؟ » فكان الجواب « لاشيء ، شكراً لك » . فتمالك القائمقام نفسه وصاح . « ليرافقكم الحظ

وبهذه الطريقة لم يتيسر جمع القوى اللازمة وحشدها فى المواقف الحرجة فأدى هذا الامر الى سقوط مصطفى كمال باشا فى وهدة اليأس : ولم يكن هذا الزعيم موافقا على آراء ولاة الامور لذلك العهد بل كانت له خطة عمل خاصة به مستقلة فى نفسها .

وشاء القدر المحتوم الا ان يزيد فى غصته فقسم له ان يكون فى الاستانه اثناء ابرام الهدنة فرأى عاصمة الاسلام التى انقذها دفاعه الباهر المجيد عن الدردنيل اصبحت فريسة لكل الفظائع والاهوال .

وكانت هذه هي المرة الاولى التى سقط فيها مقر الخلافة تحت نير الاحتلال الاجنبى ، فان القسطنطينية ترزح فيما غبر من

السعيد وليمنحكم الله ويقويكم على القيام بالواجب » فقابلوني على هذا الدعاء الصادر من اعماق قلبي لهم بهتاف عال رنان ينبعث من تلك الصدور المفعمة بالاشجان . « ليحى الوطن »

فلم يستطع القائد عصام ان يتغلب على عواطفه واطلق ساقيه للريح ليختفى من امام ابصارهم على عجل كى لا يروه ودموعه تنحدر من مآقيه على محاجره . ولقد قال فيما بعد . « لو اننى ساقنى الجد العاثر الى توجيه هذا السؤال الى الاى أوربى لكان الجواب ان يطلق علي احد الجنود رصاصة تودى بحياتي ، لان هؤلاء المساكين فى اشد العوز الى كل شىء وانا اسائلهم اذا كانوا لا ينقصهم شىء . واذا كانت نفوسهم لا تشتهى شيئا ؟ »

العهود تحت هذا النير الثقيل ، واراء هذا الهوان الذى لا يغتفر الموجه ضد الاسلام باسره أرن واشتد جماحه ولم يعد غضبه يقف عند حد معين .

ولقد ذهب الظن بدون ادنى شك الى وجوب طعن الدولة العثمانية مباشرة فى سويداء قلبها ، لان القسطنطينية كانت العاصمة الناطقة بلسان الاسلام والمفوضة من سائر الاقطار الاسلامية . فكان لابد لضوء الهلال الباهر ان يصاب بالمحاق مادام صليب برلين الذى اعلن الحرب لم يكن نصيبه سوى تحمل الآلام القليلة والضغط المهين [١] . . .

---

(١) ليست المسألة المعروضة الآن من مسائل التعصب الدينى الذى ليس له أثر من الوجود لدى اشياع النبي ولا فى الاصقاع الشرقية الاسلامية ويمكن تأييد هذا القول بادلة عديده .

فبعد الحرب الصليبية التاسعة التى اعلنت في عام ١٩١٢ حينما نشب القتال فى البلقان كان المظنون ان الخلاف الشاجر بين الهلال والصليب قد سوى نهائيا . الا ان الحقيقة كانت على عكس ذلك . لانه اثناء اكتساح فلسطين عاد هذا الامر الى الظهور ثانية . والآن يعلن «بطل المدنية الغربيه » على الوتيرة التي كان يتبعها ريكاردوس قلب الأسد ، باصداره تصريحا للعالم اجمع متضمنا ان الحملة الموجهة على آسيا الصغرى يمكن اعتبارها كآخر حرب صليبيه . وقد اصدر هذا التصريح من معسكره العام بكور ديليو. افنحن اذن ازاء حرب صليبية عاشره ؟ لم يكن يدور فى الخلد طرق

وبما أن مصطفى كمال باشا قائد عظيم ، ومدافع بارع عن الدردنيل وقد اشترك فى كل المعارك العظيمة التى وقعت اثناء الحرب الكبرى ، فقد اعتبر من الاشخاص الذين يجب الحذر منهم واتقاء بأسهم ، الا ان السلطة المتوجسة خيفة منه لم تجرأ على نفيه [١] ولا على اعتقالة لانه لم يكن سوى ضابط كبير مخلص لدولته غير مشايع لاي حزب سياسي ، وليس له أي غرض يسعى لادراكه سوى القيام بواجبه .

فاستقر الرأي حينئذ على ارساله الى آسيا الصغرى بصفته مفتشاً عاما للجيش المنتشر فى تلك الاصقاع المتنائية . وكان المقصود بهذا الابعاد اتقاء خطر وجوده فى الاستانة .

الا انه لم يكن يتمنى ما هو أعظم من ذلك ، فقد أزفت ساعة ظهوره فى ميدان العمل ؛ لانه اىما يستمد القوة اللازمة لانقاذ

هذا الموضوع لو ان الغرب لم يتعرض لمهاجمة الشرق فى بعض صحفه الكبرى . وعلى الاخص في الفيجارو التي ظهر فيها المسيو دنيس كوشان كمبوق لصليبي هذا العصر . متناسيا بالمرة ان فرنسا اذا كانت محبوبة حقيقة فى الشرق فالفضل فى ذلك يرجع الى الدولة العثمانيه .

(١) لقد نفى على أثر ابرام الهدنة الى ملطه عدة من الوزراء والقواد واعضاء البرلمان العثمانى والشعراء كبار الكتاب .

امته ، من نفس آلامه الشديدة التى يعانى غصصها منذ أمد طويل . . .

ان مهمته عظيمة جداً . . . غير انه لابد له من متابعة الجهاد على كل حال .

أما الآن فهو هنالك ، جالس فى مكتبته ذات المنظر البسيط الموجودة فى بيته الصغير .

وترى على جلود الاثاث المزينة به غرف هذا البيت الصغير وقاعاته طابع الصناعة المحلية ؛ لان المائدة والارائك والكراسى كلها من صناع عمال انقرة انفسهم .

وقد تغطت جدر القاعة بتذاكر مصورة قادمة من سائر البقاع الاسيوية : وباسلحة بديعه مهداة من العناصر الاسلامية ، فمن فرود مزينة بادق النقوش وابهرها ، الى اسياف مرصعة باثمن الجواهر وأنفرها ، الى بنادق من ذوات الخرطوش ، فمناطق شائق رواؤها ، فخناجر عثمانيــة ذات مقابض نادرة المثال ، وكلها هدايا مقدمة من الشراكسة ، والاكراد ، واللازيين ، وغنائم مما جمع من الاسلاب الحربية فى الوقائع الظافرة تندمج فى جملتها تحف اخرى مضمومة بعضها الى بعض فى اشكال متناسقة . وفوق مكتبه الخاص الكائن في الركن الايسر معلق سلاحان واضحان

للعيان اتم وضوح بتألقهما الفتان فوق الجدار

وهـذان السلاحان هما خنجر أبدعت يد الفن المـاهرة فى صنعه أيما ابدع : ومسـدس [١] مرصـع بالعسجد . وقد قدمهما الجيش لرئيسه الاكبر اعترافا منه بالجميـل تلقاء الخدمات الجليلة التى قام بها للوطن المحبوب المفدى بالنفس والنفيس فى مسألته المقدسة .

وبعد الانتهاء من اجالة النظر فى هذه القاعة الخاصـة ، التي ترفرف فيها آمال واحلام ذلك البطل الشاب ومطالبه المشروعة ، يعود البصر كرة اخرى الى التأمل فيه هو بانعام ، واذ ذاك يخيل الى الناظر كانه يراه ناطقا هذه الالفاظ :

« سـيرى العالم اجمع ماسنقوم به من عظائم الامور ، وهل الامة التى خلفتها الاسلحة فى أصعب الاوقات تستطيع ان تعدل عن الجـد فى طـلاب حقوقها وتستسلم الى الفناء بالسـلاح الاجنبى ؟ »

ومن المؤكد أن الكلام عن هـذا البطل المغوار سيظل

---

(١) هذا المسدس الذى هو احدى الاعاجيب المدهشة اهداه الزعيم الاكبر الى هـ زاده تذكاراً لزيارته انقره .

متداولا فى الافواه؛ لانه بينما تنتشر نشوة الربيع فى نسمة الصباح العليلة وتنساب فى المكتبة ممزوجة بالاشعة المتألقة اذا بنظر الزعيم الاكبر يتصوب فجأة وينبعث منه بريق وامض يخترق الجدر ويستطير فى الافق الفسيح كبريق الحسام القاطع .



الرسالة السادسه

انقرة فى أول مايو

أن انقرة ناهضة على مستشرف من التلاع . وبما ان مباني هده المدينة منبسطة عرضا فهى مشرفة على واد نضير مخضل الجنبات ، ينساب فيه غدير متلألئ الماء . وتتراءى بيوتها الصغيرة المشيدة على الطراز العثماني وقد بدت عليها مظاهر القدم من توالى الفصول ذات الشدة المختلفة مابين أمطار وثلوج متتابعة ، الى رياح عاصفات ، فحمارة قيظ متلهبة : وهى مع ذلك متلاصقة عجيبة الوضع فى شوارعها وحواريها الضيقة المندمج بعضها في بعض :

وتنهض هنا وهناك طلول الاسوار القديمة ، مابين أقواس متداعية ، وعمد متهاوية ، وهى دمن متخلفة من عصر آخر سحبت عليها صروف الليالى ذيولها :

وتمتاز انقره بوضوح طابع الزمن المتقادم عليها :

والشارع الاكبر الذى يخترق المدينة باجمعها ويشطرها الى قسمين هوام السبل لانه مؤد الى دار الندوة العثمانية ، والى الوزارات وأهم العمارات المقيمة بها ادارات الحكومة ومصالحها

وهو محفوف على جانبيه بالمخازن والحوانيت الحافلة بسائر الاصناف والتى تعرض فيها جميع متاجر البلاد ، وفى هذا الشارع أيضا يوجد السوق الشهير الغريب فى بابه الذى يرى المرء فيه كل خصائص الصناعة الاناضولية وفنونها المتنوعة ، وكذلك الافراء الثمينة ، والجلود القيمة ، والطنافس ذوات الالوان الزاهية المتناسقة الآتية من قيصرية ومن بوردور .

وازاء عمارة دار الندوة توجد حديقة البلدية التى على الرغم مما أصابها من الاهمال الناجم عن شواغل الحرب ، فانها لا تزال حافظة بهاءها القديم الباعث فى النفوس الراحة والانشراح .

وهذه الحديقة موضع تلاقى المواعدين من الاصدقاء وراغبي التحادث ، لان نادياً يشمل قهوة ومطعما ينهض فى وسط المثلث المزهر ، وقد احاطت به مستظلات خشبية (أكشاك) صغيرة . وبما ان الاشربة الكحولية محظورة بتاتاً من البقاع الاناضولية باسرها فلا يتناول القوم فى هذه الاماكن البهية سوى المرطبات العذبة والشاي البديع سواء فى الصيف أم فى الشتاء .

وحظر المواد المسكرة بالغ منتهى الشدة ولذا وضعت عليها الرقابة الصارمة .

وكذا توجد خانات عظيمة الترحيب والحفاوة بزوارها ،

ومطاعم فخمة لمن يشاء الانفاق عن سعة وتوجد خارج المدينة مستشفيات باهرة النظام تتولى مهمة التمويض فيها سيدات تابعة للجمعية .

ولقد كانت المدينة فيما سلف ذات سعة كافية لقبول كل النازلين اليها ، الا انها بعد ان اشتعل فيها ذلك الحريق الهائل الذى التهم لهيبه حيا كاملا من انقرة ، وعلى الاخص بعد ان اصبحت مقر الحكومة حلت بها ازمة السكن ، وهى أزمة عسيرة الحل . ان الازدحام الموجود بها الآن لم يسمع بمثله ، بل قلما يجد السائحون الوجهاء أماكن يأوون اليها الا بمشقة عظيمة .

فالقادمون الراحلون من ذوى الوجاهة عديدون ما بين ضباط وتجار وريفيين ، وكل فرد منهم منهمك فى اعماله الخاصة من غير ان يتعرض للشؤن السياسية التى عهد النظر فيها الى المجلس الاعلى والجمعية الوطنية .

وبسبب ازدحام انقرة بسكانها المتوطنين فيها وبالقادمين الجدد عليها كل يوم اصبحت مطالب الحياة فيها أغلى مما تقوّم به من الثمن فى اية مدينة اخرى من مدن آسيا الصغرى . على انها مع غلاء الاسعار فيها لا ينقصها شىء ما . بل لقد أضيئت بالنور الكهربائي وانشئت فيها مطبعتان كبيرتان تطبعان الجريدتين الرسميتين وهما

الحاكمية المالية ، واليوم الجديد (يني جون) .

ويستطيع كل امريء أن يرى في الحي المحترق خطه استحداثه مبينة على الثرى ، تتوضح فيها الشوارع المتلاقية والمتقاطعة على نسق محكم ونظام بديع ، فالبيوت المتجانسة محوطة بمربعات متشابهة ، داله بذلك على ان تشييدها ومواقعها ستكون على طراز حديث مراعي فيه كل ابتداع في فن المعمار ، ومتوفرة فيه كل شروط الصحة والرونق البديع .

ويكاد يكون مجموع السكان من العنصر الاسلامي فقط اذ لا يوجد في انقرة سوى عدد قليل من الاسرائليين ، ومن الارامنة ومن الاروام .

والسكينة والامن العام مستتبان تمام الاستتباب في هذه المدينة وما ذلك الا بفضل الطاعة المتناهية التي يتشبث بها الاهالى من تلقاء انفسهم ، ويقضي الانسان سواد الليل مستمعاً وقع اقدام فصائل الحراس التي تتجول في سائر احياء المدينة .

ولا يستطيع أي اجنبي . ولو كان متنكراً . ان يدخل انقرة او يخرج منها بدون ان تكون الشرطة على تمام العلم بأمره .

وفضلا عن كثرة الاعمال الموصولة التي لا تنكف سائر طبقات الاهالى عن انجازها . فمن الميسور ان يرى المرء بعد المواطنين

جلوسا فى بعض الاندية العامة (القهاوى) كعهدهم من قبل يتذوقون الدخان من شيشهم المرقشة بواطيها بمختلف الالوان الزاهية وهم مرسلون بنظراتهم الحادثة السيقة فيما ينفسح امامها من الفضاء ومسترسلون فى تصوراتهم وأوهامهم العذبة اللذيذة (١)

وتوجد عدة مدارس جليلة الشأن فى انقرة ، الا ان المدرسة الحربية لم تنشأ فيها الا منذ نشوب الحرب الاخيرة ، أى عندما فر تلاميذ المدرسة الحربية وتلاميذ المدرسة البحرية جموعاً متلاحة من القسطنطينية على أثر ابرام الهدنة ، ووصلوا بعد جهد جهيد ، امامشاة على الاقدام ، واما ركوباً فى المركبات ؛ كل حسبما تيسر له الى انقرة حيث استقبلو فيها بسواعد ممدودة وصدور مرحبه . فعندئذ انشئت مدرسة انقرة الحربية ، واخذ يتولى التدريس فيها ضباط من ذوى الكفاءة العليا والمعلومات الواسعة ، مثقفين هذه الخلاصة الزاهرة من أبطال الوطن الصناديد .

وان ارتحال هذه الشبيبة الناضرة المتلهبة الى الملجأ الذى ترفرف فيه النفس الوطنية لذو مغزى سام اجل من ان يمر به المرء

---

(١) ملاحظة عجيبة ! أن عمال الاندية عند ما يقدمون الشيش يصحبونها بأوان فلاى بالماء المغلى لتطهير انابيبها ، وهذا دليل على مبلغ عنايتهم بالصحة .

ملتزما جانب الصمت والجمود

. . . .

ويلتقى النظر على الآكام المتاخمة للمدينـة بمجموعات من المضارب الصغيرة البيضاء الناهضة بنظام بديع تأوى داخلها الجنود المحتشدين البواسل .

ووسائل الاحتيـاطات الصحية مراعاة بدقة عظيمة فى كل مكان .

وتمتد على جانبى الوادي ، يمنة ويسرة ، بيوت خلوية ، ومساكن صغيرة شائقة غائصة فى لجة من الخضار النضير المكتسية به الحدائق الغناء الفسيحة الملتفة بها وقد شملها الهدوء وطاب المقام بها فيذهب اليها المصطافون لاستنشاق زفرات النسائم العليلة وللاضطجاع ساعة الهجير تحت افياء اشجارها الفرعاء الوريقة الظليلة المزهرة المثمره . . .

وقد وضع تخطيط جديد لعدة مدن على امتداد السهل ورسمت بالفعل شوارعها الكبرى على نسق محكم ، واحياؤها الواسعة على أحدث طراز ، والقائمون بهذه الاعمال الهندسية الجليلة هم مهندسو قسم الهندسة العسكري وضباطه ، وكذلك يرجع الفضل فى مـد الخط الحديدي الممتد ما بين انقرة وسيواس الى علمهم الواسع المكين

والى مجهودات الجنود الذين واصلوا العمل فى انشائه مدة الحرب الكبرى . الا ان هذا الخط لم ينته العمل فيه حتى الآن ٠

وجميع اهل انقرة بل جميع الاناضوليين مزودون بعزائم ماضية لم يكن لهم عهد بمثلها من قبل ، وبجلد عظيم على العمل وبميل شديد الى الجهاد فى سبيل الله والوطن ، وبالثبات فى مواطن القتال والصبر على المكاره ، وبالجد للوصول الى المقصد الاسمى وهذه هى المزايا التى يتجملون بها جميعا والتى يرى المرء شواهدها فى كل خطوة يخطوها . . .

وعلى الرغم من كل ما يقال وما يكتب فى اوربا فانه لا يوجد اثر للاجانب فى انحاء آسيا الصغرى . ولم يتمش أى ايحاء غربي الى هذه البقاع ليقوي الجبهة بوسائل عظيمة فائقة ، بل لم تصل الى الاناضول أية معونة مالية يراد بها سكب قليل من البلسم على الجراح الناغرة المتوالى نزيف دمائها منذ ازمان طوال . . . وهنا يجب التكرار بان لا اثر البتة ، مطلقا ، لاي تشجيع ولو كان وديا : فلم ترسل الى اراضى الاناضول من وراء البحار سوى تلك المدافع ، والطيارات ، والسيارات ، وعربات النقل ، وسائر الادوات الحربية التى تقوى معسكر العدو — بل ولا ذرة من العطف ولا خيال من العناية والاهتمام : فالعثمانيون محرومون من كل اشفاق حقيقى عليهم .

وليس امامهم سوى الصراع الساحق الذى لا رحمة فيه ولا لياذ ولا انصاف ... — وفى غضون الفصول الزمهريرية والفصول الاخرى المستعرة التى تكاد تزهق فيها الارواح من الحر اللافح لم تمتد أية يد رحيمة الى أولئك الذين ترتعد فرائصهم من شدة البرد : ويتحلب عرقهم وتتفكك مفاصلهم من شدة الحر وهم لا ينكفون لحظة عن قيامهم بالواجب بشجاعة نادرة المثال .

اجل لقد انصرفت الوجوه عن العثمانيين حتى لم يعد شخص محسن من أولئك الذين كانوا مولعين بمحبة الامة العثمانية فيما مضى، يجرأ على انجاد أولئك الابطال الذين لا يجد الفكر اسما جليلا يطابق مجدهم المعظم ليطلقه عليهم . والذين سقطوا ببساطة ووداعة فى ساحة الشرف من غير اذ توجه اليهم جملة ثناء واعجاب ، ولو من قبيل تذكر العهد السالف ، تلطف من آلام نفوسهم الحائمة فيما وراء القبور ، وهكذا يذهبون بالالاف من غير رحمة ولا عزاء . . . بل من غير تذمر ولا شكوى ! فمن ذا الذى اذن يعرف تاريخهم المحزن المؤثر فى النفوس ؟

« هل الامة فى خطر ؟ الا اننا لمنطلقون للدفاع عنها . فلتحى الامه ! » هذا ما يتساءل به الجندي الاناضولى وما يجيب به من تلقاء نفسه على سؤاله ! آه من ذلك التمالىء القاسى المنبعث من جانب

الصمت العميق ! ....

....

ان الجمعية الوطنية تلتئم احيانا اربع مرات فى الاسبوع ، وفي الفترات التي لاتلتئم فيها ، قدتعقدجلسات خاصة للنظر والبحث فى المسائل الهامة التى تستدعى سرعة الفصل فيها .

ان آسيا الصغرى المقسومة الى خمس وستين محافظة تتمتع بالرخاء والرغد اكثر مما كانت متمتعة به منهما فيما سلف . وذلك لان طريقة قسمتها الى ولايات واسعة النطاق كانت تجعل ادارة البقاع الداخلة فى دائرة كل ولاية عسيرة جدا .

وكل محافظ تساعده الآن لجنةمؤلفةمن رجال فنيين يشتغلون بهمة ونشاط وينبغى ان يرفعوا تقاريرهم بنتائج اعمالهم الى الحكومة المركزية فى انقره .

وأقبل كبار الموظفين سابقا فى السلطنة العثمانية من حكام الى مفتشين يعرضون انفسهم على الحكومة ليقوموا بواجب الخدمة الوطنية فى دائرة اختصاصهم فاسندت اليهم الحكومة مراكز عديدة كل بحسب استعداده ومقدرته .

وبينما كانت الجمعية العمومية ملتئمة فى احد الايام : اذا بازيز محلقة يتعالى فى الجو وهى حائمة فوق المدينة ، ثم رؤيت وهى مشرفة

من عل على دار الندوة ، ثم اخذت تلقى أوراقاً موجه ما فيها من القول الى الامة ، واذا به يتضمن السلام على الامةمن صاحب هذه المحلقة الذى يقدم اليوم محلقته الثانية هدية للوطن المقدس المحبوب مع تمنى الفوز له . وعلم فيما بعد انها هدية من احد تجار صامسون . ولقد قوبل الضابط والميكانيكي اللذين يديران المحلقة بالهتاف والتهليل لهما .

وفي كل يوم نشاهد وسائل الاهداء والحمية المبتكرة فتؤثر فى النفوس تأثيراً لاحد له .

ولكن كل هده الادلة المحسوسة على الحمية والاخلاص وان كثرت ونمددت : ليست مع الاسف سوى رذاذ طفيف من الماء لايطفئ غلة شعب كبير مضه اوار الظما . . .

آه ما أعظم ما يفكر الانسان ويتأمل اثناء اقامته هنافى انانية الناس التى تجعلهم يقتصرون على محبة الخير لانفسهم . .

عند ماتأزف ساعات الليل القصيرة الهادئة وتغرق المدينة فى لجة السبات الوقتي ، اذ ذاك تتمثل امام الذاكرة حقيقة يجب ترديدها بسكينة تامة وبمنتهى الخفوت وهي : لو ان كل مسلم ذي نفوذ ر مقدرة يعمل من الخير والاحسان فى هذه الاوقات المضطربة

العصيبة بقدر ما يفعله أخوه المتواضع المستور اسمه لوجد بالتأكيد من الادوية ووسائل العلاج اكثر مما يلزم لاسعاف اولئك الجرحى المساكين ، ولو وجدت مأوى اكثر مما يقتضيه ايواء الارامل والايامى التى لا يحصى لها عدد ، ولكانت غصص يتامى الحرب والامهم اقل بكثير جداً مما يعانونه الآن من اشتداد وطأة الضيق المستحكمة حلقاته على الوطن الرازح تحت كلاكل الارزاء . . .

وهذه هي المرة الاولى فى تاريخ العالم الاسلامي ، التى شوهد فيها أحداث سائر البلاد يلقون على كبار سائر الامم دروساً قيمة فى الغيرة الوطنية وفى الحمية الدينية.

ولكن :

« ليعلم الجهال ان اولئك الذين يعلمون يحبون ان يتذكر بعضهم بعضا فى كل حين » [1]

وفى الواقع يظهر ان كل اولئك الذين تجرعوا امرارة الالم البالغ لن يتناسوا طول حياتهم المصائب والابؤس التى تقضى عهدها لان كاس الغصة فاض دهاقها على الثرى . . . .

. . . .

وفى ساعة الغروب حينما يكتسى الافق ثوب الشفق يصعد

---

(١) كلمة قالها الرئيس هاينولت

سكان عاصمة البطولة والحمية سراعا الزبى المجاورة ويلبثون فوقها مدة وجيزة . وانما يريدون بهذا المرتقى ان يصرفوا عن افكارهم فى سكينة المساء المسدل سجوفه تأثير الضجيج والحراك الدائمين فى إنقرة المقدسه !

على ان هؤلاء القوم ليس لديهم من الفراغ ما يقضونه فى التنزه هنالك تحت اشجار الحور الزاهيه التى تحف جانبى الغدير الرائقة المتألقة مياهه الذى ينساب فى جوف السهل الخضل حيث تنتشر الجماهير الجمة من السلاحف المشهورة وهي تسير الهوينا متبطنة ضفة الغدير الرافلة فى ثوبها الاخضر النضير .

ان الوقت ثمين وهو يمر مسرعا ، فمن الواجب العمل والاشتغال بدون انقطاع ، لان هذا المكان هو الذى يجب ان ينشىء فيه القائمون بمشروع مستقبل السلام الشرق الاسلامي باجمعه .

الرسالة السابعة

انقرة فى ٤ مايو

لقد شخص الزعيم الاكبر منذ ثلاثة ايام الى جبهة القتال حيث ينبغي ان يتلاقى هنالك مع عصمت باشا ورأفت باشا للفصل فى مسألة توحيد القياده .

وغادر قطاره الخاص الهي انقرة فى منتصف الليل : وصحبته ثلة من ضباط اركان الحرب ، لانه كان لا بد له من انتهاز هذه الفرصة للتفتيش فى الخطوط المعرضة لنيران العدو . والسكينة التى كانت قد أعقبت الهزيمة اليونانية انتهت على ما يظهر . وبدأت الالسنة تتداول الروايات المختصة بالمناوشات الحديثه التى وقعت بين الطرفين : فكان هذا داعيا لانهاء القرار المتخذ من قبل ، بعد تدبر وبحث طويلين فى الحالة العامة ، القاضى بوجوب الرجوع الى قيادة وحيدة عليا . وهذه مسأله دقيقة وأمر عسير الحل لان ذينك الرئيسين العسكريين قائدان عظيمان من ذوى الكفاءة الساميه .

وكان وقود القطار الذى يقل مصطفى كمال باشا الى اسكى شهر من الخشب . والقاطرة الالمانية الضخمة كانت تلتهم مقداراً جسيما من هذه المادة الثمينه .

ولقد استغلت مناجم الفحم الحجري القليله التي اكتشفت حتى الان داخل البلاد أحسن استغلال ، الا ان محصولاتها لم تكد تكفى لادارة المصانع التى تخرج الذخائر على اختلاف انواعها [1] والمعامل الاخرى والالات الميكانيكية المتنوعة ، وكذلك سائر القطارات .

وعلى هذا شرعوا يستأصلون اشجار الغابات ، ويحتطبون من تلك الاشجار الباسقات العقيقة المتخلفة من عهود بعيدة والتى لها منزلة عزيزة فى القلوب ، كما انهم نسفوا جزوع الارومات المكينة فى جوف الغبراء بالديناميت .

وهذا هو السبب في رؤية الجنود على مقربة من الاجمات ومن المحطات منهمكين فى نشر الاحطاب المخصصة للمدد .

وفى بعض الجهات لا ترى البتة آثار تلك الغابات العظيمة التى كان يأمها ذوو الافكار السامية والدراويش الشعراء من رجال العهد الغابر ليستكينوا الى افيائها وكذلك أشجار السنديان الضخمة التي كان يلجأ الى ظلالها الملطفة الداعية الى الهدوء والراحة الموسيقاريون المطربة أصواتهم وآلات عزيفهم مستافين عبق الربيع المنعش السليم

---

(١) لا يزال الجمهور يجهل الاماكن القائمة فيها هـذه المصانع ومن المستحسن بقاؤها في الخفاء

من شوائب الادران ومسترسلين فى نظم اشعارهم المرقصة المطربة الخالدة على مر الدهور . .

كل ذلك من شأن الماضى . . .

أما الان فمن الواجب المجاهدة فى سبيل الحياة ، ولا بد من الرضا بتقديم الضحايا القيمة لاجل التوفق فى هذه المجاهده ! آه تلك الكلمة الهائله : الحياة . . .

وهل يجوز للمرء بعد كل ما تقدم ان يستمطر تلك الاجمات فيوض العبرات ؟ اذن لاتبقى فى المآقى مدامع كافية لازرافها على حالة أولئك الذين كان يحبهم . . . . :

. . . .

ما أكثر الاشياء الواجب تحقيقها منذ عهد المطاردة واقتفاء الاثر ! ان الكنوز المختزنة فى جوف آسيا الصغرى لكافية جد الكفاية بمفردها لايفاء كل المطالب وسد كل اماكن الفراغ ولكن الا يقتضى استخراجها من مكامنها ان تتوفر الايدى العامله وتتفرغ لها ويظل العاملون هادئين آمنين متمتعين بقسط من الراحة ومن الرغد ليتمكنوا من المثابرة على القيام باشغالهم النافعة ،

على ان الواقع المشاهد خلاف ذلك . فمنذ ان وضعت الحرب

الـكبرى اوزارها وابرمت الهدنة اصبحت هذه البلاد التعسة هدفا لـكل ضروب الشقاء والمحن التى ظلت تتابع بعضها أثر بعض منذ انزال الجنود الاغريقية فى الثغور الاناضولية ، الى زحف القوى الانجايزية حتى مرز يفون ، والى احتلال الفرنسويين بالمثل عدة بقاع من سواحل البحر الاسود .

لقد تذوق الروملى فيما سلف طعم مرارات الحرب وفظائعها وقد انا للاناضول أن يأخذ بنصيبه من هذه الاهوال الجسام .

وبما ان هذه الاغارات الى قامت بها الجيوش المتعددة لم تكن كافية للاقتصاص من هذا الشعب فلم يك بد من خلق المشاكل والقلاقل بين العناصر المتوطنة فى البلاد العثمانيه .

فنتأت فتنة الاروام الذين على الرغم من قلتهم التي لا تكاد تذكر ارادوا الا ان يكونوا من انفسهم دولة مستقلة منفصلة عن سواها فى كل امر .

بل لقد أدت الدسائس المبثوثة داخل البلاد الى تشبع الطائفة العلوية أى الشيعة بروح العداء والانتقاض على دولتها .

وأدى الذهب المنثور جزافا بين ايدى سكان قونية المساكين المأثور عنهم شدة الولاء للسلطان والذين بحكم العادة المتبعة فى

مدينتهم ينضمون بأسرهم تقريبا الى الطريقة المولوية الموجودة تكيتها المشهورة هنا لك ، الى ذلك العصيان المحزن .

ولم تغب عن البال قصة الجنود الارامنة الذين احتشدوا فى قليقيا وما نجم عن تجيشهم وتراميهم على مواطنيهم المسلمين . . .

بيد ان كل هذه المشاغبات المتفرقة لم ترض اهواء أولئك الكائدين المحرضين . فصار من المحتم اثارة الاستياء العام وتعميمه فى سائر بقاع آسيا الصغرى وايصاله الى ابعد اعماق القلوب . فاخذوا يبحثون عن امر يزعزع الشعور العام بصورة حدية تكون مؤدية الى انتزاع تلك الثقة العمياء التي يتجه بها الشعور العام الى تلك المسالة المقدسة التى يدافع بعزم لا يغالب عنها .

فانتشرت حينئذ الدعوة المحرضة علنا ضد الحكومة الوطنية لاجل مصلحة حكومة الاستانة العاجزة ، التى شرعت تدافع بطريقة رسمية عن حقوق الخلافة ، التى صارت مسلوبة منذ ابتداء الاحتلال الاجنبي . ان عاصمة الاسلام يجب قبل كل شيء ان تكون مستقلة . وبعيدة عن كل تأثير اجنبى .

فكان عمل الخصم فى هذه المرة محكما باهراً اوكانت طعنته نجلاء سديدة أصاب بها سويداء القلب ، واذ كان السهم المطلق مسموماً فقد احدث جرحا مؤلما الا انه لم يلبث ان اندمل وبرأ على توالى

الزمن بعد ان برحت آلامه بفؤاد الامة وقتا قصيرا .

وذلك ان بعض القبائل الشركسية المقيمة فى دوزجة وفى خندق وفى اصه بازر صدقوا ما وسوس به الدساسون الاجانب فى صدورهم من الفاظ المكر والتغرير ، فهاج عدد عديد من هؤلاء الصناديد المشهورين بقوة البأس فى الملتحم مستجرين خلفهم جحافل من الفرسان المغاوير سلالة ذلك العنصر الذى لا تلوى شكيمته ولا يسلس قياده اذا ما ثارت حفيظته ، والذى تعرفه اوربا حق المعرفة بفضل ما اختص به من الذكاء النادر والسجايا الغراء والنفس الابية العيوف ، وبسبب المذابح الهائلة الخالد ذكرها التى اقترف فيها جنود القائد افديكيموف الروسى سنة ١٨٦٤ « من انواع المظالم والفظائع ما لم تجرأ الجيوش الوثنية التابعه للامبراطوريين الرومانيين على اتيان ما يدانيها اثناء مطاردتهم الشعب الاسرائيلى فى فلسطين منذ الفي عام » :

ان هذه القبائل ذات شعور ديني بالغ من القوة اقصاها وهم يدينون بالشكر العظيم للسلطان عبد الحميد الذى اقطعهم ولاية سيواس اثناء هجرتهم الرهيبة المفزعة فاتخذوا منها وطنا جديداً لهم وصار من ذلك العهد ارتباطهم بالسلطان الخليفة الذى يخلف منقذهم الجليل شديدا الى حد لا يمكن تصوره .

ومن هنا يتضح جلياً ان ما يزجى الى افكارهم من الرغبة في انتقاص نفوذ السلطان الخليفة وانتزاع سلطته منه يبعث بلا شك على هياجهم ونفورهم . بل لقد ذهب الماكرون الى ابعد من هذه الدسيسة موهمين هؤلاء السذج الاوفياء ان الجيش الوطني لا يحارب للحصول على استقلال البلاد التي يعتبر الخليفة ولي امرها الشرعي: بل لما هو بعيد عن ذلك بالمرة ، أى لاسقاط الخليفة نفسه فى حين انه الرئيس الاسمي لسائر جيوش الدولة ، وفى حين ان اسمه لم يزل الى هـذه الآونة مذكوراً بالتجلة والاكرام فى جميع المساجد . . .

ان مسألة هياج الشراكسة مؤلمة جـداً لانهم هم الذين فى مفتتح الحركة الوطنية قاتلوا الاغارقة تحت رآسة ادهم بك وتغلبوا عليهم فى عدة وقائع .

وهذا المحارب الشجاع قام باعمال خارقة للعادة مستعينا بامرأة مقدامة اسمها عائشة شاووش . كانت قد فقدت زوجها في الحرب، فاشعلا نيران الحماسة فى نفوس القرويين الذين تحمسوا فحملوا السلاح وانطلقوا الى منازلة العدو المغير على ارض الوطن .

وعلى اثر ذلك اصبح أدهم من كبار الابطال وصارت شجاعته

المثال المحتذى واحرزت اعجاب الناس جميعا [١]

وظلت عائشة شاووش تجاهد الى ان تم احتشاد الجنود النظاميين .[٢]

وهي الآن ممرضة في احد مستشفيات انقرة . . .

توجد شؤون سامية مرتكزة على الروية والحكمة لم يدرك حقائقها الملحدون الى الان .

---

(١) من سوء الحظ انه غير مبدأه ، وتقلبه الذى لم يكن منتظراً محا مفاخره الاولى : فهو الآن رجل وضيع آبق ، وكل ما اردناه من الثناء العاطر عليه انما يرجع الى ما قام به قبل عهد تلونه وانحطاطه من جلائل الاعمال .

(٢) هى امرأة قصيرة القامة ذات وجه بشوش جذاب الاان دلائل التألم تلوح عليه ، وقد آلت على نفسها ان تنتقم لوطنها ولزوجها لدى كانت تحبه الى درجة العبادة . وبما انها بلغت من خفة الحركة والجرأة واصابة المرمى مبلغاً ليس وراءه مطمع فقد صار اسمها علماً مشهوراً على الشجاعة فى كل مكان من أسيا الصغرى . واخذ الناس يقولون عنها . « ان كل رصاصة تخرج من بندقية عائشة شاووش تذهب بروح رجل من الاعداء » . وقد كونت لها عصبة صغيرة من الابطال المتطوعين واخذت تغير بهم على العدو بدون تراخ . وفى كل اغارة تحرز اكليلا جديداً من الانتصار ، ولا تنثنى من كل حملة تحملها الا وهى مستولية على مقادير من الاسلحة والذخائر والادوات الحربية الاخرى التى تنتزعها من الاروام المهزومين .

فمن هذه الشؤون مسألة الخلافة المتناهية فى الدقة وفى الاعتياص.
وذلك لانها ترجع الى حكم ثلاثمائة مليون مسلم منتشرين فى كافة انحاء الكرة الارضية لاالى ارادات الحماة الاجانب الذين يحتلون القسطنطينيه .

ان السلطان الخليفة الذى يعتبر من الوجهة الشرعية الرئيس الاعلى للجيوش التى تجاهدفى سبيل الاستقلال لايعد وكونه جزءاً غير منفصل من الدولة العثمانية السليمة من كل اعتداء عليها المتمتعة بحريتها واستقلالها .

فاذا ما شجر خلاف بين ولي الامر ورعيته ، او وجد سوء فهم بينهما فللشرق وحده حق السعي فى زالة الجفاء أو تسوية الخلاف .

واذا لم يعرف فرد من سلالة الغازى عثمان الاول فى احرج الاوقات التى عهدت فى تاريخ بلاده ان يكون على اتم وفاق مع نخبة امته الذى يعتبر قلبها الخافق ، او اذا لم يجرأ على مساندتهم ف الوقت الذى يقتصى المموونة ،

فهل يجوز ان نتناسى ان الخلافة غصن لاينفصل من شجرة انساب العثمانيين الذين بمجازفاتهم وتعرضهم للاخطار عرفوا كيف يدافعون دفاعا مجيدا مدة سبعة قرون عن علم الرسول المقدس ؟

فلايجب اذن ادخال أصبع اجنبية بين لباب الشجرة ولحاها . .

وبعد انتهاء الهياج الشركسي اقبل جاسوس سري هندي الى اسيا الصغرى بقصد احداث اضطرابات أخرى فيها . الا انه لم يجسر على اتيان ما اوقد لاجله سواء أكان ذلك من جراء الوسائل الشديدة المتخذة فى هذه البلاد وخوفا من العقاب الصارم ، ام من دهشه من عظم الرقي والنظام اللذين تمشت بهما الحركة الوطنية فى شراين البلاد بسرعة مدهشة على الرغم من المحن المتواليـة عليها . وعلى كل حال فان مرسلي هذا الرجل قد اخفقوا فى اعتمادهم عليه . فهل كان توقفه ناجماً عما الم به من وخذ الضمير ، او كان خشية من العاقبة ؟ ذلك ما لاعلم لاحد به ، ومن ذا الذى يستطيع ايضاحه ؟؟؟

ولقد كانت نهاية كل دسيسة على هذه الشاكلة ، وهى الاخفاق قبل احداث الاذى المرغوب .

وعلى اثر ذلك اوحى الماكرون الى ذلك الرجل الخسيس المعتبر عاراً على العالم الاسلامى مصطفى الصغير المجرم الكبير بان يضطلع بافدح تبعة يتحملها عاتق انسان ، وهى طعن الوطنية العثمانية فى لبتها طعنة قاتله .

واذ سائس هذا الصغير الساقط فى مصر ، و فارس ، و الافغانستان والسلطنة العثمانية ، واعترافاته الهائلة اثناء قضيته التى اشتهر ذكرها

فى سائر الاقطار . . . وخطة الاستعمار الانجليزي الذى هتك ستارها هذا الجاسوس نفسه الذى باع ضميره وحياته بابخس ثمن لتنفيذها ، كل هذه الامور اصبحت معلومة للجميع وقد خاضت فيها الصحف طويلا حتي صار ترديد صداها فى هذه الاوراق عديم الجدوى . . .

« ان النفس لتضطرب هلعاً عند تحريك هذه الذكريات » .

. . . .

. . . .

اعداء في الداخل ، واعداء فى الخارج ، فما هىّ القوة المحركة الكامنة فى هذة الامة [١] التى تستطيع المثابرة على الجهاد مع تلك الاهوال كلها ! . . . . : :

. . . . : .

وآب الزعيم الاكبر من سفرته .

ويقصون من انباء رحلته الى الجبهة انه حينما أوضح للقائدين الغيورين عصمت باشا ورأفت باشا الضرورة القصوى التى تقتضى توحيد الرآسة فى ميدان القتال أظهر كلاهما فى وقت واحد ، بدافع وجدانى وبحمية باهرة ، رغبته فى التخلى عن مركز القيادة ؛ واظهر

(١) كل هذه الشؤن المسرودة بايجاز تتخلص منها خلاصة الجهاد الوطنى فى سبيل الاستقلال منذ التوقيع على شروط الهدنة .

اعجابه بقرار المجلس الاعلى المشتمل فى آن واحد على الحكمة والبراعة فى الفن العسكرى . وامام هذه الصفة الجليلة ، صفة التخلى عن الانانية ارتبك الزعيم الاكبر وحار فى الامر وطفق يكرر الرجاء على كل واحد منهما بتولى الرآسة العليا على جيش الجبهة ، فى حين ان الآخر سيذهب معه الى انقرة ليشترك معه فى ادارة كل مايهم من شؤن البلاد : وهو عمل يوازى فى خطارة شأنه مهمة رآسة الجيش المقاتل .

واخيراً قبل عصمت باشا ان يستقر مع الجيش فى الجبهة كما استقر رأي رأفت باشا ان يذهب الى انقرة ، بعد تسليم كل ما كان فى دائرة اشرافه الى خلفه

وحينئذ تقدم اليهما الزعيم الاكبر وأهوى عليهما معانقاً ومقبلا وهنأهما على ما أوتيا من سعة العقل وعظم النفس . وبهذه الطريقة البسيطة انحلت هـذه المسالة التى كان المظنون فيها انها ستصير فى غاية الصعوبة والتعقد .

والفضل فى تسهيل هـذه المهمة على الزعيم الاكبر يرجع الى سمو نفسي هذين القائدين الجليلين

الرسالة الثامنة

انقرة فى ٧ مايو

لقد تم الاحتفال العظيم المقام للالعاب الرياضية فى الساعة الثالثة بعد ظهر الامس ، وكانت قد ارسلت لاجل مشاهدته اوراق الدعوة منذ عدة أيام مضت الى عدد جم من المدعوين .

ولكن أفكان هذا احتفالا رياضيا ام اجتماعيا وطنيا ؟

يلوح انه جمع بين الامرين معاً ، لان الجمهور اظهر اهتمامه واشتراكه وتحمسه للالعاب وللتمرينات وللملاهي والاغانى التى تفننت فيها زهرة الشبيبة المجتمعة بأسرها تمت فى ذالك اليوم المشهور .

لقد بدت انقرة فى ابهى حلل الاحتفال ، واختفت من وجوه الحاضرين دلائل الهموم والاوصاب المتراكمة كل يوم على سكان هذه المدينة اختفاء وقتيا .

وبدت على الجمهور الذى يسلك الطريق العسكرية المعارضة للطريق المؤدية الى دار الندوة سيما الفتوة والنشاط .

واخذت المركبات والفرسان والمشاة تتتابع بعضها اثر بعض بغير انقطاع ، وكان من ابهج ما يسر النظر من هذه المرائى الجمة

تعدد الثياب المدنية ، والملابس الرسمية المختلفة اذياؤها والوانها زاهية على اجساد الآلاف المحتشدة من سائر العناصر وقد تمازجت وتألفت منها مجموعة بدائعة تتألق تحت اشعة الشمس المتلالئة .

وقبل الوصول الى الساحة الكبرى المحدقة بمدرسة الزراعة يعبر الذاهب جسراً ثم يمر امام أجمة صغيرة منبسطة على ابدع نسق وممتدة على احدى ضفتي رافد من فروع سقارية التى يشرف عليها المعسكر العام للفرقة القائمة بحراسة ضواحى المدينة .

ورئيس هذه الفرقة ضابط نادر المثال فى الكفاءة الفنية وسعة العقل ، وقد حارب فى سائر الجبهات ، كان واقفاً امام معسكره يرى هذه الافواج المتقاطرة ويحي اصدقاءه الذين يمرون امامه بيسمته الممزوجة بالطيبة الودبعة : وهو رجل مشتهر بالعزم والصرامة ومع انه عطوف على جنده الى الدرجة القصوى الا انه لايسمح لاي فرد من الجنود الداخلين تحت امرته أن تبدر منه بادرة من الاهمال ، ولاجل هذا فان معسكره اصبح نموذجاً بين سائر المعسكرات ، اذ تسود فيه الطاعة والنظام والنظافة التامة .

وعند مايشرف المرء على معسكره يجد ارتياحاً فى رؤيته مضاربه البيضاء الصغيرة منتظمة على نسق هندسي وناهضة باستقامة بديعة .

ولقد يسمع الانسان من يقول له : «لا يدرى الطبيب العسكري اذا كان له عمل يؤديه فى معسكر القائمقام ك . . . . » لانه على مايؤكدون هو الذى يعنى بتمريض جنوده فى حالة المرض ؛ وهذه الحالة على مايظهر نادرة الحدوث بالنظر لتشديده فى مراعاة القواعد الصحية التي يفرض على جنوده اتباعها .

وهو لايغادر معسكره العام طرفة عين فكأنه ديدبان فى مخفره او ربان في سفينته ، وهـذا هو السبب في مشاهدته واقفاً امام معسكره في هذا اليوم السائد فيه روح الابتهاج الوطني ، والشمس تلفحه والعرق يتصبب من جبينه على اثر الجهد الذي بذله في عمله الموصول ، وحوله ضباط يحتذون مثاله ، فهو رمز القيام بالواجب على اتم مايكون .

وظلت الطريق فى امتـدادها محفوفة بربوات مكسوة بمضارب بيضاء صغيرة ، فالجنود متتابعة فى كل مكان كانها امواج متلاحقة . . .

ثم بدت على الجانبين الحقول التى يقوم بالاعمـال التمرينيـة فيها طلبة المدرسة الزراعـة ، واخيرا لاحت الساحـة التى تشبه نصف الدائرة ، والتى عنيت حكومة انقرة بتغيير معالمها وترتيب شكلها مستفيدة من موقعها الطبيعى المحفوف بالذروات ، فجعلتها على

شكل مجمم مدرج قد احكم نظامه حد الاحكام

وقد وضعت مقاعد خشبية مستطيلة على يمين المكان المودعة فيه ادوات ومخزونات المدرسة ، وعلى هذه المقاعد جلست المتفرجات من ذوات المنازل السامية ، وأما ذوات المآذر من سائر الطبقات المختلفة وبينهن امهات الموظفين ونساؤهم وبناتهم فمنتشرات خلف تلك المقاعد الخشبية فى المدرجات الطبيعية المستديرة فى سفوح الربوات بشكل بهج يجعل هذه الساحة أشبه بتياترو من ملاعب الاعصر الخوالى .

وتنهض قبالة المقاعد المخصصة للسيدات الراقيات . مدرسة الزراعة على يفاع من الارض وهى مشرفة على سائر المتفرجين وكذلك على المضارب الكبيرة المنصوبة لايواء المدعووين ولذوى المقامات الرفيعة . ومضرب الحكومة قائم فى آخر المضارب وهو مجاور للموسيقى العسكرية .

وما أزفت الساعة الثانية والنصف حتى كانت الاماكن بحذافيرها مشغولة برمر المتفرجين والبوليس منتشر فى هذا المجال الرحب يحافظ على النظام والسكون التام .

وظل الجميع ينتظرون مجىء الزعيم الاكبر .

ولكن قبل تمام الساعة الثالثة أقبل ضابط من صحابه موفداً

من قبله لاهداء تحياته الى جميع المشرفين وللاعتذار عن عدم حضوره بما الم بصحته من الانحراف القليل الذى حال دون تمتعه بمشاهدة الالعاب والتمرينات المنتظرة .

حينئذ عزفت الموسيقي لحناحربيا ، ثم ابتدأ عرض تلميذات مدارس البنات . وتتابعت مدارسهن من ابتدائيـة الى ثانوية فعالية بمرعاة الترتيب ، والتميذات يسرن رباعا مشية معصومةمن الخلل وصغرياتهن يرتدين ثيابا بيضاء متشحات باوشحة حمر ، وأما الـكبيرات منهن وهن اللواتى يسترن شعورهن تبعا للعادة بشفوف بيضاء فيلبسن اثوابا ناصعة بالمثل ثم تجىء طالبات المدارس العالية وهن اللواتى سيصرن معلمات فى المستقبل . ومشيتهن اللدنة الخفيفة ، وبهاء الهندام الممتازة به ملابسهن الوطنية ذات اللون الاسود وخمرهن الرقيقة المسدلة على وجوههن الصباح المرتسمة عليها ملامح العزم اجتذبت اليهن أبصار الحاضرين جميعا وسرن حتي انتظمن صفوفا مواجهةالىالطريق ، تحدق بهن تلميذات أخريات والباقيات انشطرن الى قسمين ، فتألف منهن جمهاء وهن قباله المتفرجات الجالسات فوق المقاعد الخشبية الهدف الذى تتجه اليه الانظار

ثم مر تلاميذ مدارس الذكور الابتدائيـة ، وكانوا كـذلك

مرتديات بملابس بيضاء وحاملين فى اكفهم رايات عليها شعار مدرستهم ، وامامهم علم مكتوب عليه اسم المدرسة باحرف كبار وعلى أثر هؤلاء أقبل طلبة المدارس الثانوية . فالمدارس العالية وهم مشتملون بالبسة من الخاكي وقلانس (قلابق) من الخاكي بالمثل .

وبعد هذا الاستعراض مر طلبة المدرسة الحربية مرتدين الملابس الرياضية ، وفى الحال أخذوا يترنمون بنشيد وطنى . وهذا معناه . .

« المجد للوطن المحبوب ، ولتحى الامة التي تفتخر باننا ابناؤها وانى أقسم أن تحيا محتفظة بشرفها . وماذا يهمنا من أمر الضحايا والمحن التى تصيبنا نحن الذين ازدرينا بالموت ؟ الى آخره » .

وقد قوبل هذا النشيد بالتصفيق الحاد . واشتد تأثر مندوبى الافغان وفى مقدمتهم سلطان احمد خان من سماعه .

وكان هؤلاء المندوبون جلوسا بجانب ه زاده فى فسطاط الحكومة مكونين المجموعة الوحيدة من وجهاء المدعوين القادمين من مختلف الامصار الاسلامية . وقد بدت ادلة الارتباط المتين الذى يصل بين قلوبهم وقلوب اخوانهم العثمانيين مرة

اخرى من خلال التأثر الذى ظهرت عليهم آثاره في الحال عند سماعهم هؤلاء الحماة الفتيان وهم يترنمون بمجد الوطن وحياة الامة !! . . .

وفي اثناء الاحتفال اقبلت مدام جوليس نخف فى الحال وزير الخارجية بكر سامي بك لملاقاتها . وكذلك نهض الوزراء والنواب ومندوبو الافغان و ه . زاده لاستقبال هذه السيدة الجليلة زهرة فرنسا العاطرة التى وافت من بلادها والابتسام بين شفتيها والحنو يملأ جوانحها حاملة الى الامة العثمانية مسحة من الوجاء ومن التهلل والانتعاش .

وكانت هذه السيدة الادبية الشهيرة رافلة فى حلة بديعة الرواء سوداء اللون جالبة معها مالا يمكن التعبير عنه من الرقة والكياسة والشمائل اللطيفة التى تنشر فى هذا المكان نفحات باريس نفسها .

وبعد أن تحادثت قليلا مع سلطان أحمد خان ، تعرف بها ه . زاده وأعرب لها عن ابتهاجه برؤيتها فى انقرة .

وكان يحيط بها كل أولئك الذين سحرت البابهم بذكائها الماهر وأدبها الغض ، وقد ساد الوئام التام على كل أولئك الاشخاص الذين بما أظهروه من الاحتفاء البالغ بهذه السيدة الفاضلة

انمـا يريدون ان يظهروا وهم فى اقصى الاناضول مقدار ارتباطهم بفرنسا وميلهم اليها بمناجاتهم ممثلتها لديهم بآرائهم وآمالهم فى جمـل مصقولة من تلك اللغـة البـديعة المحبوبة لدى الشرقيـين حباً جمـاً .

وما كان أعظم تحاشـيهم الخوض فى سوء التفاهم الناجم عن مسألة قليقيا وحملتها المقرونة بالاخفاق والمؤدية الى نكبة فظيعة ، وقد تمثلت لعيني هـذه الزائرة الظريفة الحاذقة المقرونة نظراتها بالرفق والعطف فى هذا اليوم الممتاز بالاحتفال الوطنى الباهر حقيقة الامة العثمانية فى امجد مظاهرها . . .

وانتهت حفلة عصر هذا اليوم بتوزيع الجوائز على مستحقيها بمعرفة المحكمين .

وقد عرضت اشغال التلميذات المقدمة من مدارس البنات وكانت مستوجبة للاعجاب بها والثناء على صويحباتها البارعات وعلى عناية هذه المدرس بالتثقيف والتدريب .

ثم توالت المسابقات في سائر انواع التمرينات : من حركات عضلية سويدية ، الى ضروب من الوثب ؛ فاجناس من الركض وهلم جرا .

وكان البرنامج طويلا ولذا ظل الاحتفال الى منتهى الساعة

السادسة . وكان الهتاف عند الانتهاء فوق العادة . وكان الحبور واضحا على كل وجه ، وكل الذين رأوا هذه الشبيبة الناضرة وهي تقوم بهذه الاعمال المدهشة اطمأنت قلوبهم على سلامة الارض المقدسة بهمم هؤلاء الناشئين البارعين ابطال المستقبل ! . . .

وكان الاياب الى انقرة شيقاً بديعا فى وسط المركبات والفرسان والمشاة التى لايحصى عددها . . . وصح النسيم المروّح عن النفوس بزفراته الرطبة الخفيفة ، والابتهاج الوقتي السائد على هذا الجمهور الحزين المتدثر بأثواب الحداد ارتسم على الشفاه للفترة فى شكل ابتسام لطيف .

الرسالة التاسعة

انقرة فى ٩ مايو الساعه ٦ مساء

لقد وافت فى مساء الامس ليلة التقى والعبادة ، تلك الليلة المنتظرة بنافد الصبر . فاذا بالمدينة الحربية تحولت الى حال آخر ، اذ أمست انقرة فجأة عاصمة الصمت الشامل .

فالجمهور الذى يسير فى الطرق ملتزم جانب السكون ومستغرق فى تاملاته العميقة ، والاشخاص الواقفون على اسكفات ابوابهم والمطلون من النوافذ المفتحة لا يكادون ينبسون ببنت شفه .

فالهدوء التام شامل سائر أرجاء المدينة ، وكل امرء يشعر فى نفسه بانه مغمور بعاطفة تقوى وورع .

وبينما المدينة وسكانها على هذه الحالة اذا بدوى مدفع يتماوج فى الجو صادراً من الوادي ، فاخذ الشعب القلق الدي كان ينتظر هذا الاعلان المؤذن بحلول شهر رمضان يصغى وهو متاثر بعاطفة الابتهاج الى طلقات المدفع حتى اكتملت احدى وعشرين طلقة قاصفة كالرعد من بعيد .

وعلى اثر ذلك حدث تطور مفاجيء ، اذ تعالى من كل الانحاء تكبير عام ، واشتدت حركة الناس فى الشوارع ذهابا وايابا مهنئاً

بعضهم بعضا : وانسابوا الى المخازن والحوانيت التى اعيد فتحها على عجل .

لقد أقبل رمضان ؛ شهر الزهد والصيام واراحة الجوف والاحسان .

وأخذت المدينة التى اعتادت منذ زمن طويل على الانغماس فى بهمة الظلام عند حلول الليل تنقشع عنها غياهب الدجى شيئاً فشيئاً وتتجمل بالانوار التى اخذت تتتابع فى الظهور بالتدريج اذ بدأ الضوء ينبعث من النوافذ ، وكلما ازدادت البيوت تألقاً بالانوار اشتدت حركة الناس . واخذ لفظ الجلالة المتردد فى كل فم بصوت جهوري يرتفع فى فسيح الجو حتى تعالى من اعالى المآذن المشرقة بالانوار فوق مساجد انقرة المقدسة .

فالقوم ليسوا الآن فى حالة حرب وطرا بل فى حالة ورع وعبادة .

وبعد منتصف الليل أطلق مدفع حسب العادة ايذانا للناس بالتأهب لأكلة السحر ، وعلى أثر دوي المدفع اخذت نقرات الطبول تسمع مدة وجيزة فى سائر احياء المدينة فى آن واحد .

فادى هذا الى أشراف الناس من نوافذ البيوت الصغيرة المضاءة ، والسائرون فى الشوارع والازقة وقفوا بالمثل ليستمعوا :

وذلك لان حملة الطبول اخذوا يوجهون الى جميع الاهالي القاظا مثيرة للنفوس وداعية الى التقوى .

وهذا ما كانوا يقولونه :

« ايها المسلمون المؤمنون بما جاء به محمد والامناء على شريعته والذابون عن بيضة الاسلام ، تيقظوا فان غداً رمضان ! وتذكروا انا لا نزال فى حالة جهاد ، وهذا هو السبب فى ان الطبول تقرع الان لتدعوكم الى طعام السحر . ولا تغفلوا عن ذكر الله لكي يتذكركم هو بالمثل فى اشد اوقات آلامكم ؛ وتمسكوا بعروة الدين الوثقى لان مجد الاسلام الباهر متوقف على شدة تمسك المسلمين بتعاليم هذا الدين الحنيف ، وأعدوا أنفسكم لصيام الغد وعند ما تستشعرون وطأة الطوى والظمأ تذكروا آباءكم وأولادكم واخوتكم وبعولتكن الذين يجاهدون دفاعا عنكم وانقاذا للارض المقدسة وهم معرضون انفسهم لنيران العدو وغير ممتعين بالمأكل والمشرب . انهم يجاهدون هنالك ليمكنوكم من القيام بفروض العبادة المقدسة فلتبتهلوا فى صلواتكم لحماة الوطن المحفوف بالخطر . ولا يغفل المعافى منكم من الصوم احترام شعور سواه . فليقدر الله النجاة لهذا الوطن المتأصل حبه في أعماق قلوبنا وليمدد أبطالنا الغزاة بالقوة التى تتيح لهم النصر المبين .

ان الله عظيم قدير فلنثق برحمته العظمى . انه سيؤيدنا فى هذه الاوقات الحرجة التى نجاهد فيها بانفسنا وأموالنا لاجل سلامة الاسلام » .

فطفقت النساء تنتحب ، ورفع العابرون فى غلس الليل اكفهم الى قبلة الدعاء يبتهلون الى الله بصوت جهورى . . .

. . . .

ولا بد لمن يريد العلم بحقيقة الشعور المستولى على نفوس الاهالي فى آسيا الصغرى ان يرى بعينيه منظر هذا الدعاء الحار الصادر من قرارات النفوس .

وبعد انتهاء الساعة الثانية من الفجر دوت طلقة أخري من المدفع مؤذنة بحلول ساعة الصيام : فاخذ المسحرون يطوفون ثانية بطبولهم قارعيها ومرددين الجملة الاتية :

« ناموا أيها المؤمنون الاتقياء وثقوا بالله فانه يحفظكم من كل مكروه » .

وبعد مضى بضع دقائق أخذت المصابيح يخبو بعضها اثر بعض ، وأختفت الدوائر المضيئة التي كانت ملتفة حول المآذن ، وساد الهدوء كل مكان ؛ فانغمست انقرة المقدسة فى لجة السكون العميق . .

. . . .

وفى الساعة الثانية من بعد ظهر هذا اليوم ذهب هـ . زاده الى دار الندوة قاصداً ان يهنىء الزعيم الاكبر بشهر الصوم لانه كان هنالك .

دار ندوة انقرة . . هو المكان الذى استنفد مقداراً عظيما من المداد منذ تأسسه ، وما هو الا عمارة فى غاية البساطة ، ومع ذلك فلا يلجه المرء الا هو مستشعر عاطفة الاحترام والتكريم بقدر مايتراءى مهيباً جليلا ازاء ابصار اولئك الذين يعرفون تاريخ انشائه المؤلم .

لقد نهضت نفس الامة الثابتة الجريئة هنالك فى ذلك المأوى الوقتي [1] الذى تحيط به حديقة وديعة — لايزال العمل متواليا فى اعدادها — ويشرف على الشارع الكبير وعلى متنزه البلدية .

---

(١) مأوى وقتى . . . اجل وقتى لان مسألة اختيار عاصمة اخرى للسلطنة العثمانية عرضت بعد الحرب . فأية مدينة تصلح لان تكون عقل هذه الامة ؟ انقرة ، ام قيصرية ، ام سيواس ؟ من ذا الذى يعلم ذلك . . .

وعلى كل حال فان المدينة التى ترجح كفتها فى ميزان الاختيار هى التى ستصير العاصمة ، وبالنظر لما يتوفر لتفضيلها من الميزات الفنية العسكرية ستؤثرها الجمعية الوطنية والمجلس الاعلى على سواها

ومن الواجب ان تكون دوائر الحكومة فى اطمئنان وفى مأمن من كل عدوان ومن اغارات المغيرين ومن كل احتلال ومن تسلط مدافع العدو عليها من غير انذار .

ان برلمانات سائر الدول الكبرى ذات المظاهر الفخمة لا يمكن مضاهأتها بالتاكيد بهذا المأوى الذى ليس له ادنى رواء وليس له فى الداخل مظهر لائق

نعم لا يمكن ان تقاس بهذا المكان الصغير الذى لا يكاد يسع اسرة صغيرة الا بعناء لانه مصدر اعظم القرارات والاوامر ، ولان ثلاثمائة مليون مسلم وضعوا آمالهم فى حمى هذه العمارة العثمانية البسيطة ، وعلى بساطته هذه فان المرء لا يمالك نفسه عندما يجتاز

وقد وضع المشروع بالفعل ، وهو الآن فى معرض البحث والاستقراء ، ولا بد لهذه العاصمة الجديدة ان تكون مرضية تمام الارضاء من الوجهات الاقتصادية والحربيـة والصناعية وسواها . فالعاصمة الحديدة للدولة العثمانية المفكرة العاملة ستكون مدينة حديثة الطراز ، مشيدة على ترتيب محكم جامع موافق للعمل والعلم والرقى بكل ما يشتمل عليه . اما الاستانة فستظل العاصمة الخالدة التى تستضىء بها الاسلام ، وستحافظ على ماضيها المجيد مطهرة بالدم ودامع المسلمين الذين يكرمونها . ان الاستانة ذات المساجد القيمة ، والينابيع العذبة المتصلة بالانابيب البديعة المدهشة ذات القباب النادر وجود مثلها ، والمعمور التاريخية والآثار المتخلفة من عصر العظمة التى لا تنسى ، والتذكارات الباهرة المنوهة بجلائل اعمال الابطال ذوى الهمم الشماء ، والاضرحة الفخمة واماكن التصورات والاحلام وصبابات الغيام ، وجمال الطبيعة الابدى ، اجل ان الاستانة التى ابدع فى وصفها توفيق فكرت لا يمكن ان لا تظل جزءا غير قابل الانفصال من

اسكفة الرتاج حيث يلقاه رجل الشرطة فاحصين مستنده الخاص ثم يتمشون به الى الرواق الوحيد المفضى الى صفين من الغرف .

والغرفة الاولى من الصف اليسار مخصصة للزعيم الاكبر واثاثها بسيط لا يتعدى مكتبا متسعاً حافلا بالاوراق الرسمية ومقاعد وثيرة وكراسي مكسوة بالجلد الاسود . وارض الغرفة مغطاة ببساط شرقي . وهذه هى البساطة الاسلامية .

وعندما اعلن قدوم ه . زاده نهض الزعيم الاكبر وهو يتحادث مع الوزراء ورجا منهم على الاثر ان ينتظروا فى غرفة اخرى . وببشاشته المعتادة استقبل ه . زاده الذى هنأه بحلول شهر الصيام المبارك . وكانت فى يده سبحة من الكهرباء (الكهرمان) ولم تكن بادية على وجهه فى هذا اليوم سيما البطوله الحربية ، بل تبدو

الدولة العثمانية التى لا تزال تجاهد لتحرير نفسها من كل نير ، وذلك لان هذه العاصمة تخص العالم الاسلامى بأسره وتمتبر شارته ، بمقتضى الاحكام الشرعية والادلة المعقولة الجوهرية .

الا ان هـذه المدينة الخلابة الناهضة بين بحرين والتى تشبه حجراً كريماً فى خاتم اثري بديع الصنع كما نعتها الغازى عثمان الاول لايمكنها ان تدافع عن الغرض الاسمى للعالم الاسلامى لانها دائما مطمح الابصار . . . والا يكفى حرج مركزها هذا من الا يظل نواب الامة تحت طائلة القبض عليهم فى اثناء التئام البرلمان ، وكذلك لكى لاتصاب البلاد مرة اخري بالشلل

عليه مظاهر الخشوع والعباده .

وقال : « لنرج من فضل الله ان يجعلنا فى مثل هذا اليوم من العام المقبل متمتعين بالحرية والاستقلال ، وان ينسي العالم الاسلامي اجمع هذه الاوقات العصيبة وان يمن عليه بحياة سعيدة فى عهد سلام ورفاه » :

ففى هذه الغرفة التى طالما تراكمت فيها الهموم والكروب منذ ان بدأ قلب الامة يتحرك شرع الآن الزعيم الاكبر يتكلم عن الرجاء متطالعا الى المستقبل بعين ذات نظرة جديدة .

وبعد قضاء ساعتين ونصف ساعة فى محادثة دائرة على انفراد وبأصوات خافتة نهض هـ . زاده محاولا الاستئذان من الزعيم الاكبر في الاوبة الى اوربا لان مهمته التى جاء لاجلها قد انتهت .

فقال مصطفى كمال باشا :

« حسن . سارسل اشارة برقية الى ممثل حكومتنا فى روما لاعلامه بعزمك على الاياب . ولكنك قبل ارتحالك ستجيء الىّ وثمت نتكلم معا بتوسع وحرية تامة بضع ساعات فى تلك الدار الخلوية الصغيرة ، اما زيارتك اياي هنا فليست سوى مقابلة رسمية.

فى جميع اعمالها الاقتصادية ، افلا يجب لاجل كل هذه الاسباب اتخاذ الوسائل الواقية من كل مباغتة فاجعة كتلك التى حدثت من قبل ؟؟؟

واما فى تشان قايافستكون زيارتك ودية بحته . وفي الساعة الحادية عشرة من صباح الغد ستكون سيارتى متاهبة لحملك الى الباغ »

وامام مكتبه على يمين الطرقة المستطيلة يوجد كتبة اسرار صغار وصف ضباط مراسلات يتحادثون وهم في انتظار ما يصدر اليهم من الاوامر فى غرفة تتح بجانبها الكاتب الاديب الشاب روشاناشرف بك بابا مؤديا الى بهو . وهوالذي يجتمع فيه النواب اي بالايجاز دار الندوة . ففى هذا البهو يوجد المنبر الشهير الذى تلقى منه الخطب الحماسية الملتهبة على الامة ثم تتراءى حوله خمس مجموعات من المقاعد الخشبية المتدرج بعضها فوق بعض ، وفي هذا المكان تلتئم الجلسات : وفيه يتباحث النواب ويتناقشون :

ولقد صار الاصغاء اليهم عدة دقائق بادمام تام ، وكان يوجد بين الحاضرين اناس من كل العناصر وكل المذاهب ومن مختلف الاعمار ، والملابس متنوعة الازياء والالوان ، والالبسة الرسمية مراعاة فيها الدقة ، وثياب رجال الدين فضفاضة ضافية وعلى رؤسهم عمائمهم الخضراء والبيضاء والقلانس والقولاهات : فهذا الخليط الممتزج يمثل الامة العثمانية التى تريد الحياة .

وفى هذا المكان يحتشد بالمثل أفراد من جميع طبقات الهيأة الاجتماعية وذوى المهن ، فمن كبار الموظفين والوجهاء ، الى ماليين

الى ضباط ، الى مهندسين ، فصحفيين ، فمؤلفين ، وقد ربطت قلوب الجميع رابطة واحدة محكمة .

ومن سوء الحظ ان النهار اوشك ان يولي ولا بد من مغادرة هذا الملاذ الذى يلتف حوله عدد عظيم من العقول الكبيرة .

ويكاد يكون عدد النواب ثلاثمائة وخمسة وثلاثين وهم الذين يؤلفون دار الندوة التى لها حق وضع القوانين وتنفيذها .

وللمجلس الكبير نائبا رئيس ينتخبان بالاقتراع من بين أعضائه ، ولا بد لاحدهما من أن يكون حاضراً فى كل جلسة ليرأسها .

واما ابتداء الحركة الوطنية فقد كان بنشر مصطفى كمال باشا دعوة الى النواب الباقين فى البلاد العثمانية من أعضاء مجلس نواب الاستانة يندبهم بها الى تولى مهام أعمالهم فى انقرة وحدد لهم مدة لاتتعدى شهرين معلنهم بان المتأخرين منهم بعد هذه المدة سيعتبرون مستقيلين .

فكان عدد الذين استطاعوا الحضور قبل انقضاء الاجل المضروب ثلاثين نائبا اجتمعوا فى انقرة ، وعلى أثر اجتماعهم تجددت الانتخابات وتألف المجلس الكبير .

وهذا المجمع الوطني المؤلف من ممثلي البلاد العثمانية باسرها

له الحق التام فى قبول او رفض الاسماء الثلاثة التي يعرضها رئيس المجلس الكبير عند تشكيل أية وزارة ، وللوزراء الحق هم بالمثال بعد قبولهم ان ينتخبوا رئيس مجلسهم .

ويرأس مصطفى كمال باشا الجلسات الكبرى .

ومجلس الوزراء هو الذى يعين حكام الجهات وسائر الموظفين ثم يصادق على تعيينهم الزعيم الاكبر .

على اننا لن ننتهى من تفاصيل شؤون هذه الحركة الوطنية الهامة لو اننا اردنا شرحها بالتدقيق ، فيجب اذن العودة الى البيت لمقابلة الاصدقاء الآخرين المنتظرين .

وصار الخروج من الممشى المستطيل المعهود الذى ينساب امام الغرف المخصصة للوزراء وللمداولات وللشئون الاخرى الى باب صغير مفض الى الحديقة المؤدية الى الشارع الكبير .

وكانت المنتديات العامة والمطاعم خالية من الناس فى هذه الآونة ، وذلك لان القوم هنا يحترمون رمضان جد الاحترام . فمظاهر هذا الشهر الفضيل تبدو بجلال وعظمة فى انقرة المقدسة ولقد اختصت هذه المدينة بان تجودها السماء كل يوم فى ساعة محدودة برذاذ لطيف يرطب الجو قليلا . ويجعل النسيم بليلا .

وان القلب الذي يلج البرلمان متقبض كئيب يغادره وهو

منتعش جذلان سابح فى تيار الرجاء ، وذلك لوجود نفحة قوية هنالك فى الداخل تكتسح من القلوب كل عوامل اليأس والاكتئاب وتحل بديلا منها بواعث الامل والابتهاج .

الرسالة العاشرة

انقرة فى ١٢ مايو

قبيل الساعة الحادية عشرة من صباح أمس الاول أقبلت سيارة الزعيم الاكبر الى البيت الذي يقيم فيه ه . راده ووقفت أمامه ، وانحدر منها شاب اسمه أسعد نديم بك وسأل ه زاده اذا كان على استعداد للذهاب معه فى السيارة قائلا له : « سنصل بعد عشر دقائق الى الباغ » (١)

فتبوأ امقعديهما من السيارة :

وانطلقت سيارة مصطفى كمال باشا تطوى بساط الارض بسرعة عجيبة فى الطريق المصاقب للوادى ، ثم أخذت تسير صعدا مرتقيه احدى الاكمات التى تواجه المدينة ، حتى اذا ما اشرفت من عل على انقره ضاقت الطريق بعد اتساعها حتى صارت كأنها احدى مماشى متنزه . وظللتها اشجار ضخمة فرعاء ناهضة على جانبيها .

وهنا ابتدأت منطقة الرياحين والازهار الضواحك ، اذ تراءت دور خلويات صغيرات محوطات بحدائق غلب فسيحات

---

(١) الباغ لفظ تركى معناه الروض على العموم ومغرس الكروم بالاخص.

الارجاء يقطنها الوزراء ، والنواب ، واعيان المدينة .

وقضى أسعد نديم بك مسافة الطريق فى الحديث ، فأخذ يشرح الطريقة التى اتبعها فى النزوح من الاستانة على أثر ظهور الحركة الوطنية في مبتدإ أمرها ضاربا صفحا عن كل مايمكن ان يستبقيه هنالك جاداً فى سبيل الالتحاق بالزعيم الاكبر . وهذا الفتى متناه فى اخلاصه وفى نشاطه وفى كفاءته . فهو من الضاربين بسهم فى الفنون وله خبرة فى امور جمة : فمن المام بالتلغراف الاثيرى ، الى علم بالكهربا ، فبراعة فى التصوير الفوتوغرافى ، فاتقان فى اشياء اخرى . وهو ابن اخ الفريق رمزى طاهر باشا زميل م . زاده قديما فى الوظائف العسكريه ، وربما كان ميل م . زاده الى عم هذا الضابط الفتى — أن رمزى طاهر باشا من كبار الضباط الاكفاء المدونة اسماؤهم فى التواريخ العسكرية فى مصر والسودان — هو السبب في اظهاره عاطفة الحب الصادق اليه وفى تمنيه له ان يبلغ من المجد ما بلغه عمه ، ذلك الرجل الشريف ذو السيرة الحميده .

وكان العمال يشتغلون فى توسيع هذا المسلك الضيق الذى تهل الاوتومبيل فى آخر استقامته امام المخفر الصغير الموجود به جنود لاريون من ذوى القامات البديعة .

وبعد بضعة أمتار من هذا المخفر ينعطف المسلك الضيق يمنة

وهنا تبـدو للعيان دار الزعيم الاكبر الخلويه ، واذا به واقف فى الانتظار فى الحديقة الصغيرة المرتفعة المسورة بسياج بسيط :

وكان مرتديا لباسا شديد الزرقة ، فتقدم وعلى شفتيه ابتسامة ملغزة من ابتساماته التى حيرت افكار اناس كثيرين ، ثم قال :

« لقد وافيت اخيراً الى مسكنى الحـديث ، الست تراه بهياً نضيرا ؟ »

ثم بادر بمصافحة يصحبها الود الاكيد تدل على ابتهاج صادق لا أثر للتصنع فيه .

فاجاب ه . زاده :

« انه فى الحقيقة بديع وله ميزة الراحة والسكون »

ثم اجتازا بهو الدار المزدانة اركانه بارائك وثيرة من الطراز العثماني البديع ، ودخلا غرفة على اليمين اعدت لان تكون مكتب عمل مصطفى كمال باشا .

وكل ما فى هـذه الغرفة ذو صبغة خاصة حتى ليكاد يقال انها متضمنة ركنا من الارض العثمانيه . اذ كل مافيها خلاصة الاتقان ومن الاشياء النادر وجودها ، وكذلك النسيم النافذ الى هذه الغرفة فيه عناصر الحياة والقوة .

ويوجد فى هذه الغرفة مكتب من الخشب المصقول القاتم حافل

بالاوراق ، كما توحد فيها أرائك ومتكآت مكسوة بالجلد الاحمر مصنوعة أبدع صنع وكذلك الستائر القطيفية ذات لون قانئ تتدلى في أعلاها سجف قد ارتسم فيها الهلال والنجمة ؛ وتخف من النوافذ الى داخل الغرفة نفحات الربيع المعطار .

وتسود سكينة مدهشة في جهة تشان هايا لا تشوبها سوى تغاريد الاطيار المتوطنة في اشجار الحديقه الباسقه .

أن الاحلام والتصورات البديعة لتتابع على الخيلات السابحة في لجة هذا السكون العميق اللذيذ ، ولا تلبث النفس ان تستسلم الى سحر هذا المصطاف المتغلب على اقوى العواطف والافكار . .

وجلس الزعيم الاكبر في متكأ وثير ازاء الاريكة ثم قال :

« نبئني اذن ، أفانت عازم حقا على الارتحال بمثل هذه السرعة المدهشه ؟ »

فاجاب هـ . زاده :

« ان عملي يقتضي الاسراع في الاوبه . الا انني عند ما يجب عليّ المجيء مرة أخرى الى هنا سأبحر على ظهر اولى البواخر التي تقصد شواطيء الاناضول على اثر استلامي تلغراف الاستدعاء »

وقد دار البحث في سائر المسائل المختصة بالأحوال الحاضره . فألمّ الكلام بالشرق وبالغرب ، واتسعة معلومات الزعيم الاكبر

لتدهش فى كل مرة محادثه ، اذ يجده مطلعاً على تفاصيل عجيبة لم يكن من المظنون وصولها الى علمه . فهو خبير بكل شيء وبكل انسان له يد فى الشؤون العامه . وهو لا يستخف باي شيء كيفما بلغ من صغر الشأن ، كما انه يعرف لكل امرىء قيمته الحقه . هو محيط باسماء الذين يعملون عملا صحيحاً والئك الذين يعملون لمجرد الظهور .

وفى الحقيقة انذكاء هذا الرجل لاحدى الاعاجيب ، فانه جمع فى شخصه بين خصائص متعددة لا تجتمع لدى انسان واحد ، فبينما هو عسكري كبير اذابه اداري قدير واذابه سياسي محنك بارع بصير :

ومن ذلك انه يهتم جد الاهتمام بالخدم الجليلة التي يؤديها العالم الاسلامي لهذه البلاد التي تدافع عنه وبالتعضيد المتوالى من قبله (؟؟؟) ويثني عليه لاجل غيرته وكرمه اجمل الثناء .

واذ ماخاض غمار الشؤون الاسيوية والافريقية ظهر تخصصه فيها وعلمه الواسع بها حتى ليكاد يحسب المفرد العلم فى هذا الباب .

وخرج من حديثه الضافى عن هين القارتين الشرقيتين بقوله الآتى :

« لسنا مهيجين ولا محرضين ، ولا نحن بمستعبدين ولا بفاتحين ،

بل ما كادت اوربا توجه الينا باولى رسالاتها حتى كان جوابنا ارسالنا وفداً من خيرة رجالاتنا اليها ولكن . . . قبل ان يزمع هذا الوفد على الاياب الينا كان ما رأيت بعض آثاره بعينيك وما وصل الى سمعك من بقية ابنائه ! اما الصلح فنحن اشوق الناس اليه وهو أحب الامور الينا ولكننا انما نريد ابرام صلح عادل شريف . . . الا انهم معتزمون على استئصال شأفتنا وانى لاعلم علم اليقين الباعث لهم على هذا الاعتزام ، ، ، »

. . . .

. . . .

ثم اخذ يفصل هذه الاسباب فكانت اقواله فى هذا الصدد آيات بينات مدعمة بانصع الادلة واثبتها فى العقل وان الحقائق التى يسردها هـذا الزعيم العظيم لابعد من ان يحيط بها علم المارقين الجاحدين . . .

ثم قال : « هـلم بنا نستاف عبق الربيع المنتشر بنوع خاص فى أرجاء هـذه البقعة النضيرة ثم نعود الى وصل احاديثنا تارة اخرى » .

حتى اذا ما خرجنا الى الخميلة الصغيرة المرتفعة المغطاة بانواع النباتات والآخذ سكونها العذب بمجامع الالباب ، علق الزعيم

الا ′بر ويصف روضه الانف الذى يحبه وظلال لاشجار الوارفة التى يتفيأها احيانا منصتا الى تغريد البلابل .

اتراه فى خلواته هذه مستروحا نسمات الربيع ممتعا بصره بنضرة الزهر البديع ، يخطط فى ساعة فراغه من العمل اساس مشروعه الجسيم الذى اختمرت فكرته فى عقله لوفع اركان المستقبل العظيم ؟

من ذا الذى يستطيع ان يدب الى قرارة نفسه ليستكنه حقيقة ما هو مخبوء فيها ثم يناجى بها العالم الاسلامى الحائر القلق ؟ ما من اثر يلوح على قسمته للناظر اليه فيسترشده عن هواجسه وآماله أجل لا يرى الناظر الى ملامح وجهه سوى انعكاس العواطف التى تخالجه من الارتياح والابتهاج اثناء الهنيهات التى يقضيها فى روضه المعطار .

وتحول فجأة الى شاعر وجدانى طروب فقال :

« آه لو كنت تعلم ما للشمس ساعة اشراقها من المنظر البهج البديع الذى تتمتع به الابصار الشاخصة اليها فى البكور من هذا المكان »

وانطلق ينعت محاسن الطبيعة وتناسق مرائيها البديعة .

وما كان اعظم ما تتراءى له الحياة جميلة فى هذه الهنيهة ، مع انه طالما احتك بالموت وكاد يقع فى شركه المنصوب .

ولقد كان من المقدس لديه ان يطيل أمد هـذه الهنيهة التي لاحد للطافتها وعذوبتها لولا مايعترض هذه الامنية من وجوب العودة الى سياق الحديث الذي انفتح رتاجه على مصرعيه . . .

. . . .

فأخذ يقص سيرة نهوضه بهذا الامر ذاكراً كيف اضطر الى المجاهدة بعـد ابرام الهدنة مع ثلة من التجعان ، عاطفاً على ما كان ملما بالامة اذ ذاك من ضعف الثقة بالنفس او انحطاط الحالة الادبية العامة ، وتجرد الجنود من الادوات الحربيـة ، والضيق الشامل المخيم على البلاد التي ألقيت في هوة البأساء والفاقة ومزقت شر ممـزق بقساوة وفظاعـة ، شارحا الدسائس المدبرة على أوجه شتى وفي أماكن متعددة ، وظل ينتقل من شرح الى وصف مستفيضاً في الكلام حتى ختمه بهذه الالفاظ :

« ومع كل الاهوال التي قد تؤدى الى ثبوط الهمة لم يتغلب على قلبي اليأس ولم افقد الامل لحظة ما ! فانظر الآن تيار العساكر القوي المتدفـع على التوالى تر انه منبعث من كل مكان ، حتى اذا ما اقبلت افواج الجنود الى هـذه المدينة مركز الاحتشاد يلبثون فيها المدة الكافية لتقلدهم السلاح واكمال تاهيبهم ــ بقدر ما نستطيع ــ وبعد تدريبهم على الشئون العسكرية ينطلقون الى ساحة الوغى

ولسنا فى حاجة الى الضباط فانهم بفضل الله عديدون ، والتجارب التى استفادوها من الحرب الكبرى تفيدهم الآن اجل فائدة . وسترى بعد غد رأفت باشا الذى سيشخص الى هنا ، كما انك ستلتقى فى طريقك بعصمت باشا الذى ستتعرف به على الجبهة »

. . . .

ثم نهض من مكانه ليتفقد بيته شأن كل مالك يهتم بادارة شؤونه الداخلية بنفسه ، وأرى ه . زاده مضيفته الصغيرة (سلاملك) وهي مصنوعة على النسق العربى ، والذى شيدها له ورتبها مهندس أوربى قديم انتحل الصبغة العثمانية منذ زمن طويل .

ولقد يبتهج المرء برؤية هذا الرجل وهو جاد فى عمله معتمد على آلات صنعها هو نفسه واخذ يزخرف بها هذا المنزل الصغير .

ومذ أن رأى هذا المهندس الزعيم الاكبر وضيفه يتأملان صنعة يديه وجه الخطاب الى ه . زا ه قائلا :

انما نخلق هنا الحاجيات خلقاً تقضى به الضرورة » .

واضحكت هذه الكلمة الزعيم الاكبر ، الذى لابد ان يكون قد ذهب به الفكر الى حياته والى مشروعه الملخصتين فى هذه الكلمة نفسها : خلق ! وهذا المنزل الصغير مخلوقاً من اوله الى آخره

وبعد تلك الجلسة التى طال حديثها حتى أمضه بدت عليه

علائم الارتياح وكانما سري عنه بما رآه فاخذ يتأمل الزخارف العربية المزدان بها منزله الصغير .

. . . .

. . . .

واذ كان لا بد له من الوجود فى المجلس الوطني الساعة الثالثة فقد اشار باعداد سيارته قبل الموعد المحدد بقليل وارتدى معطفه السنجابي المشهور الذي يوائمه اتم موائمة ثم تبوأ السيارة مع هـ . زاده

وادى له التحية العسكرية على طول الطريق الى الوادى جنود لازيون فرسانا ومشاة . فهنأه هـ . زاده على نظامهم البالغ غاية الكمال .

فأجابه الزعيم الاكبر على تهنئته بقوله :

« اليس هؤلاء الشبان ذوى منظر باهر ، فتامل فيما لو كانوا حاصلين على ما يتمتع به جنود الاعداء من الحاجيات والكماليات . وهل كان يعجزهم اتيان أى أمر كيفما كان عصيا مستحيلا ! فما اكثر ما يراد انجازه فى هذه البلاد التعسة التى لا تبتغي سوى السلم والاطمئنان ! فليكلل الله مجهوداتنا بالنجاح ليرى العالم اجمع ماذا عسانا ان نصنع لاسعاد الوطن المقدس وسلامته ورغده » . . . .

. . . .

. . . .

وحينما بلغت السيارة دار الندوة انحدر منها ثم قال :

« ستحملك مركبتي الى مأواك ، وآمل ان اراك بعد غد ، لان المجلس الوطني الكبير سيعقد جلسة تاريخية عظيمة في ذلك اليوم » . . . .

. . . .

. . . .

وفي الواقع ان الجلسة التي عقدها المجلس الوطني الكبير في ذلك اليوم كانت ذات شأن عظيم ، وهي احدى الجلسات التي سيدونها التاريخ في صفحاته الخالدة بالتأكيد . .

. . . .

. . . .

. . . . :

وبعد انتهاء هذه الجلسة التاريخية الهامة التي استغرقت وقتاً طويلا ، ادخل روشان اشرف بك هـ . زاده الى غرفة متصلة بغرفة الزعيم الاكبر . وكانت موجودة في هذه الغرفة الهدايا القيمة التي قدمها هذا الزعيم الكريم تذكار حب صادق الى ضيفه وهي مرتبة ادق ترتيب وتشتمل على الاشياء الآتي بيانها .

فرد بطلق واحد مرصع بالنضار : وهو ذخر لا يمكن تقويمه لانه آت من الجيش ، ومائدة مستديرة صغيرة من خشب الورد عليها نقوش من ابدع الكتابات ؛ وعلبة سجائر نقش عليها اسمه بخط جميل على شكل بيضي ، وعلبة كبريت ومنفضة سجائر تجملهما بالمثل نقوش نفيسة وهذه الاشياء من محاسن الصناعات الوطنية ، ودواة كبيرة من المرمر الاخضر ، وقد صنعت من هذا الحجر العزيز لدى الفئة البكطاشية التى لبثت اجيالا طوالا مهتمة بسائر جيوش السلطنة ، ومدخن سيجارة (فم سجاير) من الحجر الصلب ، وعلبة كبيرة برعت فيها اليد الصانعة حتى كادت تجعلها فى دقة الدانتلا ، وصور فوتوغرافية ليس لها نظير ، ومجموعة كبيرة من صور الحرب (البوم) وكتب شتى الى غير ذلك . . . وكل هذه التحف تكوّن كنزاً لا يمكن تقويمه .

وبعد ان امتع م . زاده بصره بهذه النفائس المختارة واثر اهداؤها فى نفسه تاثيراً عظيما ذهب ليشكر الزعيم الاكبر فى مكتبه على هذا الفضل . فقال له مصطفى كمال باشا :

« ..هذه الاشياء بسيطة تمد بها مكانا صغيراً من مأواك ، وبما ان هذا المكان الصغير الذى سيؤثث به فى اوربا فسيأخذ شكلا من اشكال انقرة وتتماوج فيه نفحة عاطرة منها ؛ واذ ذاك تتذكرنى وتتكلم عنى »

الرسالة الحادية عشرة

انقرة فى ١ مايو اول يوم جمعة من رمضان
وهو المخصص لتلاوة المولد النبوى رحمة على ارواح الشهداء.

« يا محمد »

الآن اخذت تماوج فى الجو حتى تصل الى قبر الرسول المكرم صلى الله عليه وسلم اجمل الاصوات العثمانيـة واشجاها وارقها وأعذبها رنينا .

بعد القاء خطبة الجمعة المعتاد القاؤها فى جميع البلاد العثمانية من المنابر باللغة العربية الفصحى واداء فريضة الجمعة بدئ بتلاوة مولد ذلك الذى اشرق على العالم الاسلامي هدى ورحمة

واستمرت الانغام المتمازجة المتناسقة المطربة تتراسل الى الاسماع من اعلى الدكة الخشبية المحلاة بابدع اشكال الحفر صادرة من أعماق القلوب تنفساها نفحة حرة من التاثر والايمان .

وتوالت الالفاظ الحارة منبعثة بجلاء وتاثير فى الحاضرين الركع الذين كانوا يصغون ، وعليهم سيما الخشوع وهم صامتون ، بلاغة مايلقيه عليهم ذلك الخطيب الشهير الذى اخذ يتكلم آونة بالعربية وتارة بالتركية . . .

وهبت نفحة قدسية شملت الجميع ، فاستوى الكبير بالصغير في الخشوع والتأثر ، وشرع جميع الموجودين في مصلى هذا المكان المقدس الرحب يبتهلون بقلوب متلهبة الى الله ان يتقبل ثواب تلاوة المولد رحمة على ارواح الشهداء الابرار .

وليس هذا الترحم مقصوراً على هذا المكان بل هو عام كل مسجد وكل مكان في آسيا الصغري في هذا اليوم نفسه وفي هذه الساعة عينها ، اذ يخرج الملايين من الناس الى الخلاء او يجتمعون في البيوت وهم متحدو الشعور مترحين بالاجماع التام على اولئك الذين سقطوا في ساحة الجهاد والشرف .

فالاناضول بأسره يبتهل اليوم لاجل هؤلاء الشهداء .

وقد انتهز الامام الاكبر هذه الفرصة فاقبل من الاستانة متخليا عن وظائفه الدينية الجليلة في القصر السلطاني ليعظ الجنود الذائدين عن الوطن ويحمسهم بالالفاظ الباعثة على الثقة والرجاء ، وليتلو سيرة المولد النبوي في جامع انقرة المقدسة البديع بصوت رنان ولحن مطرب رحمة على ارواح الشهداء المكرمة .

ومن وراء الحاجز المخصص للسيدات المصليات القادمات في هذا اليوم المبارك على الاخص لاستماع السيرة النبويه ولضم اصواتهن الى اصوات الرجال في الابتهال الى الله ان يرحم الشهداء

الابرار كان يرتفع نشيجهن المختنق بالعبرات ويمتزج باريج المباخر المنبثه فى سائر اركان المسجد والمرتفع دخانها المنعقد فوق سائر الرؤس المطرقه اجلالا وتاثرا معطرة مروحة عنها بعض شجنها .

وكانت الخطابة التي القيت بعدالفراغ من تلاوةالسيرةالنبوية العاطرة فعالةفى العواطف ومثيرة للنفوس وبالغة منتهى السمو بما تضمنته من الآراء السديدة والوجدان الشريف . وهيهات ان يستطيع امرؤ ان يصور الصوت الرنان المترامى الى ابعد اغوار القلوب المنبعث من فم ذلك المرشدالاكبروترديدالنصوص المقدسة الواردة فى مقاله الضافى الملم بشؤون العالم الاسلامى من الوجهتين الدينية والسياسية

رقداستشهد بنبيناعليه الصلاة والسلام، فانتفض من شرحه الحزن اتباع الرسول الذين اخذوا يستمعون هذه الالفاظ المتقده كالجمر الآخذ تحريكها للعواطف فى الازدياد المطرد

وهذا نموذج منها :

« أى محمد انظر الى ابنائك وتأمل اتباعك الصادقين ترهم جميعا كيف يقاتلون بغير فتور مستمدين شجاعتهم من قوة عقيدتهم وشدة ايمانهم ! وهم ليس لهم من ظهير سوى هذا المعتقد الذى أوصيتهم به والذي يذودون عن حياضه بشهامة واباء كل المستخفين به والمعتدين

عليه . ولم يترك اعداء هذا الدين ضرب من ضروب الاعتداء من غير ان يقترفوه : فمن مظالم الى آثام فاغارات . حتي ان البلاد التي كانت عامرة زاهرة فيما سلف اصبحت اليوم تئن تحت الارهاق والتعذيب الاجنبيين . ولم يبق سالماسوي هذا الملاذ المقدس المتوالى الجهاد لاجله ليل نهار دفاعا عن استقلاله ، اذ من الواجب الاحتفاظ باشعة شمس الاسلام من العواصف والانواء ومن القلاقل المزعجة والغصص المؤلمة المتواليه !

فيا ربنا أعنا وقونا ، ويا محمد بكر امتك عند الله نلتمس منه المدد والنصر ! لقد هوجمنا من كل جانب وتوالى علينا عدوان الاجانب ! انت الذى أوليت امتك فيما غبر بالمام من الله السؤدد والمجد والثبات والقوة فانظر الان الى الضيق العام الذى حل بنا من جراء البغي والجشم الموحهين الينا من قبل أولئك الذين يغتنمون فرصة السلطة الجائرة القاسية التي يتمتعون بها فى الوقت الحاضر .

انا نستميحك العفو عن المخطئين وعن جميع المذنبين ، ونضرع اليك باخلاص يارسول الله القدير يامن ارسلت هدى ورحمة للعالمين ان تكون شفيعنا وملتمس الخير من الله لنا اكراما للمؤمنين الابرياء الاطهار الذين يعانون المصائب والاهوال والذين يجاهدون فى الله حق جهاده ويستشهدون لاجل اعلاء هذا الدين الحق

كل يوم .

ان المهمة التي لا نزال مضطلعين باعبائها عظيمة وهائلة ، فليحفظنا الله وليتولى رعايتنا . وعلينا نحن ان نرى بعيون الثقة في سرائرنا ضوء الامل الذي يهدي الى الحياة الشريفة ! وليُنزل الخالق القدير آية نصره المبين على ظبي المواضي الاسلامية التي تدافع عن بقاعنا المكتسحة وتجاهد بما اوتيت من حول وقوة معتمدة على نفسها أفظع تالب عرف من قبل : وهو الحرب الصليبية المتنكرة في اثواب المدنية الحديثة .

ان تاريخ الانسانية لم يشهد على توالي العصور مثل هذه الاعمال المنكرة ، الى غير ذلك مما قاله الخطيب .

فللجنود حماة الدين والوطن المجد والفخار ، ولتضطجع يوم النصر المبين نفوس ابنائنا الشهداء في سبيل هذه الارض المقدسة في راحة وسلام . . . الى آخر ماقاله . . . »

وانتهى هذا الدعاء المصحوب بالذكريات المؤلمات باستدرار الرحمة الالهية .

وهبطت من اعلا المنابر الزجاجيه المتعددة الوانها انوار خفيفة لطيفه .

وكان لا يزال عدد عظيم من الناس جاثين بجانب الاعمدة وهم

لايزالون يهمسون بالادعية أو بتلاوة الايات وقد اخذت ايديهم تكفكف برفق المدامع المتحدرة من مآقيهم فى طي الخفاء .

ونهض الزعيم الاكبر صامتا ، وتبعه كل الوزراء والضباط وكبار الموظفين والاعيان وبقية المحتشدين فى المسجد من كبار وصغار وهم يراعون السكينة التامة المدهشة

وكانما قد هبطت من عل على حين فجأة نفحة سرية ابثت هنيهة ما يصحبها اطمئنان وسلام مهديء .

ولم يشأ هذا الجمهور نفسه وهو يتماوج في فناء المسجد ولايزال في تأثره ان يقضي على بهجة هذا التجلى الديني المحركة للعواطف والتى جعلت كل امريء في اشد مايكون من التأثر .

وكان مصطفى كمال باشا مشتملا بملبس اسود حدادا على ابطال الامة .

وكانت دلائل شجنه بادية على وجهه . وخاطب هـ . زاده بصوت لايزال متهدجا تخالجه مسحة من الاسى وهو آخذ بيده ليدنيه الى جانبه فقال :

« ان الله عظيم رحيم وسينقذنا من حرجنا هذا ؛ وانى لواثق برحمته وكرمه »

واخذا يسيران جنبا الى جنب خطوة فاخري بتباطيء شديد

وهما يجتازان شارع المسجد الغاص بجموع الناس المزدحمةوالشارع الكبير الموصل الى المجلس الوطنى .

واحتشد الجمهور على جانبي الطريق واخذ يحي الزعيم الاكبر باحترام وهو مار في وسط هـذا الحشد الحافل كانه رمز مجسم لتادية الواجب .

وتبعه الوزراء والضباط وصحبه وحرسه الخاص عن بعد .

وقبيل الوصول الى دار النـدوة شق الصفوف رجل بدين مكتهل واندفع منتحيا وجهة الزعيم الا كبر وهو يصيح :

« انى ملتجىء اليك ايها الرئيس الا كبر المحبوب وملتمس منك الانصاف والمرحمة المقدسين »

واتم الرجل حركاته وقوله من غـير ان يعترضه أحد ويحول دون وصوله الى مصطفى كمال باشا ، بل ظل رجال الشرطةوآلاف الناس المتجمهرة وقوفا فى اماكنهم .

وذلك لانه لايخطر بمال احد فى أى وقت امكان الاعتـداء على حياة هـذا الرجل الجليـل المخلص الذي وهب حياته لوطنه وامته ، وهل يجرأ انسان على ان يمس بأذى من يعتبر أمـل الغد ؟ الم ينقذ الامة بأسرها ويظل محافظا عليها من كل عدوان ؟

ووقف هذا الرجـل المشتمل بثياب اناضوليـة امام الزعيم

الاكبر الذي أجابه بقوله :

« ماخطبك يابني ؟ »

فحينئذ شرع هذا الفلاح المجذوب يقص حكايته مبينا ما حل من المحن .

فلما أتم شكاته قال له الزعيم الاكبر :

« أنت يابني المفتوح لكل امرئ صادقا قلبك الى نجدة الحق لا انظر في شكواك واجعل العدل يتخذ مجراه »

ثم تناول هو أمر هذا الكهل وقبله ولما ان انتهى من امر هذا الشيخ التفت الى [illegible] زاده وقال له متسائلا

« أليس هذا الشيخ تمساً مجهوداً [illegible] »

فأجابه [illegible] زاده قائلا :

« أجل ان السبب الفاعل الاكبر في انتشار الاسلام بسرعة واشراق شمس مجده ليرجع الى ما امتاز به من العدل المتناهي »

وتأمل [illegible] زاده قليلا ثم قال :

« واني لاصبحت اعتقد الآن جد الاعتقاد انك بأمثال هذه الاعمال ستصل بالفعل الى الثورة الحقيقية »

واذ كانا يتكلمان هما سائرين [illegible] زاده من مقاله حتى صارا امام دار الندوة .

وهنا وقفا ونظر مصطفى كمال باشا الى ضيفه قائلا له :

« أتمنى لك السفر السعيد ، لقد أعد كل مايلزم لنقلك الى آخر مرحلة في دائرة نفوذنا »

. . . .

وصافح الزعيم الاكبر هـ . زاده هازاً يده هزة الحب الصادق والاخلاص الاكيد .

فودع هـ . زاده الزعيم الاكبر وهو غير متمالك نفسه من تأثير الفراق في نفسه ، واتجه الى الحضور فسلم عليهم وحيا الجمهور بهدوء .

ثم شمل انقرة المقدسة العاصمة الخالدة بنظرة رفق وهيام وولاء اكتنفت جميع ارجائها .

وفارقه مصطفى كمال باشا وهو يقول له بصوت جهوري رنان :

« ليحفظنا الله من كل مكروه وليشملنا جميعاً بعنايته ووقايته »

ملاحظات ومشاهدات

ملاحظات ومشاهدات

وهى جمل مستخلصة من دفتر الطريق الذى دون فيه هـ . زاده تاملاته وآراءه

انقرة المقدسة فى ١٣ مايو

الساعة ١١ مساء .

أقبل اليوم من جبهة القتال القائد رأفت باشا واصلا الى انقرة الساعة الخامسة بعد الظهر ، فجاء الي بيت بكر سامى بك زائراً وهنا لك تعرف بى .

واذ كان وزير الخارجية متغيبا عن بيته فقد حللت محله فى استقبال هذا الضيف الجليل .

ورأفت باشا متوسط القامة ذو مشية يتمشى فى خطواتها الشمم .

وهذا القائد الشاب جميل الشمائل والهندام فى ثوبه العسكرى الرسمى البهى حتى لقد أدهشنى مرآه .

ولشاربيه الصغيرين الناهضين منظر بديع يجعل لسمته الحربية الصريحة جاذبية خاصة .

واما عيناه القاتمتان الدالتان على الذكاء فتتلألآن لأن تحت

قلنسوته السوداء .

وما هو الا امرؤ حر الارادة مستقل فى العمل شجاع .
يخيل الى رائيه وهو ينظر اليه ويستمع مقاله ان لا يوجد شيء يفسد
عليه خططه ومشروعاته ولا يمنعه أي كان من تنفيذ الامر الذى
يكون قد صحت عزيمته من قبل على اتيانه . وهو ضابط فنى
ذو قيمة عظمى وقد اشترك فى سائر الحملات الكبرى فى الحرب
العالمية وكان موفقاً ظافراً فى معركة غزة الاولى .

وفضلا عن ذلك فان رأفت باشا من أوائل الابطال الذين
ايدوا الحركة الوطنية ، وقد بذل مجهوداً خاصاً فى نشرها
وتقويتها .

وان عمله الحربى الذي قاوم به الانجليز فى مرزيفوزوكذلك
الطريقة الباهرة التي اخمد بها الثورات التى تتابعت على اثر ابرام
الهدنة ولم يكن تحت امرته اذ ذاك سوى خمسة عشر فارسا ليعتبران
من الاعاجيب ، ولا سيما اذا علم انه عاد من حركاته القامعة
على رأس ستمائة فارس كمي مدججين جميعاً بالاسلحة الكاملة
من عقاصهم الى اخامصهم فكان نجاحه هذا المدهش فى هذه الآونة
هو النواة التى تجسمت حولها القوة النظامية الوطنية .

وله الشرف والفخار فى مقاسمة عصمت باشا مجد الانتصار

الذى تكالت به معركة ابن اونى .

وفضلا عن مقدرته العظيمة فى الفن العسكرى فهو خطيب بليغ يحرك العواطف ويهز القلوب وأديب رشيق القلم رقيق الشعور .

وهـذا الرجـل الذي يلتهم الـكتب التهاما يعتبر فى هـذه الآونة من ابنغ العقول الشرقية واوسعها علما واطلاعا .

واخلاصـه العظيم ووده الصادق الاكيد هما اهم الشمائل التى تلوح على محياه الذى ترتسم عليه مخائل الشهامة والعزم والاقدام وهى الصفات الجوهرية للقائد المغوار الدى لايقهر ولا يعرف سوى الهجوم على العدو وكسر حدته وتقويض معالم دفاعه وافناء قوته.

ولقد أفهمنى بانه لايحب التقهقر ولاالتراجـع الذى تقتضيه فى بعض الاحوال الخطط العسكرية .

وعلى اثر ذلك تبادلت جوانحا عواطف الميـل والود التى قربت بين قلبينا ثم وصلتهما برابطة الحب الصادق !

واستقل سيارته البديعة حوالى الساعـة السادسـة مساء وعلم القيادة العايا يخفق فى مقدمها .

وكان يقود هـذه السيارة سواق عسكرى ويصحب هـذا القائد العظيم فيها ضباطه الخـاصين به المكلفين بتنفيذ أوامره وتعليماته العسكرية .

١٤ مايو فى القطار الذاهب
الى اسكى شهر

كان اليوم موعد السفر . فانا افارق انقرة المقدسة والاسف مستول على فؤادى . وفى الحقيقة انى ما كنت لافارقها لو كان لى نصيب من الاختيار ، الاان مقتضيات قاهرة تبعدنى عن هذه المدينة التى احببتها وقاسيت فيها آلاما شديدة هى القسط الذى اصبته من مجموع القصص والتباريح الوطنية !

وستظل الحفاوة التى قوبلت بها فى هذه الديار ماثلة ابدالدهر فى ضميرى لاتقوى على محو ذكراها من ذاكراتى وقلبى تصاريف الزمان .

فمتى أؤب اليها ، وكيف أرى مرة اخرى هذه العاصمة المشرقة الضحوك المتلألئة المحصنة القوية ؟

لقد غادرت بها اصدقاء أوفياء عديدين ذوى نفوس شريفة وقلوب صادقة واقدام وتغلب على هوى النفس باهرين . ولقد عسر عليّ ان افارقهم وهم فى مثل حالتهم هذه الحرجة المؤلمة على الرغم من اعتقادى الجازم بان الخاتمة ستكون باذن الله على احسن مانرجوه من فضله وكرمه لان مسألتنا التى ندافع عنها عادله .

فسلاما عليكم جميعاً ايها الاصدقاء بل ايها الرفاق الذين كانت

صحبتى معهم واأسفاه اياما معـدودات ، الا انها انتهت باحكام صلات الود بيننا .

وانى لأدون اسماءكم فى دفتر سفري خفيه . . .

انى ادون هنا الآن اسماء اولئك الذين بلغت صلات الود بينهم وبينى الى درجة عظيمة من الاحكام ، وهاهى ذى :

القائد يوسف عزت باشا رئيس جيش القوقاز سابقا ونائب الآن فى المجلس الوطني الكبير . وهو عالم قـدير ومؤرخ محقق ، وضابط بارع ، ووطني غيور ، ومؤمن شديد التشبث باحكام الدين وهو من امثلة شرف الامة وشهامتها .

أمـير باشا : نائب سيواس ، ولست انسى ماحييت تلطفه المتناهى معى اثناء الايام التى قضيناه فى مسكن واحد .

موفق بك : احد نواب الاستانة سابقاً ، وابن رئيس مجلس الاعيان ، وحفيد الشاعر الوطني الكبير المترامية شهرته فى الآفاق كمال بك ، وهو مالى قدير .

رؤوف احمد بك : أحد نواب الاستانة سابقا ، وهو كاتب بليغ ، وامرؤ ذو ولاء صادق وشديد .

خسرو بك : نائب ومن كبار الضباط له صفحات غراء فى سجل الحرب العالمية وفى تاريخ الحركة الوطنية .

أميرالالاي اديب بك : ان هذا الصديق الحميم لروما ولانقرة كانت مودته العزيزة عليّ ذات قيمة لا يمكن تقديرها لدي .

علي خان : وهو صاحبي العزيز ، سليل اسرة من امجد واشهر اسرات القوقاز ، واحد ضباط الفرسان الروسيين سابقا ، وهو مسلم غيور على الدين ومن اكفاء الرجال .

ضيا بك : المدير العام لقسم كتبة الاسرار فى وزارة الخارجية ، وهو عالم مقتدر يجيد معرفة لغات اجنبية متعددة .

شوكت بك : هذا الشركسي العيوف الوجيه هو بن بكرسامي بك المعروف جد المعرفه و سيكون له بالتا كيد مستقبل باهر .

على ان يراعى لن يقف عن حد معين لو شئت القيام بالواجب واسترسلت فى سرد جميع الاسماء الاخر التى تتمثل امام ذاكرتى فى حين انى مضطر الى التمهل عند هذا المدى لان مركبات عديدة اخذت تتقاطر . ما اشد تدفقها وما اعظم تزاحمها فما هى الا مركبات المشيعين الذين طفقوا يهرعون لتوديعي !

آه من غصة السفر ومن مرارة الفراق ، ما اشدهما على النفس وانكاهما بالقلوب !

بعد مدة قليلة

لبثت استقبل المودعين الى الساعة الثانية بعد الظهر .

ولقد كان الاسى مستوليا على قلوبنا جميعا .

وانطلقت الساعة الثالثة صحبة اديب بك الى القائد رأفت باشا لزيارته . وهو يقطن مع ضباطه فى قطار قد تخذ من مركبته الكبرى مكتبا له .

وقد اتيح لى التاكد مرة اخرى من كفاءة هذا القائد الكبير فى الشئون العسكرية وطهارة قلبه وشرف وجدانه اثناء الساعتين التين قضيناهما فى الاحاديث الممتعة المفيدة .

. . . .

فليبقه الله وليبق امثاله من العاملين لانهاض الاسلام واسعاده .

وقد لازمني مع امير الالاى اديب بك الى مركبتى فى القطار ولقد عانقته واقترفنا ، والقلب الذى شغله وده الصادق يتلظي على حرق والتياع .

وغصت المحطة بعالم لجب من المشيعين . واذا بمندوب الزعيم الاكبر الذى احمل ذكراه العبقة الجليلة الى اوربا قدتقدم اليّ فاعدت على سمع هذا المندوب وهو روشان اشرف بك اجمل واخلص عواطف اعترافى بالجميل العظيم ، ورجوت منه ان يبلغ سائر

الوزراء وجميع كبار الموظفين والاعيان مرة اخرى صدق ولائى وشكري المتناهى .

فانطلق الى الزعيم الاكبر ثم آب من عنده مزوداً برسالة أفضى اليّ بها سراً فى أذنى ، وانها لرسالة ذات شأن جليل .

فما زدت على ان قلت :

« حسن ، لقد وعيت ما أملي عليّ »

وعلى اثر هذا الجواب الموجز انحنى بكر سامى بك ليقبلنى ثم قال لى :

« الى الملتقى القريب جداً » .

وآذن القطار بالمسير ، وكانت الساعة اذ ذاك الخامسة بعد الظهر . . .

لقد انتأيت وشط المزار . . . فالى الملتقى وليكلئك الله بعين رعايته وحراسته يا أنقرة المقدسة !

في القطار

لقد كانت الحجرتان المصاقبتان لحجرتي مشغولتين بالركاب ولمحت من بينهم جلال الدين عارف بك رئيس المجلس النيابي الذي كان منعقدا في الاستانة سابقا ، واحد وزراء العدلية السالفين وهو الان رئيس لجنة الشئون الخارجية ونائب . وانه لمحام بارع قدير عرفته مصر والسلطنة العثمانية حق المعرفة ومن مشهوري الشراع .

ومن حسن طالعي في هذه السفرة انه سيكون خير رفيق لي فيها حتى نبلغ اوربا .

ويوجد في الحجرة الاخرى منير بك وكاتب سره وهو مكلف بمهمة خاصة لدى القائد غورو ، وهذه المهمة تدور حول الاتفاق الفرنسوي العثماني .

وهذا الموظف الكبير هو المستشار القضائي لحكومة انقرة وبما انه شديد التمكن من القانون الدولي فقد صادف تخيره خير كفء للاضطلاع بهذه المهمة العسيرة الدقيقة .

وهو مستقيم السير عاطر السيرة متناه في البشاشة واللطافة وذو عقيدة دينية قوية .

ولقد حادثته مدة طويلة في مسائل هامة متعددة فاذا بمعلوماته

الجمة عظيمة الفائدة ! .

. . . .

ولقد لاحظت كثرة انتشار الفرنسويين فى البقاع الاناضولية وشدة الميل الذى تشعر به انقرة لفرنسا . وتبينت ان الذين لايجيدون اللغة الفرنسوية حق الاجادة يبذلون منتهى جهودهم لاتقانها .

والظاهر ان القوم يدركون فى آسيا الصغرى ان فرنسا بمفردها هى الجديرة بأن تقدر — على الرغم من كل ماحدث — الصفات الحربية المتاصلة فى الامة العثمانية حق قدرها ، وان تعجب حقيقة بنزعة الاستقلال المتشبعة بها هذه الامة الابية ، وان تكبر من شأن دفاعها المجيد الحافل بصحائف البطولة الغراء اذ من الميسور تذكر المجهودات التى بذلتها فرنسا لاجل تحقيق فكرة الحرية وما بذلته فى سبيل تأييدها هذه العاطفة الشريفة وترويجها لدى الاقوام الذين يجاهدون لاجلها .

وانى لاتمنى من صميم قلبى لهذين الشعبين النبلين ان لايقتصرا على الاتفاق الذى سيبرم بينهما بل يعملا لما هو اعظم من ذلك : أي لابرام محالفة هجومية دفاعية .

ومن رأيي ان عقد مثل هذه المحالفة يعود بالفائدة العظيمة

على هتين الدولتين ، اللتـين تجمع بينهما مودة متاصـلة من عهود بعيدة — ولا يحرجهما تبرم اولئك الذين لا يبتغون لهما تحقيق مثل هذا التحالف .

واذا كانت الدلة العثمانية قد حاربت دول الاتفاق فانما اقدمت على منازلتهن جهارا وبصراحـة لاسباب معقولة يعرفها النـاس وما عهـد فيها من قبـل ان هاجت احـدى خصيماتها على غرة منها خيانة ولؤما ، على مثال الطريقـة التى يتبعونها ضـدها فى هذه الآونه .

ولـكن العالم الاسلامى على علم تام بكل مايحدث ، ولا سيما بتلك اليـد الخفيـة التى تظاهر وتمد الاغريقيين . . . ولا يحسبن الظالمون ان اليوم الذي تأزف فيـه ساعـة الحكم العادل الرهيب لا تزال قصية جدا .

انى لاتمنى ، ونحن جميعا نريد تحقق هـذه الامنية ؛ ان ترتبط فرنسا مع الدولة العثمانية برابطة الود الصادق .

فالذى يجب المبـادرة بتنفيذه الآن ، هو حـل كل المسائل المعقدة بدون اضاعـة الوقت سدى ، والتفرغ بعد ذلك لمواجهة المستقبل فى يوم جديد .

وينبغى ان نتعاون فيما بيننا ازاء ذلك الغد الذى نرى تباشيره

مـذ الآن حائرة مضطربة مبهمة سواء أفى الشرق ام فى الغرب .
ان ثلاثمائة مليون مسلم متحدون بعروة وثقى : فماذا تريد فرنسا
ان يكون شأن هذا العالم الماثل معها !

. . . .

اخـذ القطار ينهب الطريق عدوا ، فاستسلمت الى الاندفاع
فى تيار تاملاتى . . . فليمنا الله على تحقيق مشروعاتنا الكبرى !



اسكي شهر فى ١٩ مايو

وصلنا الى هنا الساعة السادسة صباحا . فما ابهى هده المدينة الكبيرة الزاهرة فى وسط آسيا الصغرى !

وانها لفريدة فى نوعها بفضل ما امتازت به على سواها من شأنها التاريخي الجليل ، وآثارها العتيقة القيمه !

وهي عدا ماتقدم وسط تجاري هام بالمثل ونقطة ملتقى الخطوط الحديدية التي تصل مابين بغداد وانقره .

وكنت ازيد ان ازورها متفقداً بدقة وانعام نظر ، الا ان الوقت الذى امامنا لا يتسع لمثل هذا المرام ؛ والاشياء التي يحسن بالزائر المدقق ان يراها عديدة

واسكي شهر معتبرة فى الوقت الحاضر معقلا منيعاً يستند عليه الدفاع الوطنى .

والجنود تروح وتغدو فى كل مكان منها ، والضباط الذين يرون فيها ، وهم كثيرون ، تلوح عليهم دلائل الانهماك فى الاعمال الا انهم هادئون مطمئنون .

فما ذا الذى يخبأه المستقبل ؟

ان المصنع الكبير تدور رحى العمل فيه ليل نهار ، والمدافع وعربات الذخائر تعد وتوثق وتسير على عجل الى مواطن القتال .

وسوقها الشهيرة ملأى بسائر انواع المتاجر الوطنية ، وعلى الاخص أواني كوتاهية الخزفية الجذابة بألوانها الزاهية النضيرة وما سطر عليها من الآيات القرآنية بابدع الخطوط .

وهنالك من الاضرحة الجليلة والمساجد الفخمة الكبيرة ما يستجر الانظار ويحير الافكار ... الا ان الوقت ضيق ولا يتسع لمشاهدة هذه المناظر الفاتنة فلا بد من الاسراع في الذهاب الى المحطة .

وتحرك القطار في منتصف الساعة الثانية عشرة ، واستمر يطوي بساط الفضاء حتى بلغ بنا علا يوند في الساعة الثالثة بعد الظهر



فيما بعد — فى القطار وهو منطلق
الى افيون قره حصار
رأيت عصمت باشا فى علا يوند ِكان ينتظرنا صحبة امير
ألالاى رئيس اركان حرب المعسكر العام الاكبر عارف بك
والقائد عصمت باشا اقرب ما يكون الى قصر القامه ، ومشيته هادئة جداً ، ومع ذلك فله نظر حاد نافذ ينـاقض ما يتبادر عنه الى الذهن عند التأمل فى سائر ملامحه الاخرى . وهو مرتد بدثار بسيط من الخاكي .

واميرا لالاى عارف بك على شىء من بسطه الجسم وقامته فى غاية الاعتدال . وقد استجر نظرى جمال منطقته الشركسية المحلاة بالنقوش البديعة واعجبت بروائها جد الاعجاب : وما هى الا احدى النفائس التي يجد ربها أن تعرض فى أحد المتاحف .

واستغرق الحديث الذي دار بيننا وعصمت باشا حوالى الساعتين ، ولم ينقطع الـكلام حتى تحرك القطار .

وهـذا الرجل الحربى الفنى العظيم الذى ترامت شهرته فى الآفاق حتى امتدت الى اوربا وقدرها الجميع حق قدرها ، كان يخاطبنا بلهجة يمازجها الهدوء والاطمئنان ، مفيضا فى تفاصيل الوقائع موضحاً كل كبيرة وصغيرة تدقيق تام . ولقد افعم قلوبنـا بالامل

العظيم فى نجاح خطته ، معتمداً على تنفيذها وتحقيق نتائجها المرجوة على معونة الله وتاييده . وعلى شجاعة جنوده المدربين أحسن تدريب والآخذين بقسط وافر من الاهبة ، وانها لخطة هائلة يقوم بتطبيقها العملي رجل وحيد على جبهة فى مثل هذا الاتساع الجسيم ، وقد اعدها ورتب تفاصيلها بتؤدة وبطريقة متناهية فى الاحكام !

ولقد أطرى شجاعة ضباطه ثم قال :

« ان همى الاكبر هو القضاء الكامل على تلك الجيوش المأجورة . ونحن مستعدون للاقدام على كل ما يخطر بالبال ، وكل ما التمسه من العالم الاسلامي ان يتدرع بالصبر الجميل حتى يرى ما يسره ويزيل غصته ، ان الاستيلاء على المدن والمزارع ليس بالامر الخطير ، بل الواجب هو ان نستمر على امطار عدونا السافل ضربات ساحقات على ام ناصيته بغير انقطاع ، ولا بد له من ان يستشعر القوة الصاعقة الكامنة فى هذه الهجمات المتوالية فى بادئ الامر ، ثم يكون نصيبه من تلقى الضربة القاضية فى نهاية الامر »

ولقد كان هذا الرجل الجليل وجيهاً فى هيأته وفى منطقه وهو يتكلم بمثل هذه البساطة عن شؤون جمة ، وقد رسخ فى العلم بمقاصد الاغارقة وخططهم وطرق قتالهم ومقادير قواهم ولكنه لا يريد ان يتبجح ويستسلم الى عوامل الغرور . ومن رأيه ان لاسبيل الى

حدوث مفاجآت خارجة عن دائرة الحسبان . وذلك لان الفن الحربى الذي يشرحه لنا باسهاب لا يجيز توقع امثال هذه المفاجآت وهذه خلاصة رأيه في هذا الصدد :

ان العدو بعوالاته زحفه من غير ان يحسب اقل حساب للعقبات التي قد تعرض له فى الطريق ، وهو جاهل جهلا مطبقاً بطبيعة الارض التى سينشب فيها القتال ، ولا علم له البتة بالتاهب العظيم المستور فى الخطوط الخلفية وفى معالم الدفاع ، الى غير ذلك عرض نفسه لما حاق به .

والرجل العسكري الفنى القدير هو الذي يجتذب دائماً عدوه الى حيث يريد استقدامه .

وعلى ذلك فالنتيجة النهائية الحاسمة ، لا يمكن ان تكون ، باذن الله تعالى ، بعد كل ما رأيته وما سمعته سوى النصر المبين .

ثم قال عصمت باشا :

خطتنا واسعة النطاق وأخشى أن يطول أمد تطبيقها و[illegible] الناهضين فوق هذه الارض المقدسة التى هى وطننا المحبوب منا جميعاً أشد الحب لابد له من تحمل نصيبه من تبعة هذا المشروع الجسيم » .

واليوم ادركت ان عصمت باشا هو القوة المحركة التى تدفع

المطارق الغليظة الثقيلة الى التهاوي بطريقة علمية على رؤوس الاغارقة لسحقهم ، وان الرئيس الجليل والى جانبه ذلك القائد المغوار الصنديد رأفت باشا يمدان الخاتمة وهى : الضربة القاضية .

ولكن افتكون هذه الضربة الاخيرة قبل انقرة ؟ او فى نفس هذه العاصمة ؟ أو فيما يليها ؟

هذا سر لا يعلم حقيقته الا الله ، والرؤساء العسكريون الملمون بدخيلة الامر لا يبوحون بشيء من خفاياه .

وبعد ذلك قال عصمت باشا :

« انك سترى فى افيون قره حصار « الصاعقة » : وهو امير الالاي خالد ... »

ولبثنا نخوض افانين شتى من الاحاديث والولاء الصادق يرفرف باجنحته اللطيفة فوق نفوسنا .

والسنا جميعا رفاق سلاح ؟

غير ان باعث الارتحال استوجب مفارقة هذه القريحة العسكرية المشتعلة غيرة وذكاء . وازفت ساعة تحرك القطار .

فلعصمت باشا المجد والشرف ، وليشمل الله برعايته هؤلاء الرجال الاكفاء القادرين .

اليوم نفسه — افيون قره حصار
فندق صفا .

لقد وصلنا الساعة الثامنة مساء . وقد اقلتنا المركبة التي كانت في انتظارنا الى بناء على جانب من الاتساع : وذلك هو مسكن امير الا لاى خالد بك .

وهذا الضابط الباسل الجسور الذى أصيب عدة مرار بجراح من جراء جرأته المتناهية كان فى هذا الوقت فى شاغل من العناية بالجرح الذى اصيب به أخيراً فى ساعده الايمن اثناء معركة اين أوني وقد اخذوا يعالجونه بالتدليك الكهربائى .

ولن تبرح مخيلتى صورة محياة الجميل الذى تتألق فيه أشعة الصبا والفتوة والعزم .

وتناولنا اكلة المساء معاً ، وبعد ان قضينا ليلة فياضة بالتفاصيل الوافية الهامة أوصلنا بسيارته الى فندق صفا الذى كان قد اعدلنا منازل خاصة فيه .

فيالها من ذكريات ! إن هذا الشاب الذى يطوع الرجال ويدرب الاجناد يحبه عساكره الى درجة العبادة ولهم به ثقة لا حد لها .

عند ما خلا الجو فى غرفتي بفندق الصفاء انتقل بى فكرى

الى عالم التصورات والتأملات ، فما اعظم مارأيت من مخائل العظمة والشجاعة وما أكثر ما سمعت عن امثالها ! وقضيت ليلي مفكراً مجهداً عقلي حتى كاد يدركه السرسام والخبال .

أخذت اشبه أمير الالاي خالد بخالد بن الوليد القائد المسلم الشهير الذى ذاع صيته فى معارك الاعصر الاولى من تاريخنا المجيد ، ذلك القائد العظيم الذى كان من اعظم العاملين على انتشار الاسلام وسموه وازهاره ، الملقب « سيف الله القاطم »

ويكتب امير الالاى خالد بك أوامره الآن بيده اليسرى ولقد تذكرنى جراحه هذه مع استمراره على الكفاح بذلك المماثل له الذى لا يختلف عنه فى شيء ، اذ جرح فى معركة وبعد الانتهاء منها والرغبة فى العناية بجرحه سأل أحد اصدقائه الذى تولى ضمد هذا الجرح قائلا :

« أمعن النظر وخبرنى اذا كان فى جسمانى مكان ليس فيه اثر لجرح »

فليؤيد الله هذه الامة التى ليس لها مثيل بين سائر امم العالم من كل وجه .

ولا بد لكل امرىء من ان يرى ما أبصرته بعينى من تلك العزلة الهائلة التى اطبقت على هذه الامة الصابرة المتجملة حلقتها

المستحكمة — بفضل الانسانية الاوروبية — ليدرك كنه الروح القوي السامي المتغلغل فى نفوس هؤلاء الاناس الذين يحسبون من عصر غير عصرنا الحالي ، والذين يتحملون اعباء الضحايا التى لا تحصى ولا يمكن ان يطلق عليها اسم ما وهم مثابرون على الجهاد ببسالة لا تقهر .

وما انا بمحرك عاطفة الاشفاق والرأفة بين جوانح اية دولة لان كل محاولة من هذا القبيل بعد الذى رأيته عيانا ليست سوى ضرب من العبث غير مجد سوى اضاعة الوقت سدى . فقد اصبح من الواضح ان اوربا راغبة فى القضاء على الامة العثمانية . وهل لو لم تكن هذه امنيتها الاكيدة كانت تلبث ملتزمة جانب الصمت التام ازاء ماهو جار فى الاناضول ؟ ولا سيما بعد ان حاربت اربع سنوات لاجل « سلامة الشعوب وحريتها ؟

وما انا بمدافع هنا عن مسالة ما ، وانما انا مثبت فقط أموراً تحدث فى اوائل القرن العشرين .

من يعش ير : ليجرين العدل الالهي المقدس فى مجراه .

فندقلى فى ١٦ مايو

غادرنا افيون قره حصار الساعة الثامنة صباحا . وكنا نؤلف ركبا مكونا من خمس مركبات .

فجلال الدين عارف بك استقل معى مركبة لطيفة ، وفخر الدين بك محافظ اضاليا الجديد الذي ظل من رفاقنا فى هذه السفرة احتل المركبة الثانيـة وتبوأ الثالثة القائمقام عزيز بك ومعه احد اعيان اضاليا ، والعربتان الاخريان تحملان اثقالنا .

وبعـد ساعـة من تحرك ركبنا التقينا بفصائل من المدفعيـة الجبلية منطلقة الى أفيون قره حصار ، ثم مررنا بعد مسافة قليـلة بقوة كبيرة من المشاة منسابة فى عدة مسالك لانها قادمة من جهات مختلفة ، وقد اخذت تنتشر فى السهل مؤلفة مربعات منتحية وجهة تلك المدينة نفسها . ثم اقبلت مدفعيـة الميدان وتبعها بعض المدافع الثقيلة تجره عجول ، واخيرا وافت عربات الذخائر يحرسها الفرسان ولا يرى لامتدادها آخر .

وما هذا المرأى العظيم الا احتشاد الجنود المتفرقه على اجزاء صـغيرة فى اماكن متعددة لـكى تصـير على استعدا . لمواجهـة الهجوم المقبـل . وانى لانى أجـل الثناء على هـذه الخطة ، لان الجبهة التى يكون امتدادها اكثر من خمسمائة كيلو متر ذاهبة من

ازميت الى مايقارب بوردور مجتازة بإسكى شهر فكوتاهيةفافيون
قره حصار ينبغى ان تكون متينة متساندة الاجزاء .

واكلنا اكلةالغذاء الساعة الثانية بعد الظهر فى خان الفينافيه
آلافا من الرجال من سائر الاعمار مدعوين للخدمة العسكريةوهم
راحلون الى انقرة لتزويدهم بالملابس والاسلحة وبعد ذلكيذهبون
من هنا لك الى جبهة القتال

وهؤلاء الرجال من الجنود السالفين من الطبقاتالقديمةالتي
حضرت وقائع الحرب العالمية الكبرى .
فقوبلوا بتحية الاحترام وانهم لاهل لكل تجلة فقد قضوا اياما
عديدة مشاة على الاقدام وسيقضون سواها حتى يصلوا الى انقرة
بجلد عظيم ومنغير ادنى تذمر .
وبعد مسافة اخرى اجتزنا بقافلة عظيمة من الغلمان الذين لايزالون
لدان الاعواد صغار الاعمار ، فسألت :

« الى اين يذهب هؤلاء الاحداث ؟ »
فأجابونى : « الى الحرب »

قلت : « وهم على هذه الحداثة من العمر ؟ وماذاعساهميعملون
هنا لك ؟ »

فقيل لى : « سيجتهدون فى انجاز بعض الاعمال وفى مساعدة

عسا كرنا الحماة بقدر ما فى وسعهم القيام به من الاعمال الجسام؛ وسيدربون على سوق المركبات وعربات النقل ، وعلى كل حال فان اعمالهم ستخفف اعباء جمة عن عواتق العساكر المحاربين »

فيالها من امة عجيبة مجيدة تؤدى على بكرة ابيها وبمحض اختيارها واجبها المقدس ، لا فرق فى ذلك بين الرجل والمرأة بل بين الكهل والطفل بالمثل !

وبعد ان والينا التسيار عشر ساعات متتابعات وصلنا الى هنا .

والفندق الذى أوينا اليه لا يصلح للسكنى مطلقا . ولكن هذه العلة لم تكن السبب فى امتناع اجفاننا عن الاغماض ، اذ كان فى مشقة هذا السفر الطويل ما يكفى لتغلب النوم على حواسنا ، الا ان الكرى لم يغش عيوننا لان قلوبنا باتت خافقة من شدة تأثرها بذكريات المناظر التى عرضت لابصارنا طول هذا اليوم

بوردور فى ١٧ مايو

انتزحنا من فندقلى الساعة السابعة صباحا . وفى اثناء الاربع عشرة ساعة التي قطعنا فيها الطريق لبثنا نجتاز سهولا مزروعة زرعا متناهيا فى الاتقان والنمو ونحن لا نرى فى طريقنا سوى جنود ذاهبين آلافا عديدة للانضمام الى زملائهم فى خطوط النار .

وكان بين فئة من الاحتياطين الذين اقبلوا سراعا ملبين دعوة الامة للاندماج فى الصفوف تحت علم الوطن المقدس ، عملاق من الجبابرة يسير فى مقدمتهم مترنما باناشيد حربية يرددها خلفه رفاقه بتوازن ليس فيه نشاذ .

فما كاد يصل الينا حتى وقف بغتة امامنا ووجه الينا السؤال الآتى بتلهف وتحمس غريبين ؛ قال :

« افأنتم قادمون من الجبهة ؟ »

فأجبنا : « نعم »

قال : « اذن خبرونا ، الحقا ما يقال من ان العدو لاذ باذيال الفرار ؟ »

فكان جوابنا : « ان شاء الله »

فلم يتمهل ريثما ينعم النظر فى الجواب ، بل التفت فوراً الى رفاقه وخاطبهم بما يلى :

« هلم بنا على عجل ايها الرفاق ولنركض بل لنطر لكي نصل نحن ايضا فى الوقت المناسب فنتمكن من مشاطرة اخواننا الغزاة اجر الجهاد وشرف الانتصار »

ولم يكد يتم لفظه الاخير حتى اسلم ساقيه للريح ناهبا الارض عدوا مخترقا الحقول غير مبال بالتعب . فكان عمله هذا مدعاة لاقتفاء رفاقه آثاره .

وان من ير هذا السباق المدهش العجيب يتبادر الى ذهنه فى الحال ان ساحة الوغى على قيد خطوتين منا . . .

لقد كنا جميعاً رجال حرب مدربين معتادين على ان نبصر كثيراً من المناظر الغريبة ، الا ان المرأى الجليل الذى مرّ قبالة ابصارنا فى هذا الموقف تخطى كل وصف واطراء .

رما ا كثر امثال هذه المناظر الناطقة بعظمة هذه الامة وهى مراء لا تبدو الابصار الا فى الشرق .

. . . .

وقبل بلوغنا بورود سرنا مدة ساعتين بجوار بحيرة ملحية الماء واسعة الارجاء لها شهرة بما احتوته مياهها من الاملاح السامة

على ان مدخل مدينة الورود الباسمة كان بهجاً باهرا ، اذ علقنا نسير فى وسط حقول مغطاة بأشجار الورد مترامية الاطراف الى

حد لا يمكن تصوره .

وتوجد هنا عدة مقاطر شهيرة مستمرة على تقطير الورد لاستخلاص مياهه وعطوره . واستغلال ارواح الورد منتشر فى هذه الجهه جد الانتشار .

وكان رئيس البلدية فى انتظارنا وهو رجل شديد الذكاء واسع الحيلة حلال للمعضلات ، فذهب بنا ان بيت صغير وعلى الرغم مما توفر فيه من اسباب الراحة الضرورية لم نستطع ان نغمض عيوننا .

افكان ذلك من التعب ، او من انفعال النفس الناجم عن اهتياج العواطف ، او من انشغال الفكر ؟ ربما كانت هذه كلها اسبابا لاستعصاء النوم على عيوننا .

على انه ماذا يهمنا من توالى ليالى السهاد ونحن نتصفح بابصارنا صحفا غراء من اعجب التواريخ !

وفى صبيحة الغد زرنا المقاطر ومعمل الطنافس والابسطة فابتعت منها اشياء : وما ابهج الالوان وانضرها ، وما ابدع الرسوم وابهرها !

على ان كل بيت ، من جهة اخرى ، حافل بالمواد الاولية التي ينسج منها النساء تلك الطنافس الصغيرة المربعة التي تعتبر من

ابدع لوحات الرسوم .

ودعينا عشية من قبـل جمعية الهلال الاحمر لتناول اكلة « الافطار » .

وان مكان هذه الجمعيةهنا لمأوى بديع يلتأم فيه شمل الاطباء الناسلين من كل انحاء البلاد العثمانية ، اذ ينطلقون بعد بلوغهم هذا المكان الى ميدان القتال .

وكان المحور الذى دارت حوله الاحاديث بوجه خاص تلك الخدم الوطنية الانسانية الاسلاميه الجليلة التى ادتها مصر للدولة العثمانية اثناء الحرب البلقانية ، والكفاءة والمقدرة والنشاط والاقدام التى ابداها الحكماء المصريون الغيورون اثناء تلك الايام العصيبة .

فانبرى احد الحضور الى مخاطبة الجميع قائلا :

« لقد ازفت الساعة التى اصبحنا فيها شديدى العوز الى مساعدة العالم الاسلامي وتعضيده ، اذ كيف يمكن بغير هذه المعونة المرجوة تلافى المطالب الضرورية التى يقتضيها موقف هـذه البلاد التعسة المحروبة التى تجاهد بشجاعه عديمة المثال لاجل الاسلام الذي يعتبرها رمزه المقدس ؟ فما اكثر جرحى الحرب وأراملها وايامها ويتاماها ! » .

وانى انا الذى خبرت حقائق هـذه البـلاد ورأيت مصائبها

بالعين ، اعرف مقدار استحكام حلقات الضيق عليها ! ولكن كيف احاول ان اشرح لعظماء الكرة الارضية — الذين يكونون طائفة قائمة بنفسها — مالا يريدون ان يسمعوه أو يفقهوه ؟

ومن الواضح انهم لا يريدون ان يشغلوا اذانهم بالشقاء الحائق باناس لاعلم لهم بهم ! وما آسيا الصغرى ازاء ابصارهم سوى أرض غريبة عنهم نائية لاتكاد تصل أصداء استغاثة سكانها المطاردين وزفراتهم ونحيبهم الى آذان هؤلاء العظماء لتقطع عليهم صفوهم وتنعمهم ولذاتهم الاجتماعية والرياضية !

ولكن . . . . . . لنمض فى سبيلنا .

سنرحل غداة الغد بالسيارة الى اضاليا .

اضاليا فى ١٩ مايو

يالهـا من طريق فتانة تنبسط على جانبيها الحقول الزاهيـة البهية ؛ فما هى الا بقعة من جنان عدن تزدهى بخضرتها النضيرة وتروح عن النفوس نسماتها العليلة :

ولبثنا نجتاز على امتداد عشرين كيلومترا أراضي واسعة النطاق كانت من جملة املاك السلطان عبدالحميد . فزرنا هذه المزارع كما زرنا مزارع حافظ باشا .

ولقد يقال ان حدائق القبة فى مصر ليست سوى نمط مصغر من هذه الرياض الكبرى المنسوقة على نظام شيق جـذاب جمل البوينات الحلوية والضياع المسيدة على احدث طراز ، المنتشرة فى ثنايا ذلك الروض المشجر المزدهر المثمر المعطار موضع اعجابنا وفتنة ابصارنا والبابنا .

وقد بلغ من خصب هذه البقاع ان لا سبيل الى ايجاد وجه شبه ومقارنة بينها وأية جهة اخرى فوق سطح الغبراء .

وفى الساعة الرابعة بعد الظهر اخذنا نجتاز جسراً بالغاً اشـد الخطر غير مسيج الجانبين ، ويزيد امتـدادة على خمسمائة متر .

وبينما تحاول سياراتنا ان تتقدم الى الامام بمنتهى ما فى وسعها من التدقيق والحذر أي بغاية التمهل اذا بالبابنا قد اجتذبها تغريد

ليس له مثيل منبعث من جانب خليط من الطيور الغردة المختلفة اشكالا والوانا المتخذة لها أو كاراً بين افنان النباتات المائية المشعثة واجمات الغاب (البوص) الاثيثة المنتشرة على ضفتي النهير فما اشجى هذا المزيج الرخيم الذى لا تزول آثار رنينه من البال والذى اطرب آذاننا وسرى عنا ما نوجسه من الخوف فى هذا الموقف الحرج العسير !

واستغرق منا تسم الجبل المشهور بصعوبة مرتقاه وتحدب ذروته ساعة ونصف ساعة . وكيف يمكننى ان ازيل ما ارتسم فى مخيلتى من هول التهاوى من هامة هذا الجبل الى بطن السهل ! ولم اعهد فيما غبر من سوالف ايامي على كثرة ما طفت وتجولت فى مختلف البلدان مثل هذا المجاز المتناهي فى الخطر وفى الهول

بيد اننا لاقينا الجزاء الاوفى بما انبسط على اثر ذلك امام ابصارنا من المنظر البديع الباهر . . . فيا لها من نظرة بدرت منا الى ذلك الجمال الطبيعي الجذاب المتلاعب بالالباب ! لقد تراءت هنالك فى جوف السهل مدينة اضاليا زاهية ناضرة تحت غلس المساء المستضيء بحمرة الشفق ، وتراءت المآذن اللطيفة كانها منفصلة من اماكنها وطافية فوق وجه البحر الساكن الازرق الفيروزى ، وعلى بعد يسير تنهض تلك الاكمة الزمردية كاطار مستدير

حول ذلك المشهد العبقري النضير . فيالهـا من بلاد بلغت غاية البهجة والبهاء !

وقبل وصولنا الى اضاليا بمسافة وجيزة اقبل حاكم اضاليا العسكرى وكبار الموظفين وسروات الرجال يهنئوننا بسلامة الوصول .

وكانت الساعة السادسة والنصف عند مامضى بنا قائد هـذا الموقع الى فندق متناه فى النظافة ، وهنالك كاف رئيس الشرطة بان يكون رهن اشارتنا .

ولقد كنت عانى اشد التعب لانى لم اكدأتذوق الكرى منذ مبارحتنا انقرة ، ولكني بادرت قبل اخلادى الي الراحة والنوم بارسال اشارة برقيةاودعتها آيات الشكر والثناءالىمصطفى كمال باشا وانبأته فيها ببلوغي اضاليا مدينة الحدائق المثمرة

اضاليا فى ٢٠ مايو

قضيت النهار اجمع فى تفقد المدينة صحبة رفيقى الظريف المحبوب فى رحلتى هذه جلال الدين عارف بك .

ان مدينة اضاليا مشيدة فى نفس دائرة المعقل الذى لم يكد يتغير شيء من مظهره الحربى القديم . فمن جسر متحرك الى خندق الى اسوار فى منتهى الكثافة لا تزال محتفظة فى اماكن منها بلوحات اثرية من المرمر معلنة ذكرى المعارك التى حدثت هنا ، وقد نقش فى بعضها تواريخ تلك المعارك ، ونقشت فى البعض الآخر آيات قرآنية . ولا يحتاج المرء لامعان النظر في خط هذه اللواحات المرمرية حتى يحزر من شكل الخط العصر الذى حدثت فيه الوقعة او القرن الذي سيرت فيه الحملة .

ولقد كان المتفرج يرى منظراً غريباً من الحارات والازقة المضيقة الداخل بعضها فى بعض والبويتات المتلاصقة المتعاشقة .

اما المدينة الحديثة التى يمكن ان يطلق عليها بحق اسم مدينة العصور الوسطى ، فمفصولة عن القديمة بشارع واسع . والسوق الكبرى توجد فى القسم الحديث ، وفيها يري المرء نماذج من كل ما تنتجه البلاد الاناضولية .

واما قصر الحكومة ومساكن رجال السلطنة الايطالية

خارجة عن دائرة الحصن ، وكذلك مركز التلغراف الاثيرى ، وهى منتشرة باجمعها فى العراء .

وقد اقيمت على امتداد الشاطئ مستظلات خشبية صغيرة بديعة ومقاعد مستطيلة من الخشب أيضاً على نسق بديع .
ويوجد على ضفة الغدير المنتدى الحلوى الرحب (كافيه كازينو) المتناهى فى الملاحة والاستعداد ، وهو ملتقى الناس من مختلف الطبقات والاجناس . وقد التقيت فيه من قبيل المصادفة بوالد الكاتبة الاديبة الشهيرة خالدة أديب هانم التى قامت بنصيب واقرمهم من الحركة الوطنية منذ ابتدائها فى انقرة .

وتعتبر اضاليا مشتى بديعاً نادر المثال ، اما فى الصيف فحرها لايطاق .

وهى مدينة معتنى بها جد العناية ، والنظافة متناهية فيها ، ولها ميزة وحيدة لاتوجد فى مدينة سواها وهى مرور عدة غدران ومجاريها منحدرة من الجبال المجاورة للمدينة حتى اذا ما اخترقتها اندفعت مترامية فى البحر — وهو منخفض عن المدينة جدا — محدثة هديرا وجلبة شديدين الى درجة تجعل المرء لايسمع من كل الارجاء سوى اصوات المياه المتدفعة بغير انقطاع .

وقد دعينا الى تناول اكلة الافطار هذا المساء لدى

احمد بك .

واحمد بك هذا كان ضابطا فى الجيش سابقاً وهو الآن من تجار اضاليا . وينتمى الى اسرة من اعرق اسرات الاستانة مجداً ، ووطنيته مشتعلة حماسة وشمائله سامية كريمة . ولقد استطاع بما أوتى من الذوق السليم والذكاء المتوقد ان يجمع فى بيته الصغير الظريف بطريقة فنية فائقة كل دائم الثروة الوطنية ونفائسها !

وردهة طنفه الصغير آية الابداع فى فن الزخرف الشرقى .
واذ جلست فيها ارتقب مقدم الحاكمين الجديد والسالف فقد خف بى فكرى في افق الخيال محلقاً الى الاستانة الى زين لى الوهم انى اصبحت فى قسمها الوطني وهو اسلامبول .

وساظل ذاكرا حفاوة احمد بك واخيه بى وساحتفظ بذكرى ودهما الثابت واخائهما الصادق .

وبعد الانتهاء من تناول الاطعمة الشهية الهنيئة العديدة المصنوعة بطريقة راقية بديعة ، اقبل ولدا احمد بك فسلما علينا بادب ومعهما مؤدبتهما السويسرية ، وهما ولد وبنت صغيران لطيفا المرأى خفيفا الروح . ويتكلمان باللغتين الفرنسوية والالمانيه .

وبعد الافطار قضينا مدة طويلة فى المحادثة .

وحاكم اضاليا رجل مستنير مثقف الفكر ، سياسي بارع

ووطني غيور .

فيالها من ليلة غراء افعمت قلبي بهجة وحبورا !

ان من يسمع هؤلاء الرجال الاماثل وهم يخوضون في شؤون هامة ببساطة لامثيل لها لايسعه الا ان يضاعف اعجابه بهم واكباره اياهم .

فليحفظهم الله جميعا : انهم لابطال تضرب بمزاياهم الامثال .

أضاليا فى ٢١ مايو

أخذنا نتنزه على شاطئ البحر الهادئ اللطيف خارج المدينة تحت اظلال اشجار اداب (البلاتنيه) العتيقة الظليلة ، رفيقى في رحلتى هـذه وانا ، ومررنا بين البساتين النضيرة والحدائق الغناء الحافلة بسائر انواع الاشجار المثمرة .

وان من لم ير اضاليا لايمكنه ان يتصور مبلغ جمال هذه البقعة الحسناء الساحرة ذات المنظر الفردوسي .

وبعد تروض مديد بديع شيق وصلنا الى باب حديقة شهيرة لرجل اسمه عثمان افنـدى . فولجناها وسرنا فى طرقاتها معجبين باشجارها الباسقة الفرعاء المثقلة بمختلف الاثمـار . وما رأينا اثرا للحشائش والاعشاب البرية التى تزاحم الاشجار والزروع عادة فى الرياض والحقول وتشاطرها غذاءها الذي تستمده من الثرى ، وكذلك لم نر ورقة من اوراق الاشجار المتهاوية من فروعها . فالمماشى مكتنسة ونظيفة الى اقصى مايمكن تصوره .

وبينما نحن نسير فى هـذه السكينة الشاملة المعهودة فيما بعـد الظهر ، اذا بغلام صغير لحنا . فاقبل الينا مبتسما وهو مشتمل بالزى الاناضولى ، وهو ذلك السربال الفضفاض (شروال) الذى يعلوه حزام احمر عريض ، الا انه لم يوجه الينا كلمة واحدة ، بل كل مافعله ان

قام بواجبه فتقدمنا مرشدا الى مستظل خشبي لطيف (قرية) محفوف بالاشجار الوارفة . وبعد ان اجلسنا تسحب صامتا ؛ ولم يمض سوى قليل من الزمن حتى بصرنا بأبيه عثمان افندى مقبلا . فحيانا ورحب بنا .

واذ علم باننا سائحون وقد قدمنا حديثا من انقرة رفع يديه الى السماء وقال مبتهلا :

« اللهم انصر الاسلام وأيده وأعزه »

ثم شرع يسائلنا عن الحالة الحربية وموقف الجيش ، واخذ يصغى بتلهف وانعام الى كل ماذكرناه عليه من الانباء والتفاصيل .

ثم قال وقد بدت على وجهه دلائل الاسف والحسرة :

« واحر قلباه انى لشديد الاسف على بلوغى سن الكبر وعلى صيرورتى كبير اسرة عديدة الافراد ، كما انى متحسر لان اطفالى لايزالون احداثا غير قادرين على خوض غمرات القتال . بيد انى لم اتأخر ولن اتأخر عن خدمة بلادى بكل ما اوتيت من حول وقوة »

وعندما ازمعنا على مفارقته اهدانا سلة كبيرة ملآى بالبرتقال الكبير البديع ، واذ اردنا ان نسأله لدى الباب عما يتقاضانا من ثمن هذه الفاكهة الثمينة ، رمقنا بنظرة يتمشى فيها شبح العتب

العذب اللطيف وقال :

« انكما لاتزالان في رباع الشرق الكريمة وتحت سمائه الصافية الرحيمة ، فلتعلما هذا حق العلم ايها الصديقان العزيزان ... بل انا الذى احمدكما على ماأوليتمانى من الجميل بتشريفكما حديقتى وبماملأتما قلبي به اليوم سروراً وارتياحا من النفحة الذكية التى حملتماها الينا من انقرتنا المحبوبة المقدسة »

أضاليا فى ٢٢ مايو

لقد قمنا بجولة كبيرة فى السهول المجاورة هـذه المدينة وهى سهول حافلة بصنوف المحاسن الطبعيه .

وعلى مقربة من المدينة توجدمائتا الف دونم [1] قطعةواحدة تعادل فى خصبها مجموع أشهر الاراضى المصرية واخصبها.

ويقدرون القوة المحركةالكامنة فى شلالات أضاليا بخمسة عشر الف حصان .

لقد لاحظت ان النساء المسلمات هنا يأتزرن بالخمر الزاهية ذات الهندام البديع كأخواتهن فى الاستانة ، وان النساءالروميات يتزيين بالزى القديم المؤلف من صدارصغير وحزام عريض وطربوش على الرأس يعتممن عليه بشاش ، وتسترسل على الظهر جديلتان طويلتان .

ان أهالى أضاليا يثنون على رجال السلطة الايطالية الذين

---

(١) الدونم فدان تركي معداره ربع فدان مصرى — م

انتهجوا منذ احتلال أضاليا خطة المحاسنة والمصانعة . وعلى الرغم من وجود قوة احتلال عسكرية وسواها . فان مظهر الحالة يدل على عدم حدوث أي تغيير ، بل لقد سمعت اطراء المجاملة التى يظهرها الضباط الايطاليين وحسن العشرة . ولا يستشعر احد اقل تأثير من الضغط ، ولذا يعيش العثمانيون فى وئام تام مع الايطالين الذين ادركوا على الفور كيف يمكنهم ان يعاملوا هذا الشعب المشهور بالاباء والحماسة والقوة .

واذا كان قد بدر حادث منذ مدة وجيزة مداره الاعتداء على باخرة تخفق فوقها الراية الانجليزية ، فما ذلك الا ان رجال الشرطة العثمانيين البالغين من الدهاء مبلغا عظيما ، علموا ان هذه الباخرة تقل عمال ثورة قونية فارادوا ان يقبضوا على هؤلاء الاشخاص المجردين من الدين ومن الضمير ومن الشرف ، فنجم عن عملهم هذا حادث مكدر بولغ فيه على الاثر .

ومحافظ اضاليا الجديد رجل لاغبار على استقامته ، وقد سوى الخلاف وانتهى اثره تماما ، ومن جهة اخرى فان محافظ اضاليا معروف بميله الحقيقى لايطاليا . وفى الحقيقة ليس ثمت باعث جوهرى يحول دون التفاهم بين الحكومتين العثمانية والايطالية . ان المصالح المشتركة الجمة تربط ما بين هتين الدولتين ، ويجب فى

الوقت الحالى ان يسود الود والولاء بين هذين البلدين اللذين لاتوجد اسباب عدائية حقيقة تفصل بينهما ليتآزرا على توطيد اركان السلام فى الشرق .

وقد وقف جلال الدين عارف بك نفسه على السعى الحسن بين الطرفين ليكون صلة الاتفاق والوئام ما بين حكومته والحكومة الايطالية ، على الرغم من ان سفره الى اوربا انما هو لاجل عنايته بصحته ولالتماس الراحة وتبديل الهواء . وقد اشتهر بانه لم يدع فرصة تمر بدون ان يستفيد منها خدمة يؤديها لوطنه قياما بواجب الوطنية الصادقة .

وبعد ان انتهينا من طعام الافطار هذا المساء انطلقنا الى شاطئ البحر . ولقد بدا ذلك المنتدى (كافيه كازينو) البحرى اللطيف متلألئا تحت اشعة آلاف من الانوار الكهربائية .

وكان عدد عظيم من الناس جلوسا حول الموائد الصغيرة فى حديقة هذا المنتدى الرحبة وبينهم افواج متعددة من ذوى المراكز السامية فى الهيأة الاجتماعية

ولا تبرح من مخيلتي صورة ذلك المحيا النبيل المتجمل به الامير

الـكردي الحداث . . الامير م . . . . الذي كان مرتديا ثوبا اسود يزهوه يهو يتكلم بحمية وغيرة وطنيه .

اما صفاته فذو بسطة في الجسم ، رقيق البشرة ، بديع الهندام وهو يمثل الشباب الذكي النشط في عنصره الباهر المجيد

وبسمته الخفية والاشعة المتراسلة من مقلتيه تعبران عن امور كثر .

ودار محور الكلام على المسألة الكردية في جملة ما خضنا غماره من الاحاديث المختلفة فقال متحمساً :

« المسألة الكردية ، وهل هي سوى وهم مستحيل التحقق ! ! وكيف يمكن وجود مثل هذه المسأله ، لقد لبثنا طوال الازمان عثمانيين من اشد العناصر العثمانيه اخلاصاً لهذا الوطن المقدس ! « اننا لعليمون بالـ . . دساسين الموسوسين في صدور الناس الذين لا هم لهم سوى ايجاد التفرقة والشقاق بين ابناء الوطن الواحد كما اننا نعرف بالمثل لماذا يقدمون على هذه الفعلة الشنعاء .

فصدقني واعتقد ان فعلتهم هذه لن تنيلهم مأربا وما يريدون احداثه من الشر سيصيبهم وباله .

على ان الاسلام ليس سوى اسرة عظيمه لا جنسية فيها ، بل اليس من مبادىء ديننا الحق ذلك القول المأثور « انما المؤمنون اخوه » ؟

فدونت اقواله هذه بمنتهى الدقة .

فيا ايهذا الامير الكردى النبيل الا يمكن ان يتجمل بمثل حميتك هذه وشجاعتك التى لامثيل لها سائر زعماء المسلمين !

انى اشعر يا امير م . . . بعاطفة الاحترام المشفوع بالاعجاب لشخصك الجليل ولكل من تجمل بمثل سجاياك الكريمة .

٢٦ مايو فى البحر الى رودس .

زرنا المحافظ شاكرين مجاملته . ثم ودعنا تلك المدينة الكريمة الحفية باضيافها .

وكان كل اصدقائنا يلازموننا هذا المساء .

وعند ما وصلنا الى المرفأ لفت نظرنا منظر رئيس الحمالين ، فقد كان عملاقاً هائلا ذا وجه لطيف بشوش ، وملبسه ثميناً وذا رواء بديع ، وقد وضع على رأسه القلبق ، فأخذ المشيعون يتأملون هذه القامة الهائلة المدهشة . وهذا الرجل وطنى ، بل وطنى عظيم يشتعل غيرة وحمية .

ومن امثلة وطنيته السامية انه لم يسمح بتاتاً بافراغ ما فى البواخر والسفن الاغريقية من البضائع او شحنها من محصولات البلاد .

ونهاية الامر اننا فارقنا المرفأ فى العشية

ولقد صفا الجو وراق وهدأ البحر وعذب ركوبه حتى ان الباخرة الصغيرة التي تقلنا ، وهى من بواخر شركة اللويد التريستية، أخذت تمخر العباب براحة وسرعة مرضيتين .

رودس فى ٢٤ مايو

لقد وصلنا الى هـذه الجزيرة الجميلة التاريخية حوالى الساعة العاشرة صباحا .

وكان الافق صحواً متلألئا والجو بديعاً ساحرا .

وقد كان يرتقب مقدمنا زورق ارسله صاحب فندق (بيلاّ فيستا) لينقلنا الى رصيف المرفأ حيث كانت تنتظرنا هنالك ثلاث مركبات حجزت لنا خاصة .

ولقد بذل حكام الجزيرة كل مافى وسعهم من حول وطول لتسهيل شؤوننا ولتوفير راحتنا مجتهدين فى استرضائنا بكل وسيلة ممكنة ، حتى لقد تيسر لنا بعد مدة وجيزة جدا من وصول باخرتنا الى مياه الجزيرة ، ان نصل الى فندقنا بمنتهى الارتياح .

وفندق بيلاّ فيستا هذا كائن فوق احدى الربى :

٢٩ مايو فى البحر

غادرنا رودس اليوم على الرغم مما علمناه من قرب وصول بكر سامي بك .

على اننا كنا قد اضعنا من الوقت فى زيارة الاماكن التي مررنا بها اثناء الطريق ماجعلنا نضن باضاعة وقت آخر فى الانتظار

ولقد كان جميع الاهالى الذين خالطناهم فى رودس لطافا بشوشين حسنى المعامله .

وانى لأهدى ثنائى الجم الى حكام رودس الايطاليين ، والى اخى قنصل فرنسا والى سائر اولئك الذين كانوا من جملة العاملين على ترفيه عيشنا اثناء المدة القصيرة التي اقمناها فى رودس .

وذكرى الدكتور مصطفى بك تشغل مكاناً خاصاً فى ذاكرتى لاتزول منه .

فما اجل المكرمات التي قام بها لنا هذا الصديق الوفي خلال هذه الاقامة القصيرة التى لاتكاد تذكر .

انى سأظل حافظا جميله واخلاصه .

٣٠ مايو فى عرض البحر .

ليلة مضطربة عبوس ، وبحر هائج وثاب .

٣١ مايو . مكالا بوما .

لقد بلغنا هذا المرفأ المليح وسنقضى فيه بضعة أيام .

ولا يزال البحر يرغى ويزبد فى الساعة المعينة من بعد ظهر كل يوم ويظل على اهتياجه وصخبه حتى منتصف الليل ، واذ ذاك تسكن ثائرته ويهدأ جأشه . وانه لمكان شديد الخطر ، وترى العين على مقربة منا مدمرة ايطالية مرتطمه .

وتتراءى المدينة قبالة البحر وقد دمر نصفها من اعمال الحرب ، وعندما تنبعث الانوار فيها مساء على مهل ينعكس شبحها البديع بشكل فتان فى البحر .

وكان القائمقام فروخ بك يكثر من زيارتنا حتى امضنا . وياله من رجل قوي العزم مقدام .

ولا يسعني هنا الا ان اجهر بثنائي على رقة شمائل رئيس السواحل وضباطه .

٦ يونيه فى البحر

نحن نشق العباب . وعند ما صرنا امام قناة كورنتا اعلنونا بانه مسدود منذ النوء الاخير ، وان لا بد من انتظار خمسة عشر يوما للتمكن من عبوره . فلم يبق علينا حينئذ الا ان نرتد الى الخلف وان نطوف حول الجزر . . . .

على ان البحر كان لا يزال صاخبا وثابا ؛ والسفينه لا تزال راقصة مترجحة فوق امواجه .

وانى كلما أمعنت فى الابتعاد عن الشرق الغارق فى لجج الدماء أجد ذكرى اولئك الذين غادرتهم فيه تزداد ملازمة لذاكرتى وتزيدنى تفكيراً بهم واهتماما بامرهم .

٧ يونيه فى وسيع الدأماء

أخذت أسير جيأة وذهابا فوق ظهر الباخرة .

وكان الجو بارداً جدا والليل شديد الحلكة . والريح تعصف بشدة والباخرة تترامى فى احضان الامواج .

سيكون غدا عيد الفطر الذي يحتفل به المسلمون كل عام وهو شهير مكرم لدى سائر مسلمي الارض . وان هو الا يوم راحة وغفران واحسان واجتماع عام وتزاور بين الجميع .

ولكن فى هذا الوقت الذى تناهت فيه أحزان المسلمين سيكون الغد يوم حزن وحداد عامين !

ولم يدون التاريخ مثل هذا الحادث المؤلم المصيب !

أخذ عصف الرياح يشتد ، واختفت آثار النجوم من صحيفة السماء . . . حينئذ ترامت بى الوحدة والوحشة الى التفكير فى الابطال الذين فارقتهم ! انهم قوم لا يعرفون ولا يذوقون للراحة طعما . . . فهم الآن يجاهدون وسيوالون هذا الجهاد بدون انقطاع الى ان يستشهدوا فى ساحة الشرف والمجد ! وهيهات ثم هيهات ان ينتزع منهم احد هذا الفخار ! فأية امة فى العالم لها مثل هذا التاريخ الحربى الباهر المجيد ؟ ؟

وما اجمل الاستشهاد عن طيب خاطر فى سبيل الدفاع عن

أرض الوطن المقدسة شبراً فشبراً كما يفعل هؤلاء الغزاة الاباة الصابرون !

الا ان ثقي عظيمة بالمستقبل ! ولذا فانا معتقد انهم لن يفنوا على بكرة ابيهم بل سيظلون على قيد الحياة الى ان يروا أياما جميلة سعيدة هنيئة تكون اجر ماصبروا وما ذاقوا من شظف وحرمان وانقطاع عن العالم وانحصار داخل نطاق ضيق من الناروالفولاذ .

ولنرين باذن الله وحوله النصر المبين مرفرفابجناحيه الظليلين فوق رؤس اولئكم الشجعان الصناديد على الرغم من الضنك والحرج المتناهيين فى الوقت الحاضر وعلى الرغم من ذكرى الغصص والاهوال التى توالت من قبل!

فياايها الزعماء النبلاء الذين يقودون الجيوش العثمانية الكاسرة الظافرة فى ساحات الوغى اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ، ولا تجعلوا للياس مسربا الى قلوبكم الكبيرة التى عجزت عن اذلالها والتغلب على شممها وعزمها اعظم قوى العالم ، وثابروا على الدفاع الباسل عن الوطن العثمانى الخالد ! انكم ستصيرون الغالبين الفائزين ! ولن يقدر الله لنا الفناء لانكم ياحماتنا الشجعان انما تدافعون عن الحرية والعدل .

اما من سبيل الى وصول ، تمنى الفوز لكم وآمالى وتوسلاتى

الحارة اليكم فى العشية التى يتجلى صبحها بيوم عيد الفطر !

فسلام عليكم جميعاً أي هؤلاء الذين عرفتكم عن كثب ، ويا اولئك الذين سمعت من انبائهم ماأفادنى علماً بهم من بعيد !

فيازملاء السلاح ويا ايها الرفاق والاصدقاء والاحباء من الزعيم الاكبر الى عصمت باشا الى رأفت باشا الى يوسف عزت باشا فسواهم من جميع الذين ترد اسماؤهم المحبوبة على لسانى وشفتيّ. كاظم قره بكر باشا وصلاح الدين وتكري واكرم وفخر الدين وعز الدين وكمال بك ، اعلموا انكم مادمتم على قيد الحياة تسلكون طريق الشرف والاباء فان الاسلام سيظل متمتعاً بحق الوجود فى هذا الكون وسيتهيأ له الدفاع عن نفسه ورد عاديات الغرب واهواله التى لا تحصى !

ان سائر القلوب تبجلكم وتكرمكم وتبتهل الى الله من جميع ارجاء العالم الاسلامي ان يؤيدكم ويحرسكم ويكلل اعمالكم الجليلة بالنصر الحاسم المبين .

لقد رأيتكم فى ايام بؤس والم فهل يقدر لى الله ان التقى بكم واتملى بمشاهدتكم فى ايام نعيم ورخاء وسرور وطرب وهناء ؟ انى لآمل ان يتم هذا الرجاء قريبا باذن الله .

ولتكونوا على ثقة من ان الشرق هو الذى سيجود العالم

بصيب الراحة والطمأنينة والسلام ، الشرق القديم الازلى المجيد مهد الانبياء والحكماء والمدنيات ومحراب العقائد والاديان ومنبت الآمال الحديثة الذى يجاهد فى سبيل تحرير الامم المضطهدة المستعبدة الراسفة فى قيود الاسر والهوان .

على ان لمحة من الضوء قد انبثقت ولا تلبث ان تتحول الى اشعة باهرة تنتشر فى قبة السماء فتحدث تطوراً عظيماً فى الوجود .

ولن تقوى على مناهضة هذا الضوء أية شدة فى العالم وانما الاحسان والرفق هما اللذان ييسران الامتزاج به والاستفادة منه .

وأول ماسينير باشعته المحسنة المرشدة اللطيفة الدولة العثمانية التى كانت اولى الدول التي أجلّت فى ميناقها الوطنى المبجل اقيم استقلال سائر الشعوب .

فعليكم ايها الحماة المجاهدون بالصبر والمثابرة على جهادكم الشريف مدة اخرى لتروا بعد أمد وجيز هذه الاصقاع الاسيوية المشرقة المتلالئة رافلة فى حلل البهجة والسعادة والسمو والمجد الذى ليس وراءه مطمح لطامع .

فليحفظكم الله ويؤيدكم بروح من عنده الى ان تروا باعينكم هذا اليوم الاغر المجيد .

٨ يونيه

في ترانته

لقد وصلنا أخيراً الى القارة الاوربية .

واني لاكل من الآن مالا يزال واجبا عليّ القيام به الى تيسير الله وعطفه ورحمته واحسانه ، والله على كل شيء قدير .

نصر من الله وفتح قريب

لقد جاء نصر الله والفتح

ان هـذه الآية القرآنية التى تم الاتفاق منذ ان ابتدأت المعارك الحالية على ان تكون الشعار المقدس لدى سائر الاناضول منقوشة فى ضمير كل مسلم من اولئك الغزاة الذين يجاهدون فى ساحة المجد والشرف بنفوس لاتعرف اليأس ولا يدنو منها الفزع.

ان المعنى المقدس المشتملة عليه هذه الآية المباركة قد امتزج بذرات اجساد الجنود ، وقد ظهرت المعجزة الكبرى فى معركة سقاريا التى لبثت ناشبة واحداً وعشرين يوما .

وانه لعمل لم يسبق له مثيل فى سائر الاعمال الحربية ولذا يتحتم على كل منصف ان يحني رأسه امام هـذا العمل اكبارا له واعجابا به .

« ستسطع مذ الآن والى الابد شمس سقاريا على رأس بطل اناقارتا الفتى الظافر (١) »

---

(١) هـذا نص التهنئة التى ارسلتها حكومة انقرة بالتلغراف الى مصطفى كمال باشا

*

ان الرجال الذين انقذوا شرف العالم الاسلامى باستقتالهم فى جهادهم الذى نازلوا مهاجميهم فيه صدراً لصدر بشجاعة تبقى ذكراها المجيدة ما بقى العالم كان سلاحهم قليلا وذخائرهم طفيفة ، ولم تكن لديهم سيارات مسلحة وفناطيس مدرعة و غازات خانقة ولا محلقات حربية ، والخلاصة ان اهم المستحدثات الحربية ووسائل الاقتتال لم تكن متوفرة لديهم اللهم الا شيئان كانا متوفرين لديهم اعظم مما كان موجودا منهما لدى اعدائهم وهما : الشجاعة ، والعقيدة الراسخة .

واخذت المصائل تترى من جبهات القوقاز والكرد واللاز وقليقيا واذ تم اجتماعها واحتشادها فى الساحة الكبرى وقف فى وسطها مصطفى كمال باشا يخاطب ابطالها وهو يهز قرضابه الساطع القاطع بيمينه قائلا :

« ان العدو مغمور بلجج الحبور لعدم توفر الذخائر بدرجة عظيمه لدينا ! فليحكم الله بيننا وبينه والله خير الحاكمين ! وعندى ان الذين يكاثرون ويفاخرون بما لديهم من عدد الحرب الكثيرة والذخائر المتنوعة الوفيرة هم المقضى عليهم بالهلاك ويجب ان يموتوا اسوأ موت ! وهل سمع من قبل بالسلاح المحكوم عليه بتخير آلة

التنفيذ فيهم ؟ فأي ود شاسع بينهم وبيننا ! وماذا يهمنا من امر الموت نحن الذين توطدت نفوسنا عليه حتى اصبحنا لانخشاه بل صار من اهون الامور علينا ، اننا نحي حياة الشرف والشهامة غير عابئين بنوع السلاح القاتل الذي يريدون اعدامنا به مادمنا قد وطنا نفوسنا على تحمل كل المكاره في سبيل الذود عن حريتنا واستقلال وطننا المقدس ! فبينما يؤثر هؤلاء الاعداء الاغترار بالانتصارات الوهمية ويتبجحون بنشر انبائها الملفقة في سائر انحاء العالم . . . اليس في وسعك انت ايهذا الفيصل القاطع ان تغتنم فرصة ذلك الاغترار الكاذب وتخفف من آلام هؤلاء المجاهدين الصابرين الذين جعلتهم المحن والاخطار المحدقة بهم من كل جانب ينتفضون حرقة ومضضا ؟ فتقضي بضربة فاصلة من حدك المرهف القاطع على ذلك الغرور ؟ ومع ذلك فان الحمام ليس بمقصور على متنك ، بل انى اعلم انه ينبعث على شكل السنة مندلعة من اللهب المحرق من قرارة حقدنا الذى لاحد له كما انه يتفجر بالمثل من الاحتقار الذى نستشعره لاولئك الذين لايحجمون عن ارتكاب افظع الجرائم واخس الموبقات للتوصل الى افنائنا .

على انه يجب التأكد من اننا لن نبقى على أولئك الذين اقبلوا الينا يواثبوننا في ديارنا ظلما منهم وعدوانا ! وسيرون انهم لن يفتحوا في

زحفهم سوى ابواب الموت الذى سيستقبلهم بصدره الرحب ، وذلك لان المغلوب فى هذه الارض المشبعة بالدماء لن يمتلك منها سوي ما تستقر رمته فيه !

انهم يستطيعون ان يترنموا الآن باناشيد الظفر والانتصار فانا ادعهم يلهجون باحاديث المجد والفخار . وبعد حين ستأزف الساعة التى تتعالى فيها اصواتهم المتحشرجة فى صدورهم يأساً وهلعاً وتألماً وتبلغ اصوات استغاثتهم واستنجادهم اعنان السماء » .

ولقد كان حماة الوطن الذين اندفعوا خلف العدو المدحور يطاردونه ويضربون فى قفاه بتراميهم فى النهر واجتيازه سبحاً من ذرارى أولئك الفرسان الذين فى غروب يوم صافى السماء ساكن الريح عبروا البسفور سباحة اطاعة للامر الموحى اليهم من زعيمهم فطارت عقول المتنزهين الذين كان هدوء الجو وجمال الطبيعة قد حملاهم على البقاء لدى الشاطىء فى هذه الساعة المتاخرة واذهلهم منظر هذه الشجاعة التى لا يتصورها العقل فى ذلك العهد الذى كانت فيه اسلامبول لا تزال بيزانس التاريخية الشهيرة .

***

ان الكفاءة التى أبدتها القيادة العليا فى هذه المعركة التاريخية العظيمة لايمكن انكارها ولن تختفى عن الابصار آثارها . وقد

توالت ادلة هذه الكفاءة بما تقوم به القيادة العليا كل يوم من الحركات العسكرية التى تشهد لها بالبراعة الباهرة .

واذا عمدنا الى المقارنة ما بين الخصمين المقتتلين لما وجدنا وجها واحداً للمقارنة بينهما فان تفوق الاروام على الوطنيين العثمانيين بالغ مبلغا لا حد له سواء امن جهة التفوق العددى الهائل أم من جهة توفر الادوات الحربية ام من قبيل الوسائل الفنية العسكرية التى يتولى شؤونها لدي العدو ذلك المحرك المستور ؛ فالعدو اذن حاصل على كل اسباب الفوز والنجاح .

ومع كل هذه الميزات التى يمتاز به العدو المهاجم فما استطاعت جميع هذه الاشياء ان تعرقل او تقف تنفيد الخطة المحكمة التى اعدتها هيئة اركان الحرب العثمانية منذ ثلاثة شهور وهى تقضى بامتناع الجيش العثمانى من قبول الالتحام عند وثوب الجيش الاغريقى والارتداد امامه لاستجراره الى النقطة المعينة لحدوث الملحمة . فتمت هزيمة العدو فى المكان الذى كان مقدراً له الاخفاق فيه .

ولقد صحت فروض الزعيم الاكبر ومساعديه النابغين واما نيهم ونجحت مشروعاتهم الحربية نجاحا تخطى كل تقدير وحسبان .

***

لقد وصل الملك قسطنطين يوم ١٢ يونيه الي ثغرازمير. فاستقبل فيها بصيحات ملأت فراغ الجو متضمنة هذه الكلمات:

« الى لامام ! الى بيزانسه ! الى انقرة ! »

وكانت ملاقاته كملك اقل شأنا من الترحيب به كرئيس حرب صليبية (١).

ولقد كان المرمى الذى يستهدفه أبطال المدنية الرومية الوصول الى انقرة بالتاكيد — وذلك على الرغم من التكذيبات العديدة التى صدرت منهم فيما بعد — وكان لا بد لعاصمة البطولة الخالدة ان تسقط فى ايدي الاغارقة المهاجمين فى يوم ٥ سبتمبر بالتدقيق ليلقوا بهذا الفتح العظيم درسا على العثمانيين المتوحشين.

الاّ ان انقرة لم تسقط فى قبضة الاغارقة واضطر الملك قسطنطين الى ان يؤب الى اتينا... ولكن بعد ان نشر البلاغ الآتى على عساكره.

« لقد اصبتم العدو بضربة فى قلبه، وقد ارقتم دماءكم وهي اثمن دماء يونانية لتحرروا اخوانكم من نير الاستعباد ولتعيدوا المدنية تارة اخرى الى البلاد التى اتم فيها اسلافكم اعمالا مجيدة،

---

(١) عدد ٤٠٩١ من مجلة الاليستراسيون

الى غـير ذلك من الادعاء » .

مدنية ؟ أعمـال مجيدة ؟ ما هذه الالفاظ الخالية من المعانى ؟

ولـكى تتكون لدى المرء فكرة حقيقية عن « العهد الذى سيدون التاريخ ذكره باحرف من النضار » [1] ينبغي له ان يقارن ما بين الاناضول السخية الرافلة فى حللها السندسية البهية كشأنها قبل الحرب وهذه الصحراء الفسيحة القاحلة المضطرمة ارجاؤها بالنيران والمنهل ثراها الدامي بكفن من الارجوان وهى آسيا الصغرى فى حالتها الحاضرة .

فحيثما مرت عساكر الجيش الرومى فى هذه البقاع الخصبة الرخية تركت فيها ندبة لا تمحى منها ابد الدهر « وهيهات ان تنبت الحشائش والاعشاب، فى تلك الارجاء التى انتابها القحل الا بعـد عناء شديد » على اثر هـذه الغارة الشعواء التى لا يمكن صدورها الا من القبائل المتوحشة فى العصور الوسطى .

وان هذه الا شؤون اثبتها هنا نقلا عن مصادرها الوثيقة، شؤون لاسبيل الى المجادلة فيها لان الدول الـكبرى تعرفها حق المعرفة .

***

---

(١) خطبة قسطنطين فى بورصة

ولم تكف الملحمة الاخيرة للموازنة مابين القوتين المتطاحنتين ولكف المعتدى عن التمادى فى عدوانه بل لقد اعدت من الآن الوسائل لحرب الشتاء التى ستنشب فى صبارة الزمهرير جالبة شظفها واهوالها وآلامها .

ويظهر ان طريقة الانتصار العثمانى اعتبرت بمنزلة « رجوع الى نادرة حربية » . فالمخابرات السياسية الاوربية ستستغرق وقتاً طويلا بالتأكيد ، وبالطبع ان العدو لا يريد انهاء هذه الحرب التي لا يصح ان يطلق عليها الا اسم التخريب والتدمير بما اشتملت عليه من سائر وسائل القسوة والفظاعة المنظمة .

وستظل الحقيقة هاتكة استار تلك المخازى التي يراد اخفاؤها حتى يعلم الناس اجمعين مايرجى النافخون فى ضرام هذه الحرب من اشعال نيرانها .

ومع ذلك فلماذا ياترى كل هذا الحقد الغالى مرجله فى صدور اولئك القوم المستعمرين على امة اشتهرت من قديم الزمان بشدة جنوحها الى المسالمة والمسامحة والاحسان ؟ بل ماهذا الاشتطاط فى العنف والطغيان الذى لاتكاد تنتهى فظائعه المشؤومة ؟

وما الذي ارتكبه هؤلاء العثمانيون اخلاف ذلك الظافر الغلاب فاتح القسطنطينية السلطان محمد الثانى الذي اعلن على رؤوس الاشهاد

« ان شخص البطريرك الافريقى لايعتدي عليه » والذي منحه كل الحقوق وسائر الميزات التى كان اسلافه يتمتعون بها من قبل ؟

ان الذى يحاول ان ينكر على الامة العثمانية خلائقها الوديعة الهادئة اللطيفة فانه يجهل تاريخ هذه الامة الودودة الحاسنة المحسنة ولا يدري شيئا من حالتها النفسية المجبولة على الشرف والشهامة والاباء، فالعثمانيون لم يهاجموا البتة الاّ فى مقام الدفاع عن انفسهم.

واليس الانجليز الذين كانوا يعجبون بالعثمانيين فيما مضى ويجلونهم لأجل كرامة نفوسهم واخلاص سريرتهم وصدق ودهم، هم الذين ابدوا مرة اخرى وربما تكون الاخيرة . . . اعجابهم بهؤلاء العثمانيين وميلهم اليهم بعد الانتهاء من حرب الدردنيل الهائلة وذلك انهم عند ماحاولوا اخلاء شبه جزيرة غاليبولى ، مدوا موائد حافلة بكل صنوف الحلويات لخصومهم الاباة الغرانيق ذوى الشهامة والشمم « لا لاعدائهم الالمانيين » ؟

وهل قصر هؤلاء العثمانيون يوماً فى القيام بالواجب الاعلى وهم الذين عند ما رأوا باخرة حربية فرنسوية مصابة ومشرفة على الغرق ازاء كوم قعله سي — حينما اريد اقتحام الدردنيل — ابطلوا اطلاق مدافعهم وبدلا من اتمام عمل التدمير والاهلاك الذى تجيزه شرائع الحروب ، وأطلقوا مدافعهم فى الهواء تحية واكراماً

للفرنسويين الشجعان المقاتلين وهتفت الجنود العثمانيون من الشاطىء قائلين : « المجد والشرف للبحارة الفرنسويين الذين يموتون وهم مكللون بالفخار » .

ولقد ألقت سائر الدول سلاحها منذ ابرام الهدنه ماعدا الامة العثمانية .

وانما اضطرت الى طلب الصلح وابرام الهدنه فى آخر اكتوبر سنة ١٩١٨ بباعث من الكارثة البلغارية التى أصبحت على أثر حدوثها تراقيا بل الاستانة نفسها عرضة للخطر المباشر ، لا بسبب هزيمة حقيقية قوضت دعائم قواها .

على ان الذى قوى عزمها على نشدان الصلح ما ارتاحت اليه من الوعود الخلابة الواردة فى شروط الرئيس ويلسن ، ولم يك ليخطر لها على بال انها ستوائب من كل حدب وصوب وبمثل هذه المباغتة المدهشة ولا سيما بعد تجريدها من السلاح . . . « ان رأي الاقوى هو الاحكم والاصوب دائماً » هذه هي الحكمة المأثورة التى تتبع عند ما يراد حل احدى المسائل الاسلامية !

ومع ان هذه البلاد لم تكن السبب فى نشوب الحرب العالمية فان جزاءها كان من أفظع ماسمع اذ كان نصيبها من الاصطلام والتمزيق مالم تصب بمثله أية بقعة أخرى من بقاع العالم .

« ويل للمغلوبين ! » من ذا الذى يستطيع ان ينكر وقوع الاختيار على هذه القاعدة الماسية الغاشمة فى معاملة العثمانيين كلما خانهم الجد العاثر ومن ذا الذى يجهل ما يلاقيه حتى اليوم هؤلاء المحروبين من جراء تطبيق هذه القاعدة المشؤومة !

وهل فى وسع مثل الامة العثمانية التعسة اذا ظلت محتفظة بمقصدها الاسمى وهو العيش فى ظلال الشرف والكرامة ان لاتقاتل بل ان لا توالي الجهاد الى آخر نسمه من الحياة او الى ان تفوز بذلك المقصد الاسمى ؟

اجل لتوالين الجهاد الى النهاية القصوى مادامت حاصلة على رجل واحد قادر على ان يقف فى وجه المغير المعتدى ليرد عاديته وطغيانه .

وعندما تنفد الحيلة ولا تبقى وسيلة لصد طغيان البحر الهائج المتواثبة امواجه فان الامه العثمانية لاتتاخر عن تنظيم خطوط الدفاع التى ستصير بمثابة سدود تمنع امواج ذلك الطغيان من التمادى فى الترامى الى الداخل .

ومما يمكن حدوثه بالمثل على توالى الازمان ، اذا ماظلت الحرب ناشبة اعواماً طوالا ولبث نطاق الحصر مشدوداً على وسط هذه الامة الصابرة وانقطعت كل صلاتها بالخارج ، ان يعمد العثمانيون

بحكم الضرور القصوى الى ان يتراجعوا الى داخل آسيا ، وثمت يستقبلهم الناس حيثما يمموا باذرع ممتدة وصدور مرحبة ، فيتكون حينئذ من هؤلاء الابطال حماة الاسلام الوسط العامل ونواة التفكير اللذان يحركان ويديران الدول والحكومات الاسلامية التى بدأت تتيقظ من ذلك السبات العميق الطويل وهى الآن تشخص بابصارها المتفتحة حديثا الى الوطنية العثمانية المستقلة فى تلك البقعة المعتبرة آخر ملاذ مقدس للعالم الاسلامى لم يقبل حماته ان يطأطئوا رؤسهم صغاراً وذلا ليحملوا النير الاجنبى على عواتقهم .

ان مثل هذه الامة لا يمكن ارغام انفها وكسر شوكتها بل لا يمكن محو القرون العشرة التى قضتها فى المجد والسمو والدفاع عن الاسلام من سجل التاريخ العالمى .

* * *

انى ما خامرنى يوماً ما اقل شك فى الخاتمة التى ستفضى اليها هذه الملحمة . وكلما فكرت فى ان الحملة الانجليزية التى ساقتها انجلترا على العراق كلفتها ٩٠٠٠٠٠ رجل [١] فى حين ان مجموع العثمانيين المحاربين كان اقل كثير من هذا العدد لم اتمالك نفسى من الطرب والاعجاب بقيمة هؤلاء الجنود المجاهدين الذين عرفوا

---

(١) من تقرير المارشال ولسن الذى نشر فى يوليه سنة ١٩٢٠

كيف يدافعون دفاعاً باهراً عجيبا فى سائر ميادين القتال متشبثين بخطة واحد من الشجاعة والاقدام .

« ليس الذى يهمنا الآن هو الثبات فى مراكزنا الحاضرة بل تثبيت العدو فى مركزه الذى يحتله فى هذا الوقت والاستعداد لمباشرة الهجوم الآتى القريب . . . وهو هجوم عام ستشترك فيه سائر القوى التي سيتم احتشادها ونظمها الى ذلك الحين . »

هذه هى الحكمة الرشيدة التى فاه بها الزعيم الاكبر وهى توضح الخطة العظيمة التى يريد تنفيذها فى المستقبل .

وما هى وسائل النجاح فى تنفيذ هـذا المشروع الجسيم ؟

« انتهاز الاحوال المناسبة للعمل المقرون بالسعى والتحوط فى التنفيذ . »

الله اكبر ، ان الامة العثمانية متدينة حد التدين وثقتها باولى الامر منها و قوادها فوق كل تصور

ان الجندي الاضولي لا يماثله فى الشجاعة والقوة والصبر على المكاره جندي آخر على وجه الكرة الارضية وقد زاده عزماً وبأساً فى هذه المرة انه يجاهد امام عدو اكتسح دياره وحاول استعباده

فما الذي تقتضيه الحالة اذن لتمكينه من احراز النصر بحد السلاح وهو النصر الوحيد الذى ينهى كل لدودة ونزاع ؟

« خصب المخيلة أي توفر المشروعات الجليلة فى قرائح القابضين

على ازمة شؤون البلاد » .

ان الجنود التى تجاهد في ساحات الوغى ذات قيمة عظيمة ولا يعوزها شيء من صفات البطولة « فالوطن يمدهم بالقوة الادبية التى تمكنهم من الثبات فى مواطن الكفاح متحملين كل ما يمنون به من الشدائد والاهوال « اذا اقتضت الحال هذا التحمل »

*

وقبل الانتهاء من هذه السطور أعود الى دعوة المسلمين كافة . . مرة اخرى ، متوسلة اليهم القيام بالواجب المفروض عليهم . وبما انهم اتباع النبى صلى الله عليه وسلم وقد كان صريحا فى اعماله واقواله لا تأخذه فى الحق لومة لائم فليقتدوا بمنهاجه القويم وليكن لديهم من الجرأة ما يبيح لهم تحمل تبعة الاعمال والآراء التى يقتضيها المقام الحرج المحفوف بالاخطار .

لقد ازفت الساعة الخطيرة التى يجب فيها على المسلمين كافة ان يتضامنوا وان يتساندوا بكل الطرق الميسورة .

واننا لنرى الآن ان الاسلام لم يكن متحد الكلمة متفقاً فى الشعور معتمداً على نفسه يوماً ما كما هو شأنه الآن .

وما ذلك الا لان صلح فرساي الذى خيب آمال الجميع [1]

---

(١) خلاصة تاريخ الحرب من عام ١٩١٤ الى سنة ١٩١٨

قد اشتعل حرائق فظيعة فى كل مكان : فاللهب متدلع الالسنة والعاصفة ثائرة مكتسحة ما امامها على التوالى فى القارتين العظيمتين الافريقية والاسيوية .

فصار من المفروض امام هذه الحالة الشاذة على كل مسلم ان يفعل كل مافى استطاعته فعله ، لايصال هذه الحرب الناشبة ظلما وعدوانا والتى ستظل رحاها دائرة مادامت "بلاد العثمانية مكتسحة مغاراً عليها من سائر الانحاء ، الى الخاتمة السعيدة التى ينشدها العالم الاسلامي بأسره .

لقد اصبح من المحتم علينا جميعا ان نساعد على احراز النصر المبين .

ان السلم لايستقر فى بطاح الشرق الفسيحة الا بعد معاملة العثمانيين بالعدل والانصاف ، ولن يلوح عهد السكينة فى الاقطار الاسلامية الا بعد الاستيثاق من هذه الضمانة الكافلة حفظ تاج الاسلام حرا مستقلا .

واذا لم نشرع مذ الآن فى اتيان كل مافى استطاعتنا عمله لتدارك اخواننا المجاهدين فى تلك الارجاء النائية قبل ان يهلكوا على بكرة ابيهم وهم مصممون على عدم التسليم والخنوع لارادة اعدائهم ، وهذا امر نشترك جميعا فى تبعة مغبته ، نصير نحن بالمثل

جانين كاولئك الذين اخلوا بواجبهم الوطني من قبل .

فلنبذل اعظم جهودنا لنخفف بعض مايكابده اولئك السابحون فى لجج الغصص والآلام ولتصح عزائمنا على ان نتوج باكليل الفوز المعجل مجهود اخواننا الابطال اثابة لهم بالانتصار الذى آلوا على انفسهم ان ينالوه لفائدتنا جميعا .

وبعد استقرار السلم وانقشاع الغيوم المتلبدة في افق المشرق يكون امامنا مجال آخر لاعمال اخرى .

فقد اعدت مشرعات عظيمة ابتكرتها قرائح افراد من ذوى المعلومات الواسعة لاجل احياء وترقية هذه الاصقاع المجدودة التى انتابتها صنوف الشقاء وامدادها بعناصر الحياة اللازمة لتقوية كيانها وتمكينها من البقاء فى عداد البلاد العامرة .

ان اعداء الامة العثمانية قد اصابوا بلادها بابلغ ضرر حتى كادوا من قسوتهم وغلظة اكبادهم يجتثون قوتها الطبيعية .

ان اقوى بلاد العالم واعظمها استعدادا للرقى والسعادة فى هذه الآونة هى البلاد التى يكون مستقبلها الاقتصادى لا حد له ، وان خصب اراضى آسيا الصغرى وما تبطنه من موارد الثروة المكنوزة لاشهر من ان اعيد على الاسماع ذكرها فى هذا المقام .

فيا ايها المسلمون على اختلاف عناصركم تذكروا جميعا انكم

انما تنتمون الى جنس واحد وأمة واحدة وملة وحيدة — وهذا مستمد من قول الرسول الكريم — فهلموا الى شدازر هذه الامة المحروبة التي تمثل الاسلام باسره والتي تعتبر رمز قوته وعظمته واعينوها على انجاز مهمتها العسيرة الجليلة بكل الوسائل الممكنة .

وان اوربا الحالية المتانية المتنائية عن تلك الاصقاع ستحترمكم وستعجب بجرءتكم ونخوتكم حينما تراكم نفذتم مقاصدكم بغير تباطؤ وبلا جلبة وضوضاء ، تلك المقاصد الكريمة الشريفة المثمرة ، وذلك لانها لاتلبث ان ترى هي بالمثل افقها قد صفا وتقشعت منه الغمائم التي كانت متلبدة فيه ومؤذنة بالعواصف والانواء .

ولنتأمل مليا بتدبر جراحنا العميقة الداميه ولكن لا بأعين ملؤها الحقد والغل بل مهتدية باشعة الحكمة متخذة من هذه الجروح عبراً بالغة تفهمنا كنه الحياة وترينا أوهامنا واغلاطنا ، ولنجتهد فى ان نقول كما قال نابليون بونابارت :

« ان المرء ليسمو فوق مستوى أولئك الذين يهاترون ويسبون اذا ماتجاوز عنهم وقابلهم بالسماح »

* * *

لقد صرح رئيس الوزارة الانجليزية ، ونحن نتذكر تصريحه هذا جد التذكر ، بان رحى الحرب مادامت دائرة بين القوتين

المتطاحنتين فلا امل فى التوسط بينهما وان مفعول السلاح هو الحكم الوحيد الذى يفصل فى المطالب العثمانية واليونانيـة ويضع حداً للقتال الناشب الآن بين الفريقين .

فاراد الله الا ان نكون نحن الظافرين الغالبين فى الوقت الحاضر على الرغم من سائر الوسائل الخارقة للعادة التى دبرت بمنتهى العناية والاحكام .

وهاهو ذا مصطفى كمال باشا يسائل اوربا قائلا :

« ماذا عسى ان يكون حكمها بعد هذا النصر المبين ؟ »

وإننا لنأمل من اوربا ان لا تنتهج هذه المرة خطتها التي اعتادت على ان تتبعها ازاءنا فترهقنا بتحكمها الذى لم تعد تطيقه نفوسنا الابية وان تنكب عن تلك السياسة العتيقة الجائرة التي لم تعد تصلح لهذا الزمن ، وهى سياسة « الكيل بكيلين مختلفين والوزن بثقلين متفاوتين » .

وهل لم تخض أوربا غمار تلك الحرب الكبرى الزبون لاجل تحرير الشعوب المستضعفة وانصافها ؟

أو ليس لنا الحق فى ان نصيح بملء افواهنا مرددين القولة المأثورة التى رددتها فرنسا وهى :

« اما ان نحيا فى ظل السلام والانصاف وأما ان نفنى ! »

وانى لمثبتة فى هذا المقام بعض جمل من خطابة المسيو كليمانسو (١) وهى جمل تلم بالاجمال بالمقصد الاسمى الذى يجاهد لاجله ابطال العثمانيين .

« لقد حفل الماضى بحوادث الضعف وخور العزيمة كما حفل بحوادث العظمة وقوة الارادة . ونحن لا نستبقى اليوم من تلك الامور المنقضية سوى العظة البالغه — وهى ان نقوم بالواجبات العملية لا ان نقتصر على القاء الخطب الطنانه — التى يجب ان ننقشها فى صحيفة ذلك العقل الفرنسوى المستنير باشعة الشرف والاباء والشهامة الانسانية وهى العادات المقدسة التى اشتهر بها اسلافنا على اختلاف طبقاتهم والمصادر الحقيقية الاساسية لانتصارنا .

وماذا يفيدنا ان نتبجح بقولنا : « لقد كان اباؤنا عظماء » اذا كان أولئك الاجداد يحكمون علينا وهم رقود فى بطون قبورهم باننا ضعاف صغار النفوس ؟

فلنصغ الى اصواتهم المتعالية الى ضمائرنا من تلك الاغوار المستورة مرددة الكلمة الآتية التى يجب ان تلبث مرسومنا المطاع المعمول به الى الابد وليكن فخارنا ان تظل أبصارهم متطلعة الينا ونحن

---

(١) وهى مقتطفات من خطبة سانت هرمين التى القاها كليما نسو يوم الاحد ٢ اكتوبر

نعمل بما رسموه لنا فى نصيحتهم هذه :

« ان الوطن يجب ان يلبث فوق كل شيء سواءاً فى زمن السلم وأمام اشراكه الممدودة أم فى وقت الحرب وتحت طائلة تشنجاته المتواترة » .

« من المستطاع قتل العثمانيين ولكن ليس من الممكن التغلب عليهم » (١)

ان هذا لقول حق .

* * *

الآن وقد انتهيت من تدوين ما كان يخطر ببالى لم يبق لى ما أقوله سوى ترديد بعض بيوت شعرية من الابتهال الجليل الحار الذى صاغه فى قالب النظم المحكم السلطان مراد فى الليلة التى اسفرت عن صباح معركة قوصوه الشهيرة وقد تلاها فى صلاته بلسان صادق وقلب طاهر .

وقد تلي هذا الدعاء الشعرى برمته فى الايام الاخيرة فى جميع مساجد الاستانه .

وهذه ترجمة الابيات التى وقع عليها الاختيار منه :

« بجاه النبى المحبوب جد الحب »

---

(١) كلمة قالها نابليون بونابارت

وبذكرى كل الدماء التى سالت فى كربلا

وبتلك العيون المتنائية جداً الباكية أولئكم المغتربين

وبكل الشهداء الذين ذهبوا ضحايا الدفاع عن دينك الحق المقدس

خضد شوكة الاسلام وكلله بتاج المجد والفخار

وليرتد العدو المعتز بمنتهى القوة مغلوبا مدحورا

ولتغفر لنا ذنوبنا ايها الاله الاعظم

ولتجزنا خير جزاء عن السنوات التي قضيناها فى الجهاد

انى اقدم نفسى فداء للجيش ضنا بدمائه العزيزه

فلاكن الهدف الوحيد الذى يصيبه المرمى

وماذا يهمنى اذا مامت فى سبيل الدفاع عن الدين القويم

جاعلا نفسى القدوة المثلى للجيش الظافر

. . . .

ولقد فاز الجيش العثمانى المغازى بالنصر المبين فى تلك المعركة التاريخية الشهيرة التى اعتزبها الاسلام واكتسب مجدا باهرا ، الا ان السلطان مراد استشهد فيها .

(نصر من الله وفتح قريب)

اننا لشديد والتمسك بديننا وعظيمو الامل فى مستقبلنا . فالله يظاهرنا ويؤيدنا ويمدنا بالنصر المبين باذنه تعالى .

روما فى ١٩ اكتوبر سنة ١٩٢١

قدريه حسين

انتهى



الواجب

الآن وقد انتهينا من نقل هذا الكتاب النفيس بل هذا الذخر الثمين الى اللسان العربي ، نرى من الفائدة ان نغتنم هذه الفرصة السانحة لنطرق ابوابا شتى لاغنى عن طرقها ازاء الخطوب الجمة المتساقطة على الشرق والاخطار المحدقة به من كل جانب .

ان الشرق المتفككة احزاؤه بعد ان تداعت اركان دوله الكبرى على اثر الحروب الصليبية وحروب الاستعمار الغربى اصبح مطمعا لكل دولة بل دويلة غربية .

ولو شئنا ان نستقريء اسباب هذا الضعف الهائل الذي الم بالشرق بعد تفكك اجزائه لما عسر علينا الاهتداء اليها وتدوينها .

الا ان هذه الاسباب كثيرة وأغلبها لا صلة له مباشرة بهذا الكتاب ؛ ولذا رأينا ان لانتعرض لها جمعاء وانما نلم باهمها مما له مساس قوى بالموضوع الذى تضمنته دفتا الكتاب والذى انما وضع ونشر لاجله خاصة .

واهم هذا القسم من عوامل انحطاط الشرق وضعف دوله اذا صح وجود دول له فى هذه الآونة سوى دولة الشمس المشرقة

اي اليابان ، انما هو جمود ابنائه عن القيام بالواجب .

يعرف الشرقي كثيراً من علل سقوط الشرق في دركات الضعف والهوان والشقاء ويدرك مايجب عليه القيام به لتلافي هذه العلل ولكنه لايقدم على اتيانه .

فلو وفق الله كلامنا ، نحن الشرقيين جميعا الى تأدية الواجب لكان لنا من اعتدال جونا وغنى ارضنا وكثرة اعدادنا وصحة اجسادنا وذكاء عقولنا ماينهض الشرق من عثاره ويعيده الى سابق مجده وفخاره .

على اننا اذا عممنا وصم الشرقيين بالتقصير في القيام بالواجب فان لكل قاعدة شواذها ، وهذه الشواذ لا حكم لها في القاعدة نفسها ولهذا لم نشأ ان نجعل لهذه الشواذ موضوعاً خاصاً ، وما ذا تفيد اعمال افراد قلائل جداً في حالة بلغ من شدة حرجها انها تكاد لاتثمر فيها مجهودات العاملين على تلافيها وان عظمت وتعددت .

هذه الدولة العثمانية نكبت ببتر اعضائها وفناء ابنائها واحتلال الاجانب عاصمتها ، فانضمرت ثلة من الثمالة الباقية من بنيها في اقصى اركانها وفي اكنافها القواضب تجاهد مجاهدة الجائد بالنفس الاخير ، فهل قمنا لها بالواجب واسعفناها ببعض المطالب ؟

يعز علينا ان نقول اننا لم نفعل شيئا ! وهل يسعنا ان نذكر

هنا نضعة آلاف الجنيهات التي جمعناهافي اكثرمن عامين وارسلناها الى جمعية الهلال الاحمر العثماني ، وهل يروى رذاذ الندى روضة احتبس عنها الغيث وانقطع الغدير فاصابها اليبس والجفاف ؟ وماذا تصنع قطرات قلائل في اعصار يكتسح القوافل في الصحارى القواحل ؟

ولن ننسى ماجمعه الهنود والافغانيون من المال وارسلوه الى المجاهدين المحصورين ، وذلك المال وان كثر عما جمعناه نحن للهلال الاحمر العثماني ليس سوى قطرة من قطرات مزنة وطفاء تتراءى في سماء الصيف الصافيه !

وكيف نستطيع ان نشبه ماسخا به العالم الاسلامي حتى اليوم اعانة لابطاله المحروبين مما جاد به في حربي طرابلس والبلقان ؟

ولكن الجناح اذا تراخت قوادمه يرف على الاكام

فنحن اليوم ازاء حالة لايفيد فيها العويل بل قد تنفعها النغبة والتعليل . واذا كنا قد نعينا على انفسنا تهاونها وتقصيرها ، أو اذا كنا قد بسطنا حقيقة الحال على علاتها فما ذلك من قبيل اليأس ، بل من قبيل الحث على العمل النافع ، على القيام بالواجب المفروض على كل فرد منا . والا فليس في وسعنا ان ننكر أو نتجاهل ماقام به البعض من اعمال الاعانة الجليله .

مثل السيدة الفاضلة تأتى الخير خفية وتحث عليه جهرة مثل الثمرة النهية تخفى لذتها وفائدتها تحت غشائها الناضر وتغرى النفوس بهما بما تنشره من الاريج الجذاب

ذلك شأن السيدة الخيرة الاميرة النبيلة قدرية حسين التي من الله عليها بنعمتي القلب الطاهر والعقل الكبير ، فدفعها وجدانها الشريف الى ان تؤدي الواجب المقدس بما يطلق السنة الواقفين على حقيقة عملها الجليل بجميل الثناء عليها ، ثم حملتها غيرتها وحميتها على ان تنشر هذا الكتاب القيم داعية به العالم الاسلامى الى مناصرة وتعضيد أبطال الاناضول الذين تدفقت عليهم سيول المطامع من كل جانب .

الاسراف المحمود

الاسراف مذموم الا فى موطن واحد وهو النفع العام .

وكل يوم نسمع بانباء اولئك الذين ينفقون آلاف الدنانير فى الملاهى والمتارف جزافا غير عابئين بما قد ينتاب منابع ثروتهم من النضوب ، ولكننا قلما سمعنا بامرىء ما اوهب عشرات الآلاف من الدنانير مثلا فى سبيل النهضة الشرقية أو لاجل انقاذ الامة الاسلامية من الخطر المحدق بها ، فمثل سراتنا مثل وزارة أوقافنا

تنفق آلاف الدنانير على ترفيه نفر من كبار موظفيها وتقتر فى الماء والزيت والبترول والكهرباء المخصصة لدور العبادة معتمدة على قوله تعالى « ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين » ! ! !

على ان الله قد قيض لهذه الامة من اميراتها من تعرف كيف تبذر وتسرف فى سبيل الفائدة العامة فجاء عملها هذا مستوجباً الحمد داعياً الى اطرائها عليه .

تلك هى الإميرة قدرية حسين التى دفعتها عواطفها الكريمة الى ايفاد وطنيا الفاضل هـ . زاده ، الذى نحترم ارادة الاميرة الشابة ورغبة ذلك الرسول العزيز فى بقاء هـذا لرمز علماً عليه ، رسولا من قبلها الى بطل الاناضول بل بطل الاسلام بل بطل الشرق ان شاء الله مسلماً عليه ومشجعا له وموصلا هديتها الثمينة اليه بل الى حماة الاسلام الذائدين عن حياضه .

ولقد نمت اليّ من مصادر غير مصدر الاميرة الجليلة انباء هذه الهدية التى لايمكن تقديرها والتى صادفت خير وقت موافق لها . وكنت اود لو استطعت ان اذكر تفاصيلها ليعلم ذوو الاموال المكتنزة منا ان بين سيداتنا الفضليات من هى اكبر نفساً واطهر قلبا واذكي عقلا واعرف بالواجب من مئات منهم ! الا انى اخشى لو افضيت بمعلوماتى فى هذا الصدد ان يكون عملى هـذا على غير

رضاها ، وما كنت لاسخط سيدة ، ولا سيما اذا كانت متجملة بمثل هذا الشعور السامى .

جعلت عنوان كلمتى هـذه « الاسراف المحمود » وأريد أن اعود الى هذا العنوان فاقول : اجل انه لاسراف محمود وتبذير من جيبها الخاص لتقديم تلك الهـدية القيمة الى معشر لو اتاح الله لهم الخلاص من الغمرة التى يكابدون الان اهوالها لرأينا من اعمالهم المجيدة مايجعلنا نطفر فى الجو فرحا واستبشارا . نعم نرى من اعمالهم العظيمة أمورا تطير بقلوبنا ابتهاجا لان تلك الاعمال لاتعود فوائدها عليهم وحدهم بل على العالم الاسلامي قاطبة ومن المؤكد على الشرق عامه .

ولقد يلاحظ القارئون ان بطل أنافارتا وسقاريا مصطفى كمال باشا كلف هـ . زاده بواسطة روشان اشرف لك بمهمة اخرى ولا شك فى انها مهمة عظيمة ومن المحقق ان اميرتنا المحبوبة قداجابت سؤله وحملت نفسها فى سبيل القيام بالواجب اسرافا آخر يستوجب الاطراء والاعجاب وان كانت احاديثه لم تصل الى هـذا القطر حتى الان

افيروف !

اسم اشهر من نار على علم ذاع صيته فى حرب البلقان ولا ولا يزال ذائعاً حتى الآن لانه مطلق على اعظم مدرعة فى اسطول اليونان .

فمن ذا الذى لقب هذه المدرعة الضخمة بهذا الاسم الشهير ؟ وهل هو من اسماء الابطال البحريين او من اسماء كبار القواد البريين او من اسماء رؤساء العصابات اليونانية الفدائيين ؟ كلا انه اسم رجل من التجار الاروام الذين نسلوا الى ديارنا المصرية العزيزة وربحت تجارتهم فيها فآثر وطنه بالشطر الاكبر من ثروته التى اضاع نفيس عمره فى تحصيلها اذ ابتاع به هذه الدارعة التى خلدت اسمه فى سجل التاريخ الوطنى . فسقيا له من وطني غيور شهم كريم !

والآن لنتذاكر فيما بيننا ، اسمعنا ان احد اغنيائنا تبرع لمصر لا للدولة العثمانية بنصف مليون دينار كما فعل افيروف ؟

اذكر ، والذكرى شجون ، ان اثنين من سروات المصريين الذين كانوا فى القسطنطينية اثناء الحرب البلقانية ، وعدا رجال الحكومة العثمانية بان يتبرعا بثمن قطعتين بحريتين حربيتين

ولعلهما مدمرة ونسافة وثمنهما معا لا يبلغ مائة الف دينار . ولكن ما ابعد الخلف بين القول والعمل .

والآن استعرض فى ذاكرتى اسمي هذين السريين بين اسماء المكتتبين لاعانة الاسطول فلا اجد لهما اثراً كانهما لم يحملا شارات المجد من تلك الدولة المسكينة ، او كأن احدهما لم يكن على وشك الاندماج فى سلك الوزراء العثمانيين !

وانما آثرت هذين الوجيهين بالذكر لانهما من اقدر سراة القطر على القيام بالواجب المفروض عليهما لدينهما وللمدافعين عن حياض هذا الدين ولم يحركا ساكنا و يلفظا ببنت شفة فى هذا الصدد .

وآه ثم آه لو انبرى عشرون سريا من سراة المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها للتبرع بثمن قطع صغيرة للاسطول العثماني منذ البدء فى اعادة تنظيم الجيش البرى والبحرية العثمانيين فى عام ١٩١٠ اذن لما طمعت ايطاليا فى اقتطاع طرابلس الغرب من جسمان الدولة العثمانية ولكانت مصر متمتعة الآن باستقلالها وحريتها الحقيقيين ، بل ربما كان الشرق كله رافلا فى اثواب النعيم !

ولكن قصر المسلمون فى القيام بالواجب من قبل ولا يزالون مقصرين حتى اليوم ، فى حين ان مصر تبرعت اثناء الحرب

الكبرى ان كرهاوان اختيارا بمئات الالوف من الدنانير لتذكار كتشنر وللصليب الاحمر ولسواهما من الشؤون الاخرى التى لاتهم مصر بتاتا .

ان الاسلام فى اشد الحاجة الى رجال يجودون بانفس مالديهم من الاموال كما فعل افيروف المحسن العظيم لوطنه وكما فعل ساكنا الجنة رضوان الله عليهما محمود شوكت باشا الصدر الاعظم الاسبق الذى عندما اراد التحرك بالجيش من سلانيك لتأييد الدستور فى الاستانة ولم يجد في خزانة الحكومة مالا للانفاق على الجيش الزاحف تبرع بكل مايمتلكه من حطام الدنيا الفانية وهو ثلاثة عشر الف دينار ، ومحمد سعيد حليم باشا الصدر الاعظم السابق الذى قضى نحبه شهيدا فى روما فانه لم يتأخر عن رهن اهم املاكه العقارية فى الاستانة على بضع مئات الالوف من الجنيهات لسداد الاقساط الباقية من ثمن القطع الحربية الكبرى التى كانت تصنع فى انجلترا وعدت عليها عوادى الجشع والغدر والظلم عند نشوب الحرب العالمية الكبري . . .

لو اتاح الله للاسلام امثال هذين الشهمين الكريمين البارين بالامة الاسلامية لما اندك صرح الاسلام المجيد ولما تهاوت دعائمه المحكمة ولما صارت بقاعه نهبا مقسما ولما اصبح بنوه اسارى الاستعباد

يرسفون فى قيود الذل، والهوان !

حيا الله ذكراك يافيروف وسقى قبرك الغيث الهتان فانك اقتفيت اثر ذلك الصحابى الكريم الذى جهز غزوة كاملة من ماله الخاص رضي الله عنه !

ولكن اي افيروف ! لاتحسبن اننا تجردنا من الشهامة والنخوة والمروءة والحمية ، ولتعلمن ان دماء الاسلام لاتزال تجرى فى عروق سيداتنا النبيلات اذا لم تجر فى اوشجة رجالنا الاغنياء الذين انعم الله عليهم بمئات الالوف من الافدنة وبعشرات الملايين من الدنانير المكتنزة فى المصارف المالية الاجنبية خلا مايعلم الله مقداره من الذهب المدفون فى جوف الثرى ! ! !

فالاسلام والحمد لله يافيروف بخير مادامت احدى بناته تجعل فرض العين الذى قضته عن نفسها فرض كفاية تؤديه عن سائر المسلمين . . .

هذه كلمة اسوقها عرضا ولعلها تضرم نار الغيرة والحمية في قلوب ابناء الامة الاسلامية التى رأت من عبر الزمان مايزيل اوثة الوسن عن اجفانها وينبهها الى حقيقة مايجرى امامها .

مالذى يهمنا من امرهم ؟

حينما شرعت فى تعريب « الوطنيه العثمانية » ابتدرنى فتيان نابغان من خيرة الطلبة بهذا الاستفسار :

« مالذى يهمنا من أمر الاتراك ؟ ولماذا تهتم بشؤونهم ولا تكتب شيئا فى المسألة المصرية وقد كنت من جملة المهتمين بحلها ولقد اصبت فى سبيلها بالهم الكبير ؟ »

فاشتد حبورى لسماع هذا السؤال الذى كنت انتظر ان يلقيه على احد ابناء وطني الاعزاء ، بيدانى لم أجد الفرصة سانحة اذ ذاك للافاضة فى تفسير هذا الاستفسار بل اقتصرت على تلاوة التمهيد الذى افتتحت به كتاب الوطنية العثمانية وفى مقدمته هذه الكلمة « حياة الشرق في اتحاد عناصره » ثم قلت لهما : الا تريان ان المساله المصرية قد تقدمت خطوة في سبيل الحل بفضل اندماج العنصرين المصريين الكبيرين ، القبطي والمسلم ، بعضهما في بعض واتحادها في العمل لاجل تحرير الوطن واستقلاله ، والا تعلمان ان هذا التضامن العجيب قد فت في عضد الخصم وحيره واجبره على احترامنا واحترام أمنيتنا السامية العامة ؟ وهل لم تلاحظا ان اختفاء المسألتين القديمتين ، القبطية والاسلامية ، من ميدان العمل وخلو

هذا المجال للمسالة الكبرى ، وهي الوطنية المصرية قد وحد جهودنا وقوى عزائمنا وشل ايدي الدسائس التي كانت تفرق في الخفاء بيننا ، فاصبحنا بفضل الله اخوانا متصافين متضافرين على تحرير وطننا المقدس المحبوب ؟ فاذا كانت كل هذه المزايا الجليلة قد تمت في مصر التي لا تزيد سكانها على اربعة عشر مليوناً من الانفس بفضل الاتحاد وليس لديها جيش وطني يذود عن حوضها ولا معامل اسلحة وذخائر ولا قواد كبار مدربون لهم عزائم تزحزح شم الجبال من اماكنها فكيف بعالم هائل مؤلف من اكثر من ثلاثمائة مليون نفس متوفرة في مجموعه سائر المطالب التي تعوز بعض اجزائه ، اذا اتحدت عناصره وتكونت منها كتلة كبرى تخيف اعداءه وهي الجامعة الاسلامية ؟

حينئذ انعم الشابان الذكيان الغيوران في التفكير ثم تهللت اسارير وجهيهما المشرقين وقالا : انك لعلى حق في كل ماقلته وليس لنا مانعترض به عليك بعد الآن

حياهما الله وبارك فيهما ! ان الشباب النابغ النافع يصل نور الحجة الناصعة الى قلبه الطاهر بغير استئذان فيفعل فيه مفعول السحر الحلال .

ولكن ذلك الجواب لم يكن كافيا ولا أزال غير قادر على بسط

الاجابة الكافية اذ ليس كل مايعلم يقال ، وليس من الصواب ان يهاتر المرء بشقاشق قد تضر اكثر مما تفيد . الا ان مالا يدرك كله لايترك قله

انى لا اعرف شيئا اسمه المسألة التركية لان العنصر التركى البحت الذى تحرك من بلخ فى القرن السابع الهجرى تحت امرة سليمان شاه وارطغرول يكاد يكون قد اختفى بتاتا اواذا كانت لاتزال له بقية فهى من غير شك تمثل اصغر عنصر فى كيان الامة العثمانية ولو تركت وشانها لما احس بها احد ولما قامت لها قائمة فكتابى اذن تدور حول محور المسألة العثمانية ، وحل هذه المسألة ينتج تحرير الامة العثمانية وانهاضها وتقويتها ، واذا ماتمت هذه الامور الثلاثة فان اكثر من ثلاثمائة مليون نفس تهدأ وترتاح وتنعم بالا وتطمئن على مستقبل بلادها وان كانت تتمنى بشىء من القلق والانزعاج والالم فى اوطانها قبل بلوغها امانيها السامية .

انى اهتم بالمسألة العثمانية جد الاهتمام لعدة أمور :

أولها — كانت توجد هيأة منظمه معترف بها تسمي الدولة العثمانية ولايزال لها حتى الآن اثر قوي محسوس فى الوجود . وهذه الدوله هي التي صدت تيار الاستعمار الغربى عن الشرق عدة قرون وهي التي احتفظت بتاج الخلافة الاسلامية والعلم النبوى .

ثانيها — ان حل المسألة العثمانية طبق رغائب المسلمين هى اوفق وارجح حل للمسألة الشرقية التي أتعبت اوربا وأتعبت العالم اجمع وكانت من اهم اسباب الحرب الكبرى وربما تكون من اهم البواعث على نشوب حروب عالمية أخرى مادامت باقية بغير حل معقول منطبق على مصالح الشرقيين انفسهم قبل كل شيء . والحل المعقول المقبول هو الذى أعلنه الهنود .

ثالثها — ان بلاد الدولة العثمانية الحرة المستقلة هى المعقل المنيع للاسلام والملاذ الذى يلوذ به كل المطاردين المشردين من سياسي المسلمين خاصة والشرقيين عامة . فالطلبة الذى حرمتهم سياسه الاضطهاد ومصادرة الافكار الحرة من اتمام دراستهم فى مصر لجأوا الى الاستانة ففتحت لهم ابواب جامعتها ومدارسها العليا واتموا تلقي العلوم فيها ثم اندمج كثيرون منهم فى وظائف حكومتها . والوطنيون المتطرفون الذين يراد ارهاقهم بالعقوبات المتتالية حتى تخرس السنتهم هرعوا الى الاستانة فقوبلوا بصدور رحبة ووجوه باشة بل توالت عليهم المساعدات المالية من مصادر عثمانية متعددة واصدروا الجرائد والمجلات وخطبوا وأنشأوا الاندية السياسية .

رابعها — ان البلاد العثمانية اوفق بقاع لمن ضاقت به سبل

الارتزاق فى البلاد الشرقية الاخرى او لمن اراد استثمار ماله فى اضمن المشروعات الاقتصادية المتعدده . وبما ان مساحة الاناضول تبلغ ٤٩٠٠٠٠ كيلو متر مربع لا يشغلها اكثر من تسعة ملايين من الانفس فهذه الاراضي الواسعة فى اشد الحاجة الى الايدى العاملة والى الاموال المستثمرة . لهذا فكر المصريون المقيمون فى الاستانة قبل الحرب فى انشاء شركات استغلالية شرقية بحتة تستثمر وتعمر هذه الارجاء الفسيحة ووافق رجال الدولة العثمانية على تحقيق سائر المشروعات المصرية بل لقد اقطعوا بعض المصريين قطعا من الاراضى الزراعية الخصبة فى ولاية اطنه وفى ضواحى الاستانة ، كما انهم كانوا مستعدين لاقطاع كل من يقدم اليهم من البلاد الاسلامية المختلفة ما يكفيه من الاراضي الزراعيه ولامداده بالبذور والحيوانات والادوات الزراعية واعفاء هذه الاراضى من الضرائب والرسوم بضع سنوات وتقسيط اثمان الحيوانات والبذور والآلات الزراعية على اعوام طوال . وهذه فوائد لا يجدها المسلم خاصة والشرقي على العموم فى اية بلاد اخرى .

خامسها — ان التعليم بوجه عام وتعليم الفنون الحربية والبحرية بوجه خاص لم يكونا ميسورين بلا نفقة مطلقة او بنفقة زهيدة جداً كتيسرهما فى بلاد الدولة العثمانيـة التى لم تكتف بفتح ابواب

مدارسها لقصادها من سائر الامصار الاسلامية بل حملت اطفال الطرابلسيين من بلادهم الى البلاد العثمانية بعد الاعتداء الايطالي المشؤوم على طرابلس وتولت تثقيفهم وتعليمهم .

فلهذه الاسباب ولامور اخرى سواها لم اشأ ان انبسط فى سردها الآن ارى ويشاركنى فى هذا الرأي كل شرقي حكيم مستنير يحب استقلال وطنه وسعادته وجوب التضافر على انقاذ الدولة العثمانية وانهاضها وتقويتها .

وفيما انا مشغول بكتابة هذه السطور وقفت على كتاب موجه من اخواننا السوريين الى مصطفى كمال باشا يعاتبونه فيه على مابدر من بعض رجال الحكومة الوطنية العثمانية فى صدد المسألة السورية ولعمرى انهم لمحقون فى الاستنجاد بالنخوة الاسلامية المتأصلة فى نفوس حماة الاسلام وابطال الشرق ولكنهم احق بالمثل القائل « الصيف ضيعت اللبن » فان اخواننا السوريين سامحهم الله كانوا من اقوى العناصر العاملة فى اثناء الحرب الكبرى على طعن الجبهة العثمانية من خلف تسهيلا لاعداء الشرق والاسلام على اكتساح البلاد السورية املا فى التخلص من الرابطة العثمانيـة والفوز بالاستقلال الموهوم فكان نصيبهم اذ انقطعت الصلة التى كانت تربطهم باخوانهم وضاع عليهم حلم الاستقلال اللذيذ عند ماتقدمت

عيونهم على وضح الحقيقة الناصعة .

ولكنا الآن احوج مانكون الى اطراح التعاتب والى تناسى الماضى لان لكل منا حسناته وهناته فاذا كان اخواننا السوريون قد طعنوا الجبهة العثمانية الغربية من الخلف فقد اشتركنا نحن والهنود فى طعنها فى الصدر وطعن الهنود الجبهة الجنوبية فى قلبها فكلنا فى الهوى سوى وان اختلف موقف الهنود والمصريين عن موقف السوريين .

اقول مالنا وللعودة الى ادكار الماضى ونحن احوج مانكون الى التفكير فى الحاضر . يقول اخواننا السوريون فى كتابهم « ولم يتركوا فرصة حتى انتهزوها لاظهار عطفهم على القضية الوطنية التركية العاملة ضمن قيود ذلك الميثاق » ولست ادرى معنى العطف الذى اظهره اخواننا السوريون على المسالة الوطنية العثمانية ومبلغه من التأثير فى حالة حماة الاسلام وابطال الشرق المحصورين من كل جانب المحرومين من سائر المطالب ! فان كان عطفهم مقصورا على الشعور القلبى والوجدان النفسى او محصورا مابين طائفة من الافواه او رزمة من الصحف فما كان احرى اخواننا ان يبقوه فى طى الكتمان وان لا يوردوه على شباة القلم او عذبة اللسان ، واما اذا كانوا قد اعربوا عن هذا العطف بآيات باهرات من الاعانة

والتعضيد والتشجيع ولو من قبيل ما فعله اخوتنا الهنود وما فعلناه نحن المصريين على ضآلته فليسعر والبابا بيان تلك الآيات الباهرات لنقول : « لله الحمد فان الخير لايزال باقيا فى الاسلام » ! ! !

وانى بهذه المناسبة لا يسعنى الا ان اجبه اخواننا السوريين بمر العتاب على تقاعسهم عن العمل الناجع لمساعدة الوطنيين العثمانيين وكما انى امتعض للتصريحين اللذين فاه بهما بكر سامي بك وفريد بك اذا صحت رواية النقل عنهما ، فانى اشمئز من الجمود الذى يبديه السوريون ازاء الاكتتاب العام للاناضول والمساعدات الفردية الجسيمة التى يؤديها ذوو النخوة والنجدة والحمية الاسلامية من هنود وافغانيين وقوقاسيين ومصريين . بل لقد اكتتب التونسيون والجزائريون ببعض الاموال لتلك البقعة البائسة المحروبة ولم يحرك السوريون ساكنا ، فهل لايتذكر اخواننا السوريون قوله تعالى « وتعاونوا على البر والتقوى » وأى بر وتقوى افضل من اعانة اخوتنا الذين طردوا الى ركن قصي من وطنهم وحرموا من سائر وسائل الدفاع عن النفس ، ولماذا ، لانهم حماة الاسلام ومحرروا الشعوب الشرقية !

عواقب الانقسام

حينما وقف الرسول صلى الله عليه وسلم بين اخوته المسلمين يقول لهم : لاجنسية فى الاسلام . و ، المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ، أو ماهو اقرب من الالفاظ الى هـذه المعانى ، اتحد المسلمون وادركوا فى اقل من ثمانين حولا مالم يدركه الرومان فى أكثر من ثمانيه قرون . فلما اريد لهـذه الامة ان تافل شمس عزها ويندك صرح مجدها وتندرس معالم مدينتها وتزول حسنات انسانيتها ، تعدد ملوكها وسلاطينها وامراؤها بل لقد اصبح خلفاء الرسول ثلاثة أى صار للجمهورية الاسلامية ثلاثة رؤساء .

اقول الجمهورية الاسلامية لان الرسول صلى الله عليه وسلم انتقل الى الرفيق الاعلى ولم يستخلف احداً فترك الامر شورى بين المسلمين لهم ان يختاروا من يجعلوه رئيس جمهورهم .

فلما اخل المسلمون بعهد الرسول وتحولت الخلافة الى ملك عضد يتوارثه الابناء عن الاباء استبد الخدم والاتباع بالامر وصار الملوك والسلاطين رجالا ضعافا لايستطيعون ان ينظروا فى شؤون دولهم وكان من جراء ذلك ان استقل الولاة واغلبهم من الخدم والاتباع بالولايات التى يديرون شؤونها . ثم حملتهم اطماعهم على

ان يجار - بعضهم بعضا املا فى استيلاء كل منهم على ما فى قبضة الآخر من الامر والنهي . فسادت الفوضى وساءت الاحوال وتحكم فى اعناق المسلمين الظلمة والجهال .

و بينما الانقسام يمزق كيان الامه الاسلاميه اذا ببطرس الناسك يهيب باوربا المختفية فى ظلمات الجهل والخمول والعصبيه : انهضى ايتها القارة الغارقة فى لجة الوسن وانقذى البيت المقدس من براثن اولئك الوحوش الكواسر واكتسحى تلك الاراضى الخصبة الغنية التى لم يعرف ابناؤها كيف يستغلونها ويتمتعون بخيراتها الوفيرة ! انهضى فى هذا الوقت المناسب الذى اخذ اولئك البرابرة المتفرقون يمزق فيه بعضهم اشلاء بعض ! انهضى واحملى صليبك وجوبى به انحاء الشرق الملوثة بدماء بنيه !

طاف ذلك الراهب التقي الغيور المبارك ممالك القارة الاوربية مستصرخا ملوكها وامراءها فصادفت دعوته آذانا مصغية وقلوبا واعية وسواعد قوية فكانت اولى الحروب الصليبية فى اواخر القرن الحادى عشر .

توالت الحروب الصليبية الكبرى ثلاثة قرون تقريبا استولى فى غضونها الصليبيون على بيت المقدس وعلى مدن وبقاع كثيرة من آسيا وافريقيه والمسلمون لاينفكون يتقاتلون فيما بينهم ، حتى

اذا ما انتهت الغارات الصليبية الثمانى وارتد الغربيون من الشرق متخلين عن الاماكن المقدسة كانوا هم الفائزين فى الواقع لانهم اخذوا علوم الشرق وفنونه وآدابه فنشروها بلغاتهم وجعلوها اساس نهضتهم الحديثة .

وينبغى لنا ان نلاحظ فى هذا المقام ان الذى كان يكافح جموع الصليبيين فى كل اغارة ملك واحد من ملوك المسلمين وما سمعنا ان سائر ملوك الاسلام وامرائه اجتمعوا واتفقوا على دفع تلك الاغارات .

واذ ايقن الغربيون ان الشرق لايزال قوي المراس وان ملوك المسلمين لايزالون ذوى منعة وصولة عظمتين تركوهم وشانهم يأكل الحقد قلوبهم وتمزق يد التفريق وحدتهم ، بينما يشتغلون هم بتهذيب وترقية وتوسيع مانقلوه من اساليب الحضارة الاسلامية التي يطلقون عليها المدنية العربية .

واذ صار اغلب ملوك الاسلام وامرائه من خدم امراء المؤمنين الذين لايعرفون من العلوم والآداب شيئا فقد بدأت النهضة الاسلامية العلمية ، التى وضع اساسها القرآن بما احتوى من الايات العديدة الحاثة على التعلم والمشرفة قدر العلم كقوله تعالى « اقرا وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم » وكقوله جل

وعلا « هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون ؟ » الى غيرهما من الايات والاحاديث الجمة ، تتداعى اركانها التي هي قواعد الدين الاسلامى ، لان هذا الدين قائم على اصول علمية مكينة كالوحدة التى تعتبر اساس العلوم الرياضية بأسرها وكبلاغة القرآن التى اعجزت بلغاء العرب اجمعين وكانت ينبوع العلوم والآداب والفنون الاسلامية التى نقلها الصليبيون الى اوربا ، فاصبح الشرق بؤرة الشر والجهل والظلم والفساد ولا سيما التفرق والتناحر .

وبعد ان تحسنت احوال الغربيين وانتشرت فى ربوعهم المدنية الاسلامية التى استفادوها من الشرق ومن الدولة الاسلامية الاندلسية ورأوا ما آل اليه الشرق من الانحطاط والتمزق شرعوا يكتسحون بلاده ولكن بطرق اخرى غير الطرق الحربية الاولى اهمها بث الدسائس والفتن بين العناصر التى يتكون منها العالم الاسلامي ليدوم الانقسام منها ريثما يعملون هم بوسائل مختلفة على اقتطاع اضعف العناصر المنفصلة عن الكتلة الاسلامية الكبرى .

ولئلا يقع بينهم الشجار والقتال بسبب هذه الغنائم المستلبة اخذوا يعقدون المؤتمرات السياسية ويبرمون الاتفاقات السرية التى يتساومون بواسطتها فيما بينهم على ذلك النهب المقسم .

وانى لاسطر فى هذا المقام بعداد من عراقى أو من دمى او

بأحرف من المنار المنبعثة من قلبي الآسف المتلهف الحزين نادرتين شهيرتين تدلان على مبلغ ما وصلنا اليه من التقاطع والتخاذل والانقسام .

اولاهما تتضمن ضياع الاندلس من حوزة الاسلام بتاتاً ففى هذه الاونة أى فى اواخر القرن الخامس عشر كانت الدولة العثمانية فى عنفوان شبابها وشدة قوتها وصولتها فقام اهل الاندلس يستصرخون اخوانهم المسلمين فى سائر ارجاء العالم الاسلامى لانقاذهم من فرديناند الكاثوليكي وزوجه ايزابلا اللذين حاصرا غرناطة واوشكا ان يقضيا القضاء الاخير على دولة الاسلام التى كانت زاهية هنالك فلم تحرك الدولة العثمانية على عهد بايزيد الثانى ساكنا لانقاذ تلك الدولة التى اصبحت فى خبر كان وكذلك لم تحرك الدولة المصرية جنديا واحدا لهذا الغرض الشريف . وان فى قصيدة شاعرهم النونية الشهيرة مايقطع الاكباد اسى وحسرة !

والنادرة الثانية : زحف محمد على باشا والى مصر على الاستانة فى الوقت الذى اباد فيه السلطان محمود جنود الينيشارية مستعيضا عنها بالنظام الحربى الجديد لدى عم اوربا . فلم يمهل والى مصر خليفة المسلمين المدة الكافية لاتمام الاصلاح الجديد وتثبيته بل قضى بانقسامه على دولته على كل امل فى انهاضها وتقويتها وكان هذا العمل مدعاة لموت السلطان محمود كمدا حزينا ! ولم تقم للدولة العثمانية

قائمة من ذلك الوقت الى الآن لان اوربا انتهزت هذه الفرصة ولم تسمح لهذه الدولة الشرقية المحروبة بان تجد الوقت الكافي لاستجماع قواها وتنظيم شؤونها بما تخلقه لها من الدسائس الخفية وبما تشهره عليها من الحروب المتوالية . ولقد كان جزاء مصر من هذا العمل ان سقطت فى شبكة الاستعمار الغربى وعجزت الدولة العثمانية عن انقاذها من جراء الضربة القوية التى اصابها بها محمد على باشا وبقيت آثارها الى هذا الحين .

الوطنيات الشرقية

اراد الغربيون ان يدسوا على الشرق دسيسة هائلة تقضى عليه بالسقوط الابدى فنشروا دور تعليمهم التي تدس السم فى الدسم ملقنة احداث الشرقيين مبادىء لا تنطبق على حالة الشرق ولا على مصلحته ، فشب هؤلاء الاحداث ما بين مسيحيين واسرائليين ومسلمين على التشرب بروح البغضاء للدولة العثمانية راغبين فى الانفصال عنها لتكوين وطنيات خاصة بها ، فجاء هذا السلاح المسموم أضر على الدولة العثمانية خاصة وعلى الشرق عامة من الدسائس العنصرية ومن الحروب الاستعمارية المتفرقة . وذلك لان هذه المبادىء التى افادت فى اوربا المتالفة من كتلة مسيحية

كبرى تكادلغاتها تتجانس سممت الافكار الشرقية ونزعت منها كل أثر للاتحاد . فاندفع الشبان المستنيرون الى المطالبة باستقلال بلادهم وهم لا يدرون ان الاستقلال شرك ينصبه الغربيون لاصطياد بلادهم به .

على ان الدولة العثمانية التى لم تجهل خطر هذا السلاح الجديد فاخذت تجاهد بكل مافى وسعها لحفظ كيانها علما منها بان هذه العناصر اذا تفرقت سقطت فى قبضة اوربا ولم يفدها انفصالها من الرابطة العثمانية سوي الوبال .

وابى شبان العناصر المختلفة ان يخضعوا للقوة فارتموا فى أحضان الدول الغربية التي اوهمتهم انها نصيرة الاحرار ، وشجعتهم بالاموال وفتحت لهم صدور صحفها .

وظلت الحالة قلقة مضطربة مؤذنة بتفاقم الشر حتى شبت نيران الحرب الكبري . هنالك شرعت العناصر المختلفة تساعد الدول المعادية على قهر الدولة العثمانية واذلالها آملة ان تساعدها تلك الدول بعد انتهاء الحرب على الفوز بالاستقلال .

وانتهت الحرب الكبرى بضياع اجزاء مهمة جدا من مجموع الدولة العثمانية ولكن البلاد المنفصلة لم تتحرر وذهب حلم الوطنيات المستقلة مع ليالى الآمال اللذيذة التي كان الشبان العثمانيون

المستنيرون يقضونها فى نوم الغفلة والغرور .

على ان احرار العثمانيين فطنوا للعواقب الوخيمة التى ستنتجها مكيدة النزعات الوطنية وعلموا ان محاولة القضاء بالقوة على هذه النزعات التى تاصلت فى النفوس كما حاولت ذلك حكومة عبد الحميد المستبدة ليس من ورائها سوي توسيع الهوة وازادة النفرة وتمكين العدو من ثغرة يصل بها الى داخل البلاد العثمانية فشرعوا يتفاهمون مع سائر العناصر العثمانية بالحسنى وبدأوا فى اعداد طريقة مثلى لانالة هذه العناصر أمنياتها اوما يقرب منها مع بقائها مرتبطة برابطة الجامعة الكبرى التى تحفظ كيان هذه المجموعة الكبيرة من التمزق والسقوط تحت براثن وحوش الاستعمار ، وكادوا يصلون بالفعل الى تحقيق الغرض الاسمى لولا قيام الحرب الكبرى .

اما الآن وقد انحلت الروابط التي كانت تربط المجموعة العثمانية وادرك عقلاء العناصر التى سقطت تحت نير الاستعباد الاجنبى انهم كانوا مخدوعين بالامانى التى زينها لهم الدساسون الاجانب فمن الواجب على هؤلاء العقلاء ان يعملوا بقدر استطاعتهم على ايجاد صلة اختيارية قائمة على المصلحة المشتركة بين الجميع تصل بين كل الوطنيات الشرقية الرازحة تحت عبء الاستعمار . ولا يتسنى تحقيق هذا المقصد الا بالالتفاف حول نواة هذه الوطنيات وهى قوة

الوطنية العثمانية التى تجاهد الآن حق الجهاد لاجل الشرق باسره والتى تعلم الدول الاوربية خطرها على الاستعمار الغربى فتعمل فى السر والعلن وبطرق شتى لمحوها من عالم الوجود حتى لاتظل الوطنيات الشرقية معلقة آمالها بها وحالمة بالخلاص والاستقلال على يدى هذه الوطنية المسلحة القوية

والالتفاف المنشود حول هـذه الوطنية لايكون بالقول اوبالتمنى بل يكون بتعضيدها تمضيداً ناجما يضمن لها النجاة من الموقف الحرج الذى اوقفتها اوربا الناقمة عليهافيه .

الأقليات في الشرق

كانت الاقليات فى الشرق من جملة العلل التى تتوسل بها الدول المستعمرة للتداخل فى شؤون الامم الشرقية او بالاحرى لخلق الاسباب، التى تجيز لها التحكم فى هـذه الامم ثم اخضاعها والاستيلاء على بلادهاالمستقلة بعـد مماحكات تؤدى الى امتشاق الحسام ولقد فقهت هذه النعاصر التى يطلقون عليها اسم الاقليات بعد تجارب عديدة انها آلات مسخرة للدول الغربية المستعمرة وان الغرم كله عليها والغنم لتلك الدول التي تستخدمها واذ البلاد اذا ما سقطت فى قبضة الدولة المغرية لاتلبث هـذه الاقليـة ان

تتساوى فى المعاملة بالاكثرية بل ربما عادت الدولة المستعمرة الى مراضاة الاكثرية على حساب الاقلية ، فاخذت العناصر الصغيرة تتجنب الائتمار باغراء الدول المستعمرة .

واهم الاقليات التي فطنت الى هذه المسألة وحلتها بطريقه التفاهم مع اكثرية الامة التى تتألف منها مباشرة الاقيلة الاسلامية الهندية التي تبلغ ثلث مجموع الامة الهندية تقريبا ، ثم الاقلية القبطية فى مصر .

ولا يسعنا امام مافعله اخواننا الاقباط النبلاء العريقون فى المجد والوطنية الصادقة اخلاف اولئك الاسلاف الكرام فراعنة وادى النيل العظماء الا ان نشدو بالثناء عليهم و نبالغ فى تكريمهم فقد ابدوا من التضامن معنا نحن اخوانهم فى الوطنية وفى الجامعة الشرقية ماقضى على الدسائس الاستعمارية شر قضاء واى لسان لا يتعطر بذكر هؤلاء الاعزاء المحبوبين الدين لم يعد بيننا وبينهم فارق بعد ان اعتنق الصليب الهلال وعانق القس الشيخ وبعد ان قضت السياسة الاستعمارية بفصل بعض ابطال الوطنية من هؤلاء الاخوان من وظائفهم فى الحكومة لالعلة سوى سعيهم فى تحرير بلادهم ! حياهم الله من اخوان احرار مستقلين صادقين .

و لغ من ذكاء هؤلاء الاخوان وتبصرهم وارتباطهم بمجموع

الامة انهم لم يكتفوا بمجاملة المجموع فى مسألة الاكتتاب لاجل الاناضول بل لقداصدروا فى الاسكندرية اوراق نصيب خصصوا نصف دخلها لهذا الاكتتاب فكانوا اسبق بهذه الفكرة الحميدة فى اكساب الاكتتاب صبغة الاشتراك العام فيه ، وهي فكرة جليلة جداً سنذكرها لهم بالشكر الجزيل متى حان اوان الجزاء الاوفى.

الا ان ماجادبه اخواننا الاعزاء الكرام لايكاد يذكر حتى الآن . ومن المعلوم انهم اوفرمنا ثروة واقل دينا ففي استطاعتهم اذا شاءوا ان يتباروا فى مضمار الاكتتاب بل فى مضمار المساعدات الخاصة التي تفيد الفائدة الحقيقة المنشودة . فاذا ما ماثلت حميتهم فى هذا المجال غيرتهم فى ميدان الوطنية فان عملهم الحميد سيكون باعثا لاشتعال نار النخوة فى نفوسنا نحن المسلمين فنساعد حينئذ اخواننا العثمانيين بما ينفعهم جد النفع .

وليتاكد اخواننا الاقباط ان مايسدونه من الجميل سيكون دينا لهم علينا وطوقا ذهبيا يطوقون به اعناقنا فلا يكون بينهم وبيننا فى المستقبل اي فارق يفرقهم منا . واذ ذاك يتاكدالطامعون فينا اننا اصبحنا بنعمة الله اخوانا لاتفرق الاديان بيننا وليس فينا عناصر مختلفة ولااقلية ولااكثرية بل كلنا امة واحدة متحدة فى

جميع المناهج السياسيه .

الا ان الاستعمار الغربى الذى اخفق فى مصر وفى الهند لم يخفق واأسفاه فى البلاد العثمانية اذ لا يزال العنصرين الرومى والارمنى يخلقان المشاكل ليجيزا للدول الاوربية ان ترفع عقائرها صائحة لااماذ لبقاء الاقليات تحت الحكم العثمانى الجائر الملوث بادران التعصب الدينى الفظيع !!!

وأى امان بل اى تعصب تستند عليه الدول العاملة على محو الدولة الشرقية الوحيدة التى وقفت حائلا قويا عدة قرون دون تدفق التيار الغربى فى البقاع الشرقية ؟

افذلك الامان الذى يريدونه هو تحكم اقلية عنصرية معادية متفقة مع الاجنبي ملوثة الاكف بالدماء فى اكثرية تبلغ تسعة اعشار الامة اورابعة اخماسها على الاقل ؟

وهل يريدون بلفظة التعصب ذلك الدفاع المشروع عن النفس والنفيس والاهل والولد ؟ واية شريعة فى الكون لاتجيز للقوي وللضعيف على السواء حق الدفاع عن النفس ؟ وهل من مصلحة العثمانيين الذين تكالبت عليهم المصائب والاهوال ان يضعوا فوق رؤوسهم مصيبة اخرى بتحرشهم بالاروام اوبالارمن فى هذا الموقف العصيب ؟ اليس من المعقول انهم بذلوا الجهد الجهيد فى

تسكين ثائرتهم وافهامهم حقيقة المقاصد السئية التى ترمى الى اثارتهم للاستفادة من وراء اعمالهم الضارة بهم وبمجموع الامة والوطن ؟ على ان مواطننا العزيز هـ . زاده لم يغفل هذا الموضوع بل ألم به فى عرض رسائله الممتعة اذ ذكر المساعي العديدة التى بذلتها الحكومة الوطنية لتهدئة الاروام المنتشرين على سواحل البحر الاسود وهم انفسهم الذين عادوا الى الهياج مرة اخرى ائتمارا بتحريضات الدسائس الاستعمارية فاضطرت الحكومة الوطنية بحكم الضرورة الى تخير اهون الشرين فنقلتهم من مواطنهم الى داخل البلاد ، وربما نجم عن انتقالهم من مساقط رؤوسهم عدم توفر المواد الغذائية لديهم فهلك منهم بضع مئات او بضعة الوف ، وكذلك ربما عمدت الحكومة الى مقابلة الشدة بمثلها زجراً واستئصالا لاسباب الفتنة بتاتا ، وكذلك من المحتمل ان يكون الفريق المسلم من الاهالى لم يطق صبراً على حرب العصابات الرومية وهو فى أشد حالات الضيق والكرب من جراء الحرب اليونانية العثمانية الحالية فقابل العدوان بمثله وحمل السلاح ونظم العصابات التى تقتاف آثار العصابات الرومية وتغير على قرى الاروام منكلة بمن تجده فيها .

كل هذا جائز الحدوث اذا صح ماتزعمه الدولة الصائحة الآن

والمطالبة باجراء التحقيق . بيدان الحكومة الوطنية رفعت صوتها بالتحذير من هذه الدسيسة الجديدة التي انما يراد بها التجسس على القوة الوطنية لمصلحة الدويلة اليونانية ! وربما اريد بها كذلك بث الفتن والدسائس اثناء مباشرة التحقيق الوهمى . . .

وعلى كل حال فان الاروام والارمن العثمانيين قد أخلوا بواجبهم الوطنى ولم يساووا فى الحكمة والتدبر والبصر بالعواقب اخواننا مسلمى الهند واخواننا الاقباط — وكنت اودان لااذكر لفظة الاقباط لانها تدل على وجود عنصرية فى مجموع الشعب المصرى ونحن بفضل الله شعب واحد غير قابل التجزئة — فللامة الهندية وللشعب المصرى ان يفاخرا بوطنيتيهما الصادقتين المتينتين .

شبهات باطلة

روج الموسوسون في صدور الناس اثناء الحرب الكبرى ضلالة يريدون ان يفرقوا بها بين المصريين واخوانهم العثمانيين ليستعينوا بالاول على الآخرين ، ويظهر ان تلك الضلالة قد راجت وتمكنت من نفوس اناس كثيرين لاعلم لهم بحقائق الدسائس الاجنبية الهائلة ومقدار تفننها وبراعتها واحكامها . والمظنون انها اثرت بنوع اخص فى عقول شباننا الاعزاء الذين لم يخبروا دخائل اولئك

الماكرين المفرقين .

فبينما انا في غيابة السجن قبيل الهجوم العثماني على قناة السويس اذ اقبل اليّ نفر في الخفاء يسائلونني عما اشيع من ان العثمانيين اذا دخلوا مصر امتلكوها واعاد واحكم (الكرباج !) اليها .

قلت هذه ضلالة يرادبها التفريق بيننا واخواننا القادمين الينا لانقاذنا ليستعينوا بنا عليهم . اما حكم الكرباج فلن يعود الى هذه البلاد مطلقاً .

قيل لي . وهل لم يستعمل الاتراك الكرباج في حكمهم الاول ؟

فاجبت : اذا كان الكرباج قد صار من نصيبنا يوما مافقد كان قاع البسفور من نصيب الالوف من الاتراك انفسهم وذنب اولئك المفرقين حبهم لوطنهم ورغبتهم في ازالة حكم الكرباج وامثاله من الاحكام التي لاتتفق مع روح العدل والانصاف والحرية . فكل تلك المظالم قد زالت منذ ان نشر الدستور ظلاله على ارجاء الدولة العثمانية وهيهات ان يعود مرة اخرى لان احرار العثمانيين على تمام اليقظة والحذر .

على ان المهم في هذه الدسيسة ليس هو اعادة حكم الكرباج بل هو عودة العثمانيين الى ادارة شؤون بلادنا بانفسهم . لان مجرد التفكير في هذا الامر باعث على اشمئزاز النفوس الحرة التي تأبى

الخضوع مطلقاً لاي نوع من انواع السيادة . فالذين ارادوا التفريق احكموا تلفيق دسيستهم . وحقيقة الامر ان العثمانيين آتون لانجاد المصريين وانقاذهم من الاحتلال الاجنبي لا لاحتلال البلاد المصرية وبين المصريين والعثمانيين عهود ومواثيق كتابية يرجع عهدها الى عام ١٩٠٩ بان تكون الرابطة التي تربط مصر بالدولة العثمانية اشبه شيء بالرابطة التى تربط المجر بالنمسا فنظام الجيش والبحرية واحد والسياسة الخارجية واحدة وما عدا ذلك فمصر حرة التصرف فى سائر شؤونها الخاصة .

وهنالك امر آخر يجب ان تفهموه وان تذيعوه فى طول البلاد وعرضها وهو ان العثمانيين مدينون بالجميل العظيم للمصريين فى مساعداتهم العظيمة المتوالية وفى عطفهم الشديد عليهم وفى دفاعهم المجيد باقلامهم والسنتهم عنهم سواء أفى مصر ام فى الخارج ، وتطوعهم فى سائر الحروب التى اشهرها عليهم اعداء الشرق . ومن جهة اخرى يعتقد العثمانيون اعتقاداً جازماً لايتحولون عنه البتة ان المصريين اعرق الشعوب الشرقية فى المجد واذ كانوا عقلا وأوسعهم علماً واشرفهم نفسا فليس من المعقول ولا من المصلحة العامة اخضاع مثل هذا الشعب للسلطة المتحكمة وانما المعقول والمفيد الاتفاق مع هذا الشعب الحر النبيل على مافيه فائدة الشرق باسره .

وزيادة على ذلك فان بضعة أشخاص من المصريين يديرون شؤون الدولة العثمانية ادارة غير مباشرة ولهم كلمة مسموعة ورأي نافذ فى كل مشروع سياسى ترسمه الدولة العثمانيـة . وهؤلاء الاشخاص هم الذين سعوا فى جمع كلمة العناصر المختلفة التي تتكون منها الامة العثمانية حول دولتهم وحمل هذه الدولة على اشراك كل هذه العناصر اشراكا فعلياً قوياً فى تولى شؤون البلاد ، فالشعب الذى يكون لابنائه هذه المنزلة وهذا التأثير فى اعمال الدولة العثمانية لايعقل ان يحاول العثمانيون استعباده .

اما الحملة العثمانية على مصر فلم تكن موجهة ضد المصريين بل ضد اعداء المصريين وهى من مقترحات المصريين المقيمين فى الاستانة ، وقد ظلوا يلحون على وزارة الحربية العثمانية بارسال هذه الحملة على عجل قبل فوات الفرصة السانحة حتى اضطرت الى تسيير ما تيسر لها حشده من القوى بسرعة تحت ضغط النفوذ المصرى المتسلط على الاستانة وقبل اتمام الاستعداد اللازم لمثل هذا العمل العظيم .

هذا ما اجبت به فى ذلك الوقت اي فى اوائل عام ١٩١٥ . وأزيد الآن على ماتقدم ان الحملة العثمانية على مصر كانت مصرية بحتة فكثيرون من ضباطها مصريون واكثر جنودها مصريون والذين يديرون شؤونها فى سوريا مصريون حتى ان جمال باشا قائد

الجبهة الغربية كان فى مبتدإ الامر آلة فى ايدى المصريين .

واسباب فشل هـذه الحملة انصياع وزارة الحرب العثمانيـة لاوهام اخواننا المصريين غير الحربيين والشروع فى الاشتباك قبل توفر القوة الكافية وقبل تنظيم طرق المواصلات وقبل ايجاد المقادير العظيمة من الذخائر . والذى اعلمه علم اليقين قبل تحركي من الاستانة ان النية كانت معقودة على عدم الشروع فى الزحف قبل احتشاد خمسة وعشرين الف جندي نظامي بسائر ادواتهم وذخائرهم فى المرحلة الثالثـة أى خط الهجوم ازاء رفح واجتماع خمسة وعشرين الف اخرى فى المرحلة الثانية وهى بئر سبع وخمسين الف فى المرحلة الاولى وهى معان ووصول الانباء المشعرة بسنوح الفرصة المناسبة للبـدء فى الهجوم . ولـكن اخواننا المصريين المقيمين فى الاستانة حملوا وزارة الحرب على مبـاشرة الهجوم قبل وصول اي نبأ من مصر وقبل احتشاد اية قوة من القوى المتقدم ذكرها ظنا منهم انالمصريين لايلبثون ان ينهضوا على بكرة ابيهم خلف ظهر العـدو فيسقط العدو بين قوتين عظيمتين قبل استعداده الحربى . . .

ليس هذا المقام مقام النقد ولاسرد التفاصيل التى لم يحن وقت ايضاحها بل المراد من ايراد هـذه الخلاصة افهام المصريين ان

الدولة التي ضحت نفسها لاجل سواد اعينهم والتي يتحكم فيها المصريون الى هذا الحد لايمكن ان تحاول استعبادهم وانها لاتتمنى لمصر وابنائها الا السعادة والسمو .

واذا كان هـذا مبلغ حب العثمانيين للمصريين وهو اقل ما نستطيع ان نبسطه فى هذه الملاحظات الوجيزة فهل يجمل بالمصريين ان يقتصروا على التبرعات اليسيرة التى سخت بها اكفهم الى الآن ؟

واعود الى ايراد شبهة باطلة كانت قـد وقرت فى بعض الاذهان فى اوائل الحرب الـكبرى .

ذهبت قبل اعتقالى الى احدى جهات الارياف زائراً بعض اخوانى وكان يقطن هـذه الجهة جم غفير من اخ إننا الاقباط فلما شعروا بقدومى من الاستانة حـديثا هرعوا الى مقابلتى وسألونى اذا كان ثمت خوف على حياتهم واموالهم ؟

قلت لهم ممن تخشون ؟ فان كانت خشيتكم من العثمانيين فهم لايجيئون فاتحـين متحكمين بل منقذين مستعينين بنا . وان كنتم تخشون من اخوانكم مسلمى مصر فهذه مسألة اخرى يرجع الحكم فيها الى سلوككم معهم اثناء الحرب فان اعتبرتم انفسكم وطنيين واشتركتم مع السواد الاعظم من الشعب فى شعوره ولم تجعلوا للدسائس الاجنبية سبيلا عليكم فانتم آمنون ابد الدهر وان مالاتم

العدو وتاثرتم بوساوسه كنتم اعداء مصر وعوملتم معاملة الخونة المارقين .

وهبوا ان العثمانيين سيديرون مدة الحرب شؤون مصر ، وهذا امر مستحيل ، فان البلاد العثمانية غاصة بالاسرائيليين والارمن والبلغاريين والاروام الذين لا يعاملون الا بالرحمة والعدل والمساواة ولا يقع اعتداء على احد منهم الا اذا اراد ان يمالىء ذوى المطامع الاستعمارية على خيانة دولته ووطنه فحينئذ يكون عقابه كعقاب المسلم الذى يرتكب هذا الجرم نفسه .

ولقد اطمأنت نفوس اخواننا الذين لاقونى على اثر هذا البيان . ولست ادري اذا كانوا قد اذاعوه سراً في الجهات الاخرى أم لم يذيعوه ألا انهم التزموا طول مدة الحرب وبعد أنتهائها أقوم خطة والتحموا بكتلة الامة حتى لا يكاد الاجنبى يجد فارقا يفرق بينهم وبين اخوانهم المسلمين .

ولا ازال اذكر ان اناسا منهم خفوا الى ملاقاتى عقب تخلصى من الاعتقال وعرض علي بعضهم مساعدات مالية وكثرت علي تهنئاتهم .

فالآن اذكر هؤلاء الاخوان الاعزاء وبقية اخواننا الاقباط مرة انى ارى بوجوب التضافر مع اخوانهم المسلمين على اعانة الوطنيين العثمانيين الذين يجاهدون فى سبيل الشرق اجمع .

بقي ان نلم بنقطة أخرى وهى ان نقرأ من ابناء وطننا الذين كانوا اقد ذهبوا الى الاستانة فى حرب البلقان اوقبلها او بعدها وهم يحسبون أنهم سيعودون الى مسقط رأسهم بالاموال الوفيرة او سيتسنمون قمم العلياء والمجد فى بلاد الدولة العثمانية بمجرد وصولهم الى عاصمتها او بعد قضاء بضعة أشهر او سنوات قلائل فى وظائف حكومتها سواء أكانوا من ذوى العلم والكفاءة ام من الشذاذ السابحين فى لجج الاوهام قد اخفقوا فى حسبانهم فعادوا ناقمين على الدولة واصمين رجالها بكل نقيصة منفرين القلوب منها داعين الى عدم الاهتمام بها والاتفاق معها . فهؤلاء الذين آثروا مطامعهم الشخصية على مصالح امتهم ووطنهم قد ساعدوا اعداءنا مساعدة لم يكونوا يحلمون بها من غير ان ينفقوا فى سبيلها درهما واحد . ولقد حادثت كثيرين منهم واقنعتهم بوجوب العدول عن مطاعنهم الجارحة وافهمتهم ان الدولة العثمانية لا تملك خزائن الارض ولا يسعها ان تخلق الوظائف جزافا ولا ان تنتزع ذوى الكفاءة من موظفيها القائمين بالاعمال لتحلهم محل اولئك الموظفين بمجرد وصولهم الى الاستانة واندماجهم فى سلك التوظف كما انى اوضحت لهم ان العثمانيين من كبار الى صغار ليسوا سوى آدميين غير معصومين من الخطأ وانهم قضوا اعواما طوالا تحت ضغط الاستبداد محرومين من التجارب ، وان واجبنا الوطنى

يقتضى التجاوز عن هفواتهم ان لم يكن لمجرد كونهم اخواننا فى الدين وفى الجامعة الشرقية الكبرى فعلى الاقل لمجرد مصلحتنا الوطنية الخاصة . فكانوا يتظاهرون بالاقتناع ولكنى كنت اعلم انهم لا يلبثون ان يفارقوا المجلس الذى يجمعنى بهم حتى يعاودوا خطتهم المضرة .

ويوجد افراد قلائل من الصحفيين الذين كانوا ينتحلون النزعة الوطنية فى مبتدإ ظهورهم شهروا نصلا ماضيا على الرابطة المتينة التى كانت تربطنا باخواننا العثمانيين زاعمين ان مصلحة مصر تستدعى نفض ايدى ابنائها من المسألة العثمانية بتاتا لان مصر قد انفصلت من الدولة العثمانية التى اصبحت من جهة اخرى غير قادرة على حفظ كيانها واخذوا يتقولون على المرحوم فريد بك اقوالا يبرأ منها شلو فريد بك فى قبره .

ولقد قلنا وكررنا القول ولا نزال نقول ان العثمانيين لا يطمعون فى مصر ولا يحلمون باستعباد المصريين فالجلبة المغرضة التى اثار غبارها اولئك المفرقون لم يكن لها سبب ولا نفع اللهم الا انتفاع المستعمرين منها بجعلنا امامهم وجها لوجه واخراج المسألة المصرية من صبغتها الدولية القائمة على المعاهدات والاتفاقات التي ابرمتها الدول الاوربية مع الدولة العثمانية .

على ان الشعب المصرى الحازم البصير بعواقب الامور لم يلبث ان فطن الى الحقيقة فضرب بتلك الاقوال المفرقة اديم الثرى واظهر شعوره القوى بأدلة محسوسة قصت على تلك الدسيسة واهم وآخر تلك الادلة الاكتتاب للاناضول الذى اخذ يزداد ويعم نطاقه يوما بعد يوم حتى لنكاد نحسب ان هذا الاكتتاب سيبلغ على توالى الايام مبلغ ماحدث من قبيله فى الحرب البلقانية .

وقد كان من جراء هذه اليقظة المباركة ان خرست الالسنة المفرقة واضطرت الى مجاراة التيار الجارف الذى اكتسحهم امامه .

فهتان الفئتان هما اللتان احذر منهم ابناء وطنى المخلصين الاذكياء الكرام الذين دلت التجارب العديدة على انهم لا ينخدعون بالاقوال المدسوسة عليهم المموّهة بطلاء الوطنية الفتان !

الجامعة الاسلامية

الجامعة الاسلامية أو الاتحاد الاسلامى هي غول اوربا المستعمرة فما تكاد تسمع هذه اللفظة حتى تقوم وتقعد من الفرق والهلع والغيظ والغضب زاعمة ان الاسلام سينقض على المسيحية فيمزقها اربا اربا !

ونحن اذا تصدينا لخوض هذا المبحث فلا نريد بهذا التصدى ازالة رعب اوربا من هذا الغول الوهمى او افهامها حقيقة الجامعة

الاسلامية والغرض المقصود من تحقيقها ، لاننا لو شئنا هدا الامر لوضعنا كتابا خاصا فيه باللغة الفرنسوية التى هى اكثر اللغات الاوربية انتشارا ، بل نريد ازالة ماقد يكون عالقا باذهان اخوانا الشرقيين غير المسلمين ولاسيما مواطنينا الاقباط والاسرائليين كما نريد ان نشرح للذين لايدركون فائدة هذه الجامعة من المسلمين على العموم والمصريين منهم على الاخص مايتنتجه تحققها من الفوائد التى لايمكن تقديرها للشرق باسره .

من تأمل فى حقيقة الدين الاسلامى وجده دستورا اجتماعيا يراد به خير المجتمع البشري . وليس ادل على هذه النظرية التى يحق ان تعتبر بديهية من النظر فى قواعد الاسلام الخمس : فالشهادتان ترميان الى توحيد القوة التى تدبر الوجود وابعادها عن التجزؤ والتجسد والتمثل للقضاء على المعتقدات الوثنية التى كانت تستوجب الجهل والجمود والخنوع للاستعباد فلم يعد من الممكن بمقتضى هذا الدستور ان يزعم احد الناس انه اله أو شريك الاله أو اخوه أو ابنه أو مثاله بل اصبح سائر الناس متساوين من الملك الى الصعلوك ومن النبى الى اجهل انسان ، وانما الذى يرفع المرء عمله النافع للمجتمع البشري ، ثم الى الاعتراف برسالة محمد الذى اذا لم يعترف بها المسلم لايجد نفسه مرغما بحكم الدين بالاخذ بما حض عليه

والانتهاء عما منع عنه . ثم الصلاة بلوازمها وهي الاغتسال والوضوء وطهارة الثياب ، وهذه اللوازم من جملة قانون الصحة ، والصلاة نفسها حركات رياضية منشطة مقوية للاعصاب . والصوم تنقية للدماء وتطهير للجوف وتذكير بالم المسغبة . والزكاة رحمة من جانب الاغنياء بالفقراء . والحج هو الركن الاهم في هذا الدين من الوجهة الاجتماعية البحتة لانه اجتماع المسلمين في صعيد واحد لقصد وحيد ؛ فهنالك يتعارفون ويتآلفون ويتناجون بما فيه مصلحتهم جميعا .

واذا كان المسلمون في هذا العصر قد جهلوا هذه الفوائد الجليلة التي يشتمل عليها دينهم الاجتماعي واغفلوا التمسك بها فان اهمالهم فائدة الحج التي لا يمكن تقديرها قدعاد عليهم باوخم العواقب

اذا كان المسلمون في العهد الاول لم يعقدوا المؤتمرات في موسم الحج ولم يتشاوروا ويتفاوضوا في شؤن الامة الاسلامية اجمعها فما ذلك الا لان الاسلام كان من الشوكة والمنعة في المرتبة التي تغنيه عن تشاور ابنائه وتفاوضهم في الذود عن حياضه وفي التآزر والتناصر لانقاذ بعضهم بعضا . فلم يكن ثمت باعث على الجامعة الاسلامية لان قوة الخلافة كانت تجمع كلمة المسلمين كافة ، وكان هذا الاتحاد

المقدس خير وسيلة لحفظ كيان الاسـلام وسلامة بلاده من كل عدوان .

فلما انقسمت الجمهورية الاسلامية الى ثلاث خلافات وعدة ممالك وأمارات دعت الحاجة الى البحث فى مسألة الجامعة الاسلامية ليتعارف الجمهور الاسلامي ويتفاهم ويعاضد بعضه بعضا .

فمسألة الجامعة الاسلامية ليست مسألة تعصب دينى كما يصورها بعض الواهمين من الاوربيين ولا يقصد بها قتـل المسيحيين أو اجبارهم على اعتناق الدين الاسلامي قسرا أو الاغارة على القـارة الاوربية واكتساحها كما حدث فى عهد بعض ملوك السلجوقيين وبعض السلاطين العثمانيين بـل هى رابطة تربط جميع العناصر الاسلامية بعضها ببعض فيصبح بمجموعهم قويا لا يطمع فيه الطامعون.

قد يقال هنا ان الاسلام دين السيف والقوة وانها نتشر بسواعد ابنائه اكثر من انتشاره بالدعوة والتبشير ، فمحاولة جمع كلمته هى محاولة اعادة قوة الاعتـداء الاولى اليه ، فالجامعة الاسلامية اذن خطر كبير .

وهذه الشبهة انما تتبادر الى اذهان الذين لا يعرفون الاسلام على حقيقته . فالاسلام ليس بدين السيف وما قام محمد فى بادىء امره والسيف فى يده يدعو الناس الى اتباعه قسرا بل لقد أخـذ يدعو

الناس تارة فى الخفاء واخرى فى العلن الى توحيدالله وترك العادات المستقبحة والجنوح الى العدل والاخاء وعدم قتل النفس التى حرم الله قتلها الا بالحق وتجنب اعتداء بعضهم على اعراض البعض . فهال سروات قريش وهم خيار العرب اذ ذاك قيام محمدمن بينهم بامر يرفع قدره على سائر العرب بل ينشر ذكره فى الخافقين وحسدوه وعز على نفوسهم الابية ان اطيعه فسخروا منه وكذبوه وتحرشوا به وآذوه حتى اضطر الى ان يهاجر من مكة فى نفر من رفاقه الى يثرب . وهناك علت كلمته وكثر مناصروه فاشتد مشائخ العرب حسداً وموجدة عليه وعلى اصحابه وابوا الا ان ينكلوا بهم جميعا فكان مالا بد من حدوثه وهو دفع العدوان بالقوة ، فالمسألة اذن مقصورة على دفع الشر . ويكفى ان نلفت الانظار الى ما جاء فى القرآن من امثال قوله تعالى « ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتى هى أحسن » و « وادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة ولى حميم » و « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » و « انك لاتهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء » و « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » الى غير ذلك مما يثبت ان الدين الاسلامي دستور اجتماعى يراد به الخير العام وان لا سبيل الى حمل الناس على اتباع هذا الدستور بالقوة ، بل الذى ينبغى على الداعين

لى هذا الدستور ان يبينوا محاسنه ويقيموا الدليل على صحة قواعده فمن شاء بعد ذلك ان يتبعه فعل ومن لم يشأ فهو حر فى ارادته على شرط ان لا يتخذ من مجافاته هذا الدستور سببا للتحرش بالا خذين به والداعين اليه فاذا ما جنح الى المشاكسة والمعاداة فعلى كل مسلم حينئذ ان يرد العدوان بكل ما فى استطاعته من حول وقوة لان هذا الدستور يأبي على الآخذين به ان يكونوا اذلة صغار النفوس .

على ان المسلمين الآن فى حالة لا تجعلهم يفكرون اثناء اجتماعهم في الاعتداء على احد بل في الطرق التي تمكنهم من البقاء على وجه الكرة الارضيه . فاذا سلب منهم هذا الحق بالمثل فقد اريد محوهم من الوجود . ولن تقابل هـذه الارادة الا ارادة التشبث بالبقاء .

اما العناصر غير الاسلامية الحادثة فى احضان الشعوب الاسلامية فهـذه ستلبث آمنة مطمئنة ما دامت راضية بمقاسمة مواطنيها حظهم فى حالتى السراء والضراء وعاملة على سلامة الوطن وسعادته وسموه .

واذا ألقت هـذه العناصر بابصارها الى العهود المنصرمة لتتذكر لحوادث الفردية التى اقترفها بعض الملوك او الامراء والقواد والوزراء المسلمين فى إبان الجهل والظلم والاستبداد لتجعلها

مقياساً لما يمكن حدوثه فى عهد الجامعة الاسلامية اوبالاحرى فى عهد الجمهورية الاسلامية الكبرى فانها تخطىء فى هذا القياس جد الخطأ لانها لو وجهت بانظارها الى الحوادث الاخرى التي كانت تقع فى تلك العصور المظلمة الى جانب الكوارث التى اصابت افراداً من العناصر غير المسلمة لرأت ان اولئك الملوك الطغاة المستبدين كانوا يصادرون الوزراء والقواد ويستبيحون اموالهم ودماءهم بغير محاكمة ولا لعلة سوى انحرافهم عليهم فالظلم اذن كان عاما لا خاصا . بل لو القت هذه العناصر نظرة منصفة الى اوربا نفسها في تلك الاعصر لوجدت محكمة التفتيش تفعل ما لا يستطيع وصفه قلمنا ولرأت لويس الرابع عشر يستاصل شأفة البروتستانتيين كافة من فرنسا فى عشية وضحاها ولرأت انجلترا البروتستانتية تحاول القضاء على العنصر الكاثوليكى. بل لو انصفوا لتذكروا ان الروسيا المستبدة ابادت عشرات الالوف من الاسرائيليين فى اوائل هذا القرن ، القرن العشرين قرن المدنية والعلم والاختراع ، قرن الكهرباء والراديوم والطيارات الحربية والقناطيس السيارة والمدافع الرشاشة والغازات الخانقة ! بل لعلهم يتذكرون قيام الانجليز على الاسرائيليين منذ عدة سنوات فقط فى بلاد الغال !

ولكنهم اذا استبعدوا هذه الحوادث الفردية وجدوا تاريخ

الصدور الاولى من الاسلام حافلة بنوادر عجيبة من التسامح الاسلامى وعطف المسلمين على العناصر الصغيرة المندمجة فيهم فقد اتخذ امراء المسلمين الوزراء والكتاب والاطباء بل القواد بالمثل من غير المسلمين .

بل لقد بلغ من جنوح ملوك المسلمين الى مهرة الصناع من غير المسلمين ان اصطفى محمد الفاتح احد المهندسين الفنيين البيزانطيين ووثق به وعهد اليه صنع مدافع جيشه الذى فتح بزانطة اى القسطنطينيه .

وهذا الغازى مصطفى كمال باشا قد عهد الى مهندس اوربي تشييد بيته الحلوى بادوات معمارية خلقها ذلك المهندس الاوربي خلقا .

ولا حاجة بنا الى ذكر استوزار محمد على باشا احد الاقباط واستوزار اسماعيل باشا نوبار تكران ويعقوب ارتين وسواهم ، ولا الى ذكر استوزار الحكومة العثمانية الدستورية سليمان البستانى افندى وبساريا افندى وسواهما من الاروام والارمن

اما الحوادث الموجبة للاسف التى تكرر وقوعها فى البلاد العثمانية فهذه منشؤها الدسائس الاجنبية ولا شان مطلقا للتعصب الديني فيها ولقد حدثت امور من امثالها فى الهند واحدثت المكائد

الاستعمارية فظيعة من قبيلها اثناء الثورة العرابية وكادت تحدث اشياء اخرى مماثلة لها فى عدة مرار اخرى خاتمتها فى عام ١٩١١ لولا ان انعم الله على عناصر هذا الشعب النبيل بمنة الرزانة والتدبر.

ولسائل ان يسأل ولما ذا تكون هذه الجامعة اسلامية ولا تكون شرقية مادامت فائدتها عائدة على الشرق باكمله ومادامت البلادالاسلامية مقطونة بعناصر اخرى غير اسلامية ؟ والا تكون الفائدة اعظم اذا ما انضمت الامم الكبرى الوثنية فى اسيا وافريقيا الى هذه الجامعة العظيمة ؟ والا تمنع مثل هذه الجامعة كل تقول وتنفى عنها صبغة التعصب الدينى !

والرد على هذه الاسئلة المعقولة فى منتهي البساطة : فمن ذا الذي من المسلمين لا يريدان يكون الشرق كتلة واحدة تقف في وجه الغرب وتصد طيار مطامعه ؟ لقد حاول عبد الحميد ان يوجد هذه الرابطة العظمى فبعث بالباخرة ارطغرل العثمانية الى اليابان تحمل وفداً يصحب هدايا قيمة الى الميكادو ولكن تلك الباخرة غرقت وهى على مقربة من البلاد اليابانية وكان هذا المشروع منذ ثلاثين حولا تقريبا. واراد عبد الحميدان يعود الى تنفيذهذه الفكرة مرة اخرى الا ان المشاغل العديدة التى كانت الدول المستعمرة تخلقها للدولة العثمانية حالت دون تحقيقها . فهذه الجامعة الواسعة

احب الى كل مسلم غيور على مصلحة وطنه من جهة وعلى مصالح الشرق اجمع من جهة اخرى من تلك الجامعة المجدودة . بيدان هنالك حائل قوى يحول دوو تحقيق هذه الامنية ، وذلك ان مثل هذه الجامعة تحتاج الى احد امرين اولهما عقول مستنيرة تدرك فائدتها وتحتم من تلقاء نفسها على الشعوب غير الاسلامية ان ترتبط بها بمحض اختيارها وهذا ما لايتوفر في اغلب الشعوب الشرقية مسلمة وغير مسلمة ، وثانيهما وجود سلطة روحية قوية تجبر النفوس بالارهاب من جانب وبالترغيب من جانب آخر على الارتباط بها وهذه السلطة لاتتوفر الا فى الدين الاسلامى الذى يرهب بالنار ويرغب بالنعيم

على اننا نتمنى من صميم الفؤاد ان يتوفق ذوو العقول السامية فى اليابان وفى البلاد العثمانية الى ايجاد هذه الجامعة الكبرى التى لانقول باستحالة وجودها وبصعوبته بل نرى وجودها ميسوراً اذا صحت العزائم وتفاهمت سائر العناصر الشرقية بواسطة الامتين العظيمتين المستنيرتين اليابانية والعثمانيه . والى ان تبرز هذه الجامعة الكبرى الى حيز الوجود لايحسن بنا ان نقف مكتوفى السواعد لاجل مايقال عن الجامعة الاسلامية من الاقاويل التى لا نصيب لها من الصحة فى حين اننا لا نريد بها ، كما بينا ، سوى الدفاع عن

استقلال الشعوب الشرقية باجمعها ، بل الذى يجب هو العمل بكل مافى الوسع لايجادها واغتنام فوائدها

والآن فلنتناج فيما بيننا نحن المسلمين : يحسب اناس منا ان الجامعة الاسلامية وهم ، وانها اذا تحققت ، من باب الفرض ، كان شرها اعظم من نفعها ، وان مثل هذه المسألة يليق بالاعصر الوسطى لابعصر المدنية والاشتراكية والمشاعية ، هذا العصر الذى قضى على الاديان وابادها ، وانما يليق بهذا العصر تحرير الاوطان وتحضيرها وتزيدوها باوسع مايستطاع من ضروب العلوم والفنون .

فلنواجه هذه الاعتراضات بروية وانصاف : ماهى الجامعة الاسلامية ؟ اهى اجتماع للصلاة اوللوعظ والارشاد او للتنفير من الخمر والميسر والفحشاء ؟ كلا الجامعة الاسلامية هى اتفاق كلمة الاسلام على تحرير بلاده وشعوبه من الاستعمار والاستعباد وسواء اجتمع المسلمون فى مكان واحد ام تفاهموا بالمرسلات أو بما تنشره صحفهم وكتبهم فقد اتحدت كلمتهم وتكونت الجامعة الاسلامية .

ولقد يسخر البعض من هذا الايضاح ذاهبا الى ان شعوبا كثيرة متحدة كلماتهم ومتفقة افكارهم ومع ذلك فلم يتحرر واحد منها فهل يعقل ان العالم الاسلامى اذا اجمع على كلمة واحدة صارت شعوبه وبلاده بمجرد هذا الاجماع حرة مستقلة ؟ والجواب على هذا الاعتراض

ان الاتحاد لا يتم الا اذا تحققت معانيه والا فهو تفرق . فهذا الجسد الانسانى مثلا لولا تضامن سائر اعضائه بل مجموع ذراته لما اصبح كتلة واحدة حية متحركه شاعره . فكل جزء من الجسد يقوم بواجبه للمجموع ، فاذا ما أخل أحد الاعضاء بواجبه ولم يقم عضو آخر بمهمته دب ديب التخاذل والضعف فى سائر أجزاء الجسد وآل به الامر الى الانحلال فالزوال .

ومع ذلك فمالنا ولهذه القضايا المنطقيه ؟ الا نرى باعيننا فى كل يوم المؤتمرات التى تعقدها دول اوربا التى كانت متعادية متقاتلة بالامس لازالة اسباب الجفاء ولاصلاح ما افسدته الحرب ولانعاش الحالة الاقتصادية فى اوربا ؟ اذن فهنالك جامعة اوربية تنظر فى مصلحة اوربا ، وهذه الجامعة تريد ان توسع دائرتها لتصير جامعة غربية بادخال امريكا فى عقدها ، ولكنها لا تريد ان تتسع لاكثر من ذلك اى انها لا تقبل ان تدخل دائرتها اية دولة شرقية .

واليابان ، اليست دولة شرقية ؟ الم تحضر مؤتمرات اوربا ؟ فهل هى من طينة خاصة لم تجبل منها اراضى الشرق واقوامه ؟

نعم انها من تربة خاصة ، من تربة القوة والعزم ! اليابان دولة شرقية الا انها افسحت لنفسها مكانا فى مؤتمرات اوربا بنصل البتار فمتى بلغنا شأو اليابان تفتحت لنا ابواب المؤتمرات بل تفتحت لنا

قلوب الامم ! انسينا يوم ان دخل انور باشا ادرنه وقد حظرت عليه اوربا دخولها فقال « لقد دخلت بحد السيف ولن اخرج من هنا الا بحد السيف » فصمت الجميع وبقيت ادرنة عثمانية ! على ان انجلترا هى التى تجتذب اليابان الى جانبها لتستفيد صوتها فى الشؤون التى يراد الفصل فيها فى المؤتمرات . اما شؤون اوربا خاصة فمن الجلي ان اليابان ليس لها نصيب من النظر فيها .

ان الاشتراكية والمشاعية ليستا سوى مبدأين من مبادىء الجامعة الاسلامية فيهما زيادة يسيرة لا تتفق مع روح الاسلام ، ونحن نرى ان هتين الجامعتين تعقد ان المؤتمرات فى كل آونة فتزداد روابطهما احكاما ويكثر اشياعهما حتى لتوشكا ان تغمرا اوربا الاستعمارية بتيارهما الجارف . فلماذا لا نحاول نحن بالمثل ان تكون لنا جامعة تشمل جميع العالم الاسلامي ؟ ليكن كل فرد منا كيفما شاء ان متعبداً وان عربيداً فمرجع الامر فى اخلاقه واعماله الخاصة الى نفسه ثم الى الله ، فلو شاء الله لهداه ولو اريد له الضلال لبقى طول حياته ضالاً ، والله يتكفل جزاءه ان عقاباً وان ثواباً . ولكن ليكن كل واحد منا مسلماً قلباً وليعمل لنفسه ولاهله ولوطنه ولمجموع الامة الاسلامية . وهذه الاعمال لا تنجح امام الطرق الاستعمارية الحديثة الا اذا كانت محمية بقوة منظمة

فعالة ، وهذه لاتتوفر الا فى الجامعة الاسلامية .

ان الجامعة الاسلامية تستطيع تنشيط اعمال الافراد الحاصلين على رؤس اموال وايجاد اعمالاً لمن ليست لديهم رؤس اموال وامداد الاسرات المحتاجة بما يعوزها من مطالب الحياة والتكفل بتربية الايتام وتثقيفهم وتغذية عقولهم بضروب الفنون التي تعينهم على خوض غمار الحياة وعلى القيام بالاعمال التى تعود بالفوائد العظيمة على المجموع . والجامعة الاسلامية هي التى تستطيع ان توفر لكل شعب اسباب المطالبة الفعلية بالحرية والاستقلال ..

ولنتكلم الآن بطريقة اوضح من هذا الاجمال المبهم لتنقشع آخر غمامة من الشك عن افكار المترددين والساخرين : بماذا تستقل الشعوب والاوطان؟ ابالمظاهرات والاحتجاجات وحملات الصحف وحماسة الخطباء فقط ؟ كلا اننا لم نسمع ان احد بلاد العالم تحرر بهذه الوسائل الابتدائية الضعيفة ولاسيما فى هذا العصر الذى اصبح الاستعمار فيه فنا منظما قائما على قواعد علمية مستخلصة من التجارب العديدة . فالدولة المستعمرة اذا رأت الشعب الذى تستعبده قد اكثر من التظاهر والاحتجاج صادرت حريته تارة ثم خففت عنه قيود المصادرة تارة اخرى وقصت خطباءه آونة ثم عفت عنهم وردتهم الى مساقط رؤوسهم آونة اخرى وابتاعت

الصحف والاقلام وبثت العيون والارصاد ونشرت الوسائل والكتب وجاملت الشعور العام وارضت المطامع الوطنية ارضاء ظاهريا وخدرت اعصاب الشعب ولا تزال على هذه الوتيرة مابين جذب وارخاء والعام يتلو العام والجيل يعقبه الجيل ، وكل جيل ينسى مجهودات سلفه واذا الم بشيء منها استخف بها واعتدها من السفاسف وحسب ان مجهوداته هو موصلة الى الامنية المنشودة ، لكنه لا يلبث ان تخور عزيمته عند ما يرى صوته ذاهبا سدى فى فضاء لانهاية له وكذلك تعمد الدولة المستعمرة الى ايجاد الشقاق بين ابناء الوطن الواحد والى خلق الاحزاب التي تتخاذل وتتحاقد ويعمل بعضها على محو بعض ويرمي بعضها بعضا بالمروق والخيانة والارتشاء وممالاة العدو ، واخيراً تزول النزعة الاستقلالية على تمادى الزمن ولايعود الشعب يحلم الا بشيء من التوسعة ، ثم يستصوب ان تكون له حقوق ابناء الدولة المستعمرة انفسهم ليخلصوا من كل قيد وكل ارهاق فتكون هذه اخرى مراحل الاستعمار اذ يصبح الوطن المستعمر جزءمن الدولة المالكة . ومن أبرع الطرق التى يتوسل بها الاستعمار الحديث استمالته الشعوب النزاعة الى الاستقلال من طريق نزعتها باستئجاره اشد الصحف تطرفا فتضرب على نغمة الجمهور علناوتنحرف به عن السبيل القويم

بطريقة غير محسوسة ؛ مثال ذلك ان يكون الشعب مطالبا باستقلاله مصمما على ادراك حريته غير قابل ان يساوم فيهما او يقبل اية توسعة في الحكم الاداري يجود به الاستعمار عليه فتنادى الصحف المتطرفة في الوطنية بمطلبي الشعب جهاراً ولكنها تقبل المناقشة فيما تعرضه السلطة المستعمرة من المنح فتنقل الجمهور بهذه الوسيلة من الجوهر الى العرض ، وبهذه الطريقة تتسمم الافكار وتنحرف عن جادتها المثلى .

ومن هذا البيان يتضح ان التخلص من اشراك الاستعمار الحديث الفني المنظم بوسائل التظاهر والاحتجاج والنشر بواسطة الصحافة والكتب وبث الحماسة في النفوس بالخطب مستحيل ؛ وان اعتماد اي شعب في مطالبته بالحرية والاستقلال على مجهوداته فقط غير مؤد الى هذين المطلبين العسيرين . ولو تصفحنا تواريخ سائر الامم والشعوب التي تحررت واستقلت بلادها لوجدناها استعانت في بذل جهودها ببعض الدول القوية التي تكون في حالة خلف وعداء مع الدولة التي تحتل بلادها . فمن قبيل ذلك ان الولايات المتحدة التي لبثت تجاهد اعظم جهاد اكثر من نصف قرن بلا مرة حتى اذا وصل لافييت في عام ١٧٧٦ على رأس فريق كبير من متطوعة الفرنسويين ثم تلاه روكامبو على رأس فرقة كاملة من الجنود

واعقبها اسطول فرنسوى تحت قيادة ديستنج وكذلك ارسلت فرنسا الى الجيش المجاهد مقادير جسيمة من الاسلحة والذخائر والادوات الحربية أبتدأ دور الجهاد العملى النافع واخذ جيش الولايات المتحدة ابتداء من عام ١٧٧٧ ينتصر تحت قيادة واشنجتون على الجيش البريطانى .

وكذلك كان شأن ايطاليا فى تحررها واستقلالها ، فان مجهودات مازينى وغاريبالدي وكافور لم تؤد الى الغرض المقصود الا بتداخل فرنسا فى المسألة الايطالية منذ منتصف القرن الماضى .

واليونان لم تحرر الا فى سنة ١٨٢٩ على اثر اجتماع اساطيل اوربا فى مياه نافارين واحراقها الاسطول العثمانى المصرى .

ورومانيا لم تستقل الا بعد حرب القرم سنة ١٨٥٥ .

وبلغاريا والصرب لم تدركا حريتيهما الا بعد الحرب العثمانية الروسية فى سنة ١٨٧٨

وهذه بولونيا لبثت عشرات السنين تعالج الخلاص وتضرم نيران الثورات المتتالية على غير جدوى حتى تم تحريرها بعد انتهاء الحرب الكبرى .

ولسنا الآن فى مقام الشرح المسهب لنورد تفاصيل الاعمال التى قامت بها كل دولة لمساعدة البلد الذى ارادت تحريره ولكننا

اوردنا هذه السطور القلائل لكي ندرك الحقائق ولا نسبح فى لجة الحلم الكاذب حاسبين اننا سنتغلب بمجهوداتنا المتفرقة على الدول المستعمرة المتألبة علينا .

فاذا ادركنا الحقائق وجب علينا ان نتساءل عن الدول التي يمكنها ان تظاهرنا وتمدنا بكل الوسائل اللازمة لاعمال الاستقلال. فاذا ماولينا وجوهنا شطراية دولة غربية نجدها تأبى امدادنا بيد المعونة الا اذا كانت تريد ثمنا باهظا . فكاننا لاانفلت من قبضة أستعمارية الا لنسقط فى قبضة اخرى قد تكون شراً من الاولى فلم يبق امامنا الا ان نوجه ابصارنا صوب الدول الشرقية . ومن بين تلك الدول تستطيع ان تنبري لمساعدتنا مساعدة فعاله ؟ فاما اليابان فدولة لاهم لها الا تقليد انجلترا فى الاستعمار والانانيـة وقد سرها الآن انها صارت فى عداد الدول الكبرى فلا تريد ان تثير ثائرة سخطهن عليها وارتيابهن فيها ، واما فارس فلم تكد تنجو من اشراك الاستعمار الا بالجهد الجهيد بمعونة احرار العثمانيين سواء أفى الحرب الكبرى ام فيما بعدها الى العام الماضى ، واما الافغان فبعد انساعدها احرار العثمانيين على الافلات من الاشراف الاجنبي شرعوا ينظمون شؤونها وينيرون ابناءها بأنوار العلوم . فلم تبق امامنا اذن سوى الدولة العثمانية القوية من قبل والتي اجتازت منذ

ازمان طوال على المكافحة والمصابرة فى سبيل الذود عن الاسلام والشرق . فهذه الدولة هي التى يجب ان تكون مركز دائرة الجامعة الاسلامية ولكن هذا المركز لايجوز ان يصير متحركا خوفاً من تلف هـذه الدائرة بل ينبغى ان يبقى ثابتاً مكينا فى مستقره ولن يثبته ويمكنه سوى التفاف العالم الاسلامى حوله وهـذا الالتفاف لايتسنى الا اذا قام كل مسلم بما يجب عليه من العمل لاعادة تشييد هذه الدولة مما تبعثر من انقاضها . فالامر موكول الى المسلمين ان شاءوا ابرزوه من حيز التفكير والتمني الى حيز الظهور والعمل وان شاءوا قضوا عليه القضاء الاخير فينفرط عقد الاسلام ولا يعود بعد اليوم الى الالتئام وتمسى آمال الشعوب الاسلامية في الحرية والاستقلال اضغاث احلام وأوهاماً فى اوهام . . .

وهنا ننبه المسلمين قاطبة وابنـاء العرب منهم خاصة الى ان اوربا التى وقفت الآن موقف المكاشرة والعداء للوطنيين العثمانيين زاعمة انهم اقترفوا مظالم هائلة قضت على مئات الالوف من الاروام والارمن من رجال الى نساء ومن شيوخ الى اطفال وراغبة باتحادها مع الولايات المتحدة الامريكية اجراء تحقيق فى دائرة البقاع العثمانية التى يتولى الدفاع عنها الوطنيون العثمانيون ، تحاول ان تضرب الجامعة الاسلامية ضربة ساحقة بايجاد جامعة عربية تحت الاشراف

الاوربى فهذه الجامعة التي اراد الله خيراً بالمسلمين كافة اذ كشف لهم اسرارها بسبب المطامع الاستعمارية المتضاربة التي جعلت كلتى الدولتين المتناظرتين فى الشرق تفضح اعمال الاخرى وتعرقل مساعيها ، ولكن هذا الاختلاف القائم بينهما ربما لايدوم طويلاً فقد تتفقان على قسمة توافق مصلحتيهما كما حدث فيما سبق اذا اتفقت انجلترا وفرنسا على حساب مصر ومراكش فى سنة ١٩٠٤ وكما اتفقت فرنسا والمانيا فى سنة ١٩١١ على حساب مراكش والكونغو فالاتفاق غير مستحيل بين دول الغرب ولكنه مستحيل بينهن وبين امم الشرق وشعوبها .

فليغتنم المسلمون كافة هذه الفرصة السانحة وليعضدوا الوطنيين العثمانيين بكل مافى وسعهم من ضروب التعضيد . وليعلم المسلمون ان كل ما ينفقونه فى هذا السبيل يعود عليهم بالخيرات المادية التي لايمكن تقديرها . وان خير دليل مقنع للمسلمين بأثمار الاموال التى يمدونهبها اخوتهم المجاهدين قوله تعالى « واعدوا لهم مااستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون »

بعد كتابة هذا الموضوع قرأت فى الصحف نبأ سرنى جد

السرور وهو تبرع اهل بيروت بثلاثة آلاف ليرة للهلال الاحمر العثماني وارسالهم هذا التبرع الى انقرة بواسطة متصرف مرسين.

فهذا التبرع شمل من غير شك ، المسلم والمسيحي والاسرائيلي من سكان بيروت وهو عمل جليل يدل على اخلاص وبعد نظر ابناء ذلك الثغر المشهورين من قديم الزمن بحميتهم ونخوتهم وشهامتهم واخلاصهم للدولة العثمانية على الرغم من وجود افراد كانوا يعملون لتنفير القلوب منها وخدمة المصالح الاجنبية . ولقد تحققت بنفسي في اوائل الحرب الكبرى مقدار ماتنطوي عليه قلوب اهالي ذلك الثغر من الولاء لدولة الخلافة فلا غرو اذا ايدوا الآن بالدليل القاطع المحسوس صحة نظري على الرغم من مركزهم الدقيق . فحيا الله همم اولئك الغيورين الذين ضربوا خير الامثال لسواهم من بقية السوريين خاصة وسائر العرب كافة . انهم في حماستهم واريحيتهم يكادون يماثلون اخوانهم السكندرين مثال النخوة والشهامة والمروءة .

الشرق والغرب

الشرق مهد المدنيات القديمة والحديثة ومنبع الحكمة الفياض ودار النبوة ومنبت الشجاعة وارض الخصب والكنوز التي لا يعلم

مقـدار ثروتها الا الذى اودعها جوف هـذه الارض المباركه ،
الشرق الذي تخلقت من تربته المقدسة وشمسه المنعشة المنضجة
وامواهه الحافـلة بعناصر الحياة اول نسمة تسمى ، الشرق الذى
ارسـل ابناءه يجوبون انحاء الكرة الارضية معمرين وانهضت همم
قيوله اعظم الآثار التى بقيت على توالى الادهار ، هـذا الشرق
المهيب العجيب يبلغ امره مع ترامى اطرافـه ووفرة ابنائه ان
يصبح نهبا مقسما مستعبدا للغرب الذي لا يدانيه اتساعا ولا يحاكيه
غنى وسكانا ! اليس من المدهش بل من المخجل ان تتسلط بقاع
الغرب البالغة مساحتها نيفا وتسعة وخمسين مليون كيلو متر مربع
ونفوسها ٦١٥ مليونا على ديار الشرق البالغة ثلاثة وثمانين مليونا
من الكيلو مترات وانفسها ٩٦٢ مليونا نسمة ؟ اليس هذا منتهى
الصغار وغاية الفضيحة والعار ؟ فبماذا نعلل هذا الحادث الغريب ،
أبما يرتأيه بعض علماء الغرب الاجتماعيين من ان شدة الحرارة فى
الشرق هى التي تولد خمود الذهن وفتور الهمم ؟ ولـكن الشرق
ليس مقصورا على منطقة خط الاستواء التى يشتد حرها الى درجة
هائلة يمكن أن يرجح لاجلها هـذا الرأى بل فى الشرق جهات
يشتد فيها البرد الى درجة لا يمكن تحملها وفيه جهات اخرى متناهية
فى اعتدال الجو وطيب المناخ . وثمت امر يكذب هذا الزعم وهو

ظهور محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه الاجلة فى البلاد العربيـة المشهورة بشدة حرها . على ان معظم بقاع خط الاستواء صحارى او بحيرات واسعة قليلة السكان فلا يحكم على قارتين عظيمتين بمنطقة لاتكاد تشغل خمس مساحتهما ولا يكاد يقطنها خمسة فى المـائة من مجموع سكانهما . فالعلة اذن ليست علة الحر او البرد بل ترجع الى اندفاع تيار من الخمول فى الشرق اكتسح عزائم ابنائه في طريقه فادى بهم الى ان تتحكم هولاندا التى لا يتجاوز ابناؤها بضعة ملايين فى جاوه التى يبلغ ابناؤها اربعين مليونا ! والى ان يحكم ستون الف انجليزي مايقارب مائتى مليون من الهنود ! والى ان يسوس عشرة آلاف بريطانى ابناء وادى النيل البالغين عشرين مليونا ! ولو اتسع نطاق هذا التذييل للشرح الطويل لافضنا فى سرد عجائب هـذا الخمول الا اننا نقتصر على القول بان هذه الاعداد القليلة من الغربيين انما تدير شؤون مئات الالوف من الشرقيين بسواعد الشرقيين انفسهم فانجلترا لم تضرب الدولة العثمانية الا بالعرب والسوريين والمصريين والهنود ولم تخمد كل حركة فى مصر والهند الا بالشرطه المصرية والجيش المصرى فى مصر والشرطة الهندية والجيش الهندى فى الهند . فنشاط الغربيين واستخدامهم ذكاءهم فى مصالح دولهم هما السببان الجوهريان لسؤددهم واستيلائهم على البقاع الشرقية

وكنا نود ان نرى اليابان موجهة همتها الى انهاض الامم الشرقية الكابية باثارة عقول ابنائها بانوار العلوم والفنون وبتشجيعها احرار الشرقيين على الاستمرار فى مجهوداتهم الشريفة حتى تثمر ويكون الفضل فى تحرير الشرق واستقلاله راجعاً اليها لا ان نراها نافضة يديها من هذا الامر ولا هم لها الا موالاة الدول الغربية المستعمرة من جهة والعمل فى السر والخفاء للاستيلاء على الامصار الشرقية المجاورة لها . . .

ولهذا اتجهت ابصار الشرق الى المجاهدين العثمانيين الذين تريد اوربا المستعمرة ان تقضي عليهم القضاء الاخير لتأمن مغبة التفاف قلوب الشرقيين كافة حولهم .

لقد تدفق تيار الهنود من وثنيين الى مسلمين قبيل الحرب الكبرى نحو البلاد العثمانية كما ابتدأ تيار الجاويين والجزائريين والتونسيين يتدفق صوبها فخشيت الدول المستعمرة بأس هذا الحادث الجديد وأخذت تفكر فى الوسائل التي تمنع بها شره فجاءتها الحرب الكبرى بنتائج لم تكن لتحلم بها اذ تمزقت الدولة العثمانية شر ممزق ولم يبق الا ان تقضي على الثمالة المتخلفة منها . فاذا شاء الشرقيون ان يستبقوا هذه البقية لمصلحتهم العامة فليشدوا ازرها وليمدوها بوسائل الحياة والقوة والظهور على اعدائها الذين هم اعداء الشرق

بأسره ولفداء السلام العام .

الوطنيون العثمانيون

ان موقف الوطنيين العثمانيين دقيق جداً فهم محصورون من كل جانب بأعداء طامعين فيهم أوخاشين بأسهم يداورونهم حتى تأزف ساعة القضاء الاخيرة فينقضوا عليهم انقضاض الطيور الجوارح على الشلو الممزق فى الخلاء . واذا كان الروسيون قد تظاهروا بمحالفتهم وممالآتهم فما هذا التظاهر الا ستار كاذب يستر حقيقة آمالهم فقد انفضح رياؤهم في مؤتمر جنوه اذ وقفوا موقف الريب والتردد ازاء المسألة العثمانية فلم يجعلوا وجود العثمانيين فى حلقة الدول المجتمعة شرطاً اساسيا لصحة عقد المؤتمر ، ولما ارتفع صوت نجم الدين عارف بك بالاحتجاج لم يحرك تشيشرين لسانه بكلمة مؤيدة للاحتجاج . بل استخدمت الروسيا سكون العثمانيين فى هذه الآونة للتغرير باوربا موهمتها انها ذات النفوذ الاعلى في الشرق وانها قادرة على تخدير أعصابه اذا أرضتها أوربا و بذلت لها الاموال الطائلة . وهذه فرنسا صديقة الاسلام وحليفة الوطنية العثمانية وأولى الامم التي رفعت صوتها للمدافعة عن حقوق الانسان كانت فى صف الدول التى لم تسمح بدخول العثمانيين مؤتمر جنوة ، ولماذا ؟

لانهم شرقيون ! ولانهم لايزالون في حالة حرب مع أوربا ! فهل اليابانيون غربيون ؟ وهل العثمانيون حتى الآن فى حالة حرب مع فرنسا ؟ ومع ايطاليا ؟ ومع الروسيا ؟ ومع ألمانيا ؟ ومع البلجيك ؟ الخ . . . أليست الحقيقة ان لا صداقة بين الغرب والشرق مادام الاول طامعا والثانى مطموعا فيه وما دام الاول مساوما والثانى مادة التساوم ؟ أجل هذه هى الحقيقة التى لاريب فيها والتى يجب علينا نحن الشرقيين ان نتعظ بها .

فبعد معركة سقاريا المشهورة التى لم تؤد الى اية نتيجة حاسمة وقف اولئك الابطال المحروبون ينشدون الانصاف والمرحمة من الانسانية الاوربية ! ! ! ولكن هذه الانسانية صخرية القلب جامدة الشعور لاترق ولا تتحرك الا عندما يتحرك الاروام والارمن وراء الجبهة العثمانية ويحاول الوطنيون اخماد حركاتهم ! ! ! فلماذا اذن لم يستمر الوطنيون العثمانيون على مطاردة العدو المغير على بلادهم واجلائه عن اسكي شهر وافيون قرة حصار و بورصه وسواها ؟ بل لماذا استسلموا الى الاوهام التى لايمكن تحققها ؟ ذلك لان القوة التى تحرك الجسم قد قاربت النفاد فهى فى حاجة الى التجديد . والى ان يتيسر لهؤلاء الابطال توفير القوة اللازمه للشروع فى الهجوم اخذوا يتوكأون على ذلك العكاز الضعيف ، عكاز الانسانيه

الاستعماريه ؛ فالمسأله اذن اضطرارية لا اختياريه . واذا شئنا ان نعرف مقدار ماتقتضيه الحرب فما علينا الا ان نرجع الى آخر قتال اصبحت معلوماته حقائق ثابتة وهو القتال الذى دار بين الروسيين واليابانيين . ففى معركة موكدن تقاضي قتل وجرح مائة الف رجل ثمانين مليون رصاصة فكانما تعطيل رجل واحد من الاستمرار على القتال يتطلب ثمانمائة رصاصة . فالحرب الآن ليست منازلة قرن لقرن بالسيف والرمح والمجن والدرع ولا ترام بالنبال والمقاليع والمجانيق بل [illegible] فى احكام الخطة الحربية وكثرة الجنود ووفرة الآلات الحربية وذخائرها . وهذه كلها امور متوقف وجودها في هذ الزمان على المال . فمن للوطنيين العثمانيين بالمال الكافى ؟ لهذا وجهنا اغلب اقوالنا ولا نزال نوجهها الى انهاض همم المسلمين واستدرار اكفهم السخيه .

[illegible] ان [illegible] العثمانيـة [illegible] تساعـد على توفير وسائل الهجوم فقـد استصوب اولئك الابطال ان يرابطوا لعدوهم حتى يجدوا لهم فرصة تمكنهم من مهاجمته او يشرع هو بمواثبتهم فيكبدوه افدح خسارة يستطيعونها ولـكن هـذه السياسة القائمة على التدبر والحكمة اذا افادت الى بضعة أشهر من المؤكد انها تعود باوخم العواقب اذ امتدت الى عام فاكثر . ولهذا كنا ننتظر حدوث طارىء جديد مابين آونة وأخرى اذ لابد من المجازفة بعد هذا الانتظار فقد انقضى الشتاء والربيع وتناصف الصيف فاذا لم يجد

شأن آخر اقبل الشتاء وحال بزمهريره دون القيام بعمل حربي مثمر . ومن المعلوم ان الاروام يحتلون الآن اغنى البقاع العثمانيـة واشهر مدن الاناضول . والاصقاع التي تحت سلطة الوطنيين اذا استثنينا منها اطنـه واضاليا تكاد تكون اكثر البلاد العثمانيه اقفاراً واعالاً . ومن جهة اخرى فان اوربا تجتهد في هذه الفترة فى تخذير اعصاب الشرق واخماد حركاته الوطنية فاذا لم يتحرك اعصار مكتسح يفسد خطط اوربا الاستعمارية ويجمع الوطنيات الشرقية فى سلك قوى يحول دون انفراطها فان هذه الوطنيات التى كادت تنهض وتتقوى تسقط السقطة الاخيرة وتتلاشى قواها بتاتا .

امام حكومة الاناضول الآن المشكلة التي خلقتها انكلترا وتريد ان تتوكأ عليها فيما تضمره لهذه الحكومة التي تلتف حولها قلوب الهنود والمصريين من قديم الزمن واصبحت تلتف حولها قلوب الفلسطينيين والعراقيين منذ عامين ، وهذه المشكلة هي ما تسميه اضطهاد الاروام والارمن . ولكن هذه المشكلة التى احدثت دويا هائلا فى الغرب عند ظهورها واسترعت تجميع الاسماع لم تلبث ان ظهرت اوجه بطلانها فالعدد المزعوم فناؤه من الاروام لا يوجد خمسه فى سائر الجهات المقول بحدوث الاضطهاد فيها ، ومن جهة اخرى فقد انجلى الغبار عن الامريكيين اللذين لا يستبعد أن يكونا اجيرين للمطامع الاستعمارية فانهما هما اللذان لفقا تلك الاشاعة الباطلة التي كذبها الغربيون النقية اكفهم وجيوبهم من ادران الاغراض . فالتحقيق المطلوب القيام به والذى وافقت عليه الدول الغربية بالاجماع — ولا عبرة بما ادخله بعض الدول من شرط التحقيق فى البقاع التي تحت النفوذ اليونانى الآن — اما لم تقبله حكومة الاناضول ، على خلاف ما

بدأت باعلانه ، وفى هذه الحالة لابد للاصابع البريطانية ان تشتغل فى الخفاء فتعكر جو الاناضول وتفسد صفاء القلوب العثمانية ، واما ان ترفضه بتاتاً كما اعلنت من قبل ولن يصيبها من هذا الرفض فوق ماهى مصابة به وحينئذ تسيغ الدولة البرطانية لنفسها مساعدة اليونانيين . وعلى كل حال فان هذه المشكلة الحديثة ارجأت النظر فى التوفيق بين العثمانيين واليونانيين وانه لاشام واتعس توفيق . . .

ونجم عن هذه المشكلة الملفقه اعتداء الاسطول اليونانى على صامسون وقد قيل من مدة ان لحكومة انقرة اسطولا . . . ولكن هذا القول لا يعدو حد التهويل بالوهم من الممكن ان تكون حكومة الاناضول قد ابتاعت من الروسيين بضع غواصات او استوهبتها شيئاً من قبيل ذلك ولكن هذه الغواصات القلائل لاتعتبر اسطولا ولا يمكنها ان تخرج عن حد التعرض للسفن اليونانية فى البحر الاسود على الأخص وربما فى بعض سواحل بحر الارخبيل . فمسألة الاسطول العثمانى لا تزال اذن تصميما متوقفا تحققه على مقدرة حكومة انقرة من الوجهة الماليه. فاذا انحلت هذه العقدة ، وحلها فى استطاعة العالم الاسلامى ، واذا ما توفرت المواد الحربية لدى جيش الغزاة المدافعين عن الاسلام والشرق فعلى اليونان وعلى الاستعمار الغربى العفاء ، واذا لم يتوفر شىء من ذلك فعلى الاسلام والشرق السلام . عطف الله الشرقيين على المجاهدين الابرار .

١٩ يونيه سنة ١٩٢٢ — احمد رفعت

تصحيح

تكرر الخطأ المطبعى بكثرة فى هذا الكتاب الا ان اغلبه لايعرب عن الفهم ، فرأينا ان نصحح ماهو اشد غموضا على الفكر :

صفحه	سطر	خطأ	صواب
٤٥	١٦	المدد	المدو
٤٩	١٤	المضطللال	المضلعون
٤٩	١٥	الاستقعون	الاستقلال
٥٠	٦	ذو شكل	ذى شكل
[illegible]	١٤	[illegible]تتروه	يمتوره
٥٦	٦	مدمنى	مدفعي
٦٢	٢	ينفكرون	ينفكون
٦٤	٤	الافوق	الافق
٦٤	١٣	فصارت	فقد صارت
٧٠	١٠	ترزح	لم ترزح
[illegible]	١٦	اخرق	اخرى
٧٩	١٨	بعد	بعض
٨٠	٧	متلاحة	متلاحقة
٨٠	١٧	فلاى بالماء المغى	ملأى بالماء المغلي لتطهير
٩٠	٥	آه تلك الكلمه	آه من تلك الكلمه
٩٥	١٢	لدى	الذي
١٠٥	١	مرتديات	مرتدين